نظارة المعارف العمومية

كتاب كليلة ودمنة

تأليف

بيدبا الفيلسوف الهندى

ترجمه الى العربية فى صدر الدولة العباسية عبد الله بن المقفع

قررت نظارة المعارف العمومية بتاريخ ٤ ربيع الاول سنة ١٣٢٠
(١٠ يونيه سنة ١٩٠٢) نمره ٨٩٦
طبع هذا الكتاب على نفقتها وتدريسه بالمدارس الأميرية

وقد نقحت عباراته وضبطت ألفاظه وشرحت بمعرفة حضرات عبد الجواد أفندى عبد المتعال وعلى أفندى حامد المدرسين بالمدرسة الخديوية والشيخ أحمد ابراهيم المدرس بالمدرسة السنية

(الطبعة الثالثة)
بالمطبعة الاميريه بمصر
١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م

نظـارة المعـارف العموميـــة

كتاب

كليلة ودمنة

تأليف

بيدبا الفيلسوف الهندى

ترجمه الى العربية فى صدر الدولة العباسية عبدالله بن المقفع

قررت نظارة المعارف العمومية بتاريخ ٤ ربيع الاول سنة ١٣٢٠
(١٠ يونيه سنة ١٩٠٢) نمرة ٨٩٦
طبع هذا الكتاب على نفقتها وتدريسه بالمدارس الأميرية

وقد نقحت عباراته وضبطت ألفاظه وشرحت بمعرفة حضرات عبد الجواد أفندى
عبد المتعال وعلى أفندى حامد المدرسين بالمدرسة الخديوية
والشيخ أحمد ابراهيم المدرس بالمدرسة السنية

(الطبعـة الثـالثة)
بالمطبعـــة الامـــيريه بمصـــر
١٣٢٤ هـ - ١٩٠٦ م



الحمد لله الذى خلق الانسان فى أحسن تقويم وخصه دون المخلوقات
بشرف التكريم ووهبه عقلا يتدبر به ما فى السموات والارض من آيات
ليسلك بارشاده أوضح المحجات ويمحو بنوره ظلمات الريب والالباس قائلا
وتلك الامثال نضربها للناس والصلاة والسلام على من بين معالم العرفان
المختص بجوامع الكلم فى غاية البيان سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين
وعلى آله وصحبه أجمعين (أما بعد) فان أتحف العوارف وألطف المعارف
علم يتوصل به الى صدق الفراسه ويستنبط منه حسن السياسه وأحسن
ما لاح على صفحات ذلك الوجه وجنه كتاب كَلِيلَةَ ودِمْنَه من الكتب التى
ترجمت فى صدر الدولة العباسيه من اللغة الاعجميه الى اللغة العربيه
لانه فى ضروب السياسة أكبر آيه وفى جوامع الحكم والآداب أبلغ غايه
حرى بان يكتب بسواد المسك على بياض الكافور وحقيق بان يعلق
بخيوط النور على نحور الحور ولذلك عكف على الاعتناء به أصناف الناس
فترجموه من العربية الى لغاتهم من سائر الاجناس ثم اغتالت نسخه بالعربية

أيدى الدهور والأعصار وطار بها من رياح الحوادث إعصار فقيض الله صاحب الفتوحات السنيه والهمة العلية العلو به حامى ذمار المسلمين والاسلام ماد سرادق العدل على كافة الانام قاهر الطغاة والجبابره ومرغم أنوف المتردة الفاجره أمير أمراء المؤمنين وسيف الله المسلول على أعناق المعتدين الحاج محمد على باشا لازالت بذباب سيفه مهج العدى تتلاشى ولا برحت ألويته بالنصر منشوره وعساكره فى كل وجهة مظفرة منصوره فأعمل فى خدمة الشريعة الغراء وسلوك المحجة الواضحة البيضاء كلا من حد السيف وسنان القلم حتى تفجر بمتون الصفائح والصحائف ينابيع النصر والحكم وتصدى لاحياء رميم المكرمات الدوارس وانتدب لاعادة دارس العلوم بانشاء المدارس جامعا بين دانى الشرف وقاصيه حقيقا بما قلت فيه

ماذا أقول وكيف القول فى ملك * قد فاق كل ملوك الأعصر الأول

محمد أنت ان أحمدك مبتهلا * وان طلبت لك العليا فأنت على

قد أعجز البلغاء اللسن[1] منقبة * عنها روا بين صدق القول والعمل

وما تقر سيوف فى ممالكها * حتى تقلقل دهرا قبل فى القلل

مثل المليك بغى أمرا فقر به * طول الرماح وأيدى الخيل والابل

وعزمة بعثتها همة زحل[2] * من تحتها بمكان الترب من زحل

على الفرات أعاصير[3] وفى حلب * توحش لملقى النصر مقتبل

(١) جمع لسان بمعنى المتكلم (٢) زحل مبتدأ وخبره بمكان والجملة صفة لهمة والمعنى همة دونها زحل (٣) فى العراق فتن لا يخمد نارها سوى جيشك الجرار وسيفك البتار وفى حلب هيجة ودعارة لا يثلم حدها غير مستأنف ماضى عزمك وسنان رمحك

تتلوأسنته الكتب التى نفذت * ويجعل الخيل أبدالا من الرسل
يلقى الملوك فلا يلقى سوى جزر[1] * وما أعدّوا فلا يلقى سوى نَفَل[2]
الفاعل الفعل لم يفعل لشدّته * والقائل القول لم يترك ولم يقل
والباعث الجيش قد غالت[3] عجاجته[4] * ضوء النهار فصار الظهر كالطَّفَل[5]
الجوّ أضيق ما لاقاه ساطعها * ومقلة الشمس فيه أحير المقل
ينال أبعد منها وهى ناظرة * فما تقابله الا على وجل
قد عرّض السيف دون النازلات به * وظاهر الحزم بين النفس والغيَل
ووكّل الطعن بالاسرار فانكشفت * له ضمائر أهل السهل والجبل
هو الشجاع يعدّ البخل من جبن * وهو الجواد يعدّ الجبن من بخل
يعود من كل فتح غير مفتخر * وقد أعدّ اليه غير محتفل
ولا يجير عليه الدهر بغيته * ولا تحصن درع مهجة البطل
اذا خلعت على عرض له حللا * وجدتها منه فى أبهى من الحلل
بذى الغباوة من انشادها ضرر * كما تضرّ رياح الورد بالجُعَل
لقد رأت كل عين منه مالئها * وجربت خير سيف خيرة الدول
فما تكشّفك الأعداء عن ملل * من الحروب ولا الآراء عن زلل
وكم رجال بلا أرض لكثرتهم * تركت جمعهم أرضا بلا رجل

---

(١) الجُزُر جمع جَزور وهو البعير أو جَزَرة وهى ما يذبح من الشاه (٢) النَّفَل الغنيمة
(٣) غال كاغتال أهلك والمراد الحجب (٤) العَجاجة الغُبار (٥) الطَّفَل الشمس قرب الغروب

مازال طرفك[1] يجرى فى دمائهم * حتى مشى بك مشى الشارب الثمل
يامن يسير وحكم الناظرين له * فيما يراه وحكم القلب فى الجذل
ان السعادة فيما أنت فاعله * وُفقت مرتحلا أوغير مرتحل
أجر الجياد على ما كنت مجريها * وخذ بنفسك فى أخلاقك الأول
ينظرن من مقل أدمى أحجتها[2] * قرع الفوارس بالعسالة الذبل
فلا هجمت بها الاعلى ظفر * ولا وصلت بها الا الى أمل

ومن جملة ما جعله للدين والدنيا زينة وعيدا ولأرباب الحروب والمحاريب موسما سعيدا دار الطباعة التى أنشأها ببولاق حيث لم يكن مثلها فى سائر الاقطار والآفاق لان الكتب تطبع فيها من سائر العلوم بكل لغة وبكل رسم مع تلون المداد كما هو معلوم فصادف سعده المقترن من الله بالمنه وجود نسخة مطبوعة بالعربى فى غير بلاد العرب من كتاب كليلة ودمنه وهى التى ترجمها عبدالله بن المقفع الكاتب المشهور فى أيام أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور وكانت ترجمتها من اللغة البهلوية[3] الى العربيه واتفق الناس على صحة تلك النسخة لشهرة مصححها الألمعيه حيث قال فى ديباجتها اجتمع عندى من كتاب كليلة نسخ شتى متفقة السياق والانتظام مختلفة العبارة والالفاظ وكان من عددها نسخة قديمة العهد نجيبة الخط غير أنه كان يوجد فيها مع جودتها بعض الغلطات وقد ذهب منها أيضا بتصريف الشهور والايام أوراق جعلت عوضا عنها أوراق غيرها جديدة العهد رديئة الخط ليست على هيئة الباقى والنسخة المذكورة هى التى اخترتها حتى تكون هى الاصل المعتمد

---

(١) الطرف الكريم من الخيل (٢) أحجة جمع حجاج ومن معانيه عظم ينبت عليه الحاجب وهو المراد هنا (٣) الفارسية القديمة

عليه عند طبع هذا الكتاب غير أنني كلما عثرت فيها على غلطة أو ما اشتبه على القارئ فهمه قابلتها بما عندي من النسخ غيرها وأثبت ما رأيت لفظه أفصح ومعناه أوضح انتهى كلامه ثم ان تلك النسخة المطبوعة عرضت هي وغيرها على شيخ مشايخ الاسلام وقدوة عمد الانام مولانا الشيخ حسن العطار أدام الله عموم فضله مادام الليل والنهار فقال يصح أن لا يوجد لها في الصحة مثال لشهرة مصححها بالضبط وسعة الاطلاع على الاقوال وحينئذ اتفقت الآراء على أن يكون المعوّل في طبع ذلك الكتاب عليها ومنتهى اختلاف النسخ ووفاقها اليها فبادرت اشارة الأمر بصريح الامتثال وسرّحت في رياض تلك النسخ سائم الطرف والبال فوجدت المطبوعة أفصحها عباره وأوضحها اشاره وأصحها معنى وأحكمها مبنى غير أن فيها الفيظات حادت عن سنن العربيه وبعض معان مالت به الركاكة عن أن يفهم بطريقة مرضيه فقريت أضياف المعاني بأيّ لفظ تشتهيه وصاحب البيت أدرى بالذي فيه خصوصا مع وجود الموادّ التي تكشف عن وجوه الصحة نقاب الاشتباه ومن كان ذا مكنة فلينفق مما آتاه الله مستعينا على ذلك بما لديّ من النسخ التي بخط القلم معوّلا على عناية من علم الانسان ما لم يعلم حتى أثمرت اشاعة ذلك الكتاب مع غاية التحرير حديقة تلك المطبعة المشرقة بطوالع التنوير على يد مصحح ما بها من الكتب العربيه المستمد من مولاه الاعانة والمعونه راجي من للفضل يؤتى عبد الرحمن الصفتي غفر الله ذنوبه وستر في الدارين عيوبه مع سائر المسلمين بحرمة طه ويس عليه الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه الكرام

باب مقدمة الكتاب

قدمها بهنود بن سحوان ويعرف بعلى بن الشاه الفارسى ذكر فيها السبب الذى من أجله عمل بيدبا الفيلسوف الهندى رأس البراهمة (١) لدبشليم ملك الهند كتابه الذى سماه كليلة ودمنة وجعله على ألسن البهائم والطير صيانة لغرضه فيه من العوام وضنا بما ضمنه عن الطغام وتنزيها للحكمة وفنونها ومحاسنها وعيونها اذ هى للفيلسوف مندوحه ولخاطره مفتوحه ولمحبها تثقيف ولطالبها تشريف وذكر السبب الذى من أجله أنفذ كسرى أنوشروان بن قباذ بن فيروز ملك الفرس برزويه رأس الاطباء الى بلاد الهند لاجل كتاب كليلة ودمنة وما كان من تلطف برزويه عند دخوله الى الهند حتى حضر اليه الرجل الذى استنسخه له سرا من خزانة الملك ليلا مع ما وجد من كتب علماء الهند وقد ذكر الذى كان من بعثة برزويه الى مملكة الهند لاجل نقل هذا الكتاب وذكر فيها ما يلزم مطالعه من اتقان قراءته والقيام بدراسته والنظر الى باطن كلامه وانه ان لم يكن كذلك لم يحصل على الغاية منه وذكر فيها حضور برزويه وقراءة الكتاب جهرا وقد ذكر السبب الذى من أجله وضع بزرجمهر بابا مفردا يسمى باب برزويه المتطبب وذكر فيه شأن برزويه من أول أمره وآن مولده الى أن بلغ التأديب وأحب الحكمة واعتبر (٢) فى أقسامها وجعله قبل باب الاسد والثور الذى هو أول الكتاب

قال على بن الشاه الفارسى كان السبب الذى من أجله وضع بيدبا الفيلسوف لدبشليم ملك الهند كتاب كليلة ودمنة أن الاسكندر ذا القرنين الرومى لما فرغ من أمر الملوك الذين كانوا بناحية المغرب سار يريد ملوك

---

(١) البراهمة قوم لا يجوزون على الله بعثة الرسل (٢) اعتبر نظر

المشرق من الفرس وغيرهم فلم يزل يحارب من نازعه و يواقع من واقعه ويسالم من وادعه من ملوك الفرس وهم الطبقة الاولى حتى ظهر عليهم وقهر من ناواه وتغلب على من حاربه فتفرقوا طرائق (١) وتمزقوا خزائق (٢) فتوجه بالجنود نحو بلاد الصين فبدأ في طريقه بملك الهند ليدعوه الى طاعته والدخول في ملته وولايته وكان على الهند في ذلك الزمان ملك ذو سطوة و باس وقوة ومراس يقال له فُور فلما بلغه اقبال ذى القرنين نحوه تأهب لمحاربته واستعد لمجاذبته وضم اليه أطرافه وجد في التألب (٣) عليه وجمع له العدة في أسرع مده من الفيلة المعدة للحروب والسباع المُضَرَّاة بالوثوب مع الخيول المسرجة والسيوف القواطع والحراب (٤) اللوامع فلما قرب ذو القرنين من فُور الهندى و بلغه ما قد أعد له من الخيل التى كأنها قطع الليل مما لم يلقه بمثله أحد من الملوك الذين كانوا فى الاقاليم تخوف ذو القرنين من تقصير يقع به ان عجل المبارزة وكان ذو القرنين رجلا ذا حيل ومكايد مع حسن تدبير وتجربة فرأى اعمال الحيلة والتَّمَهُّل واحتفر خندقا على عسكره وأقام بمكانه لاستنباط الحيلة والتدبير لأمره وكيف ينبغى له أن يقدم على الايقاع به فاستدعى بالمنجمين وأمرهم بالاختيار ليوم موافق تكون له فيه سعادة لمحاربة ملك الهند والنصرة عليه فاشتغلوا بذلك وكان ذو القرنين لا يمر بمدينة الا أخذ الصناع المشهورين من صناعها بالحذق من كل صنف فأنتجت له همته ودلته فطنته أن يقدم الى الصناع الذين معه أن يصنعوا خيلا من نحاس مجوفة عليها تماثيل من الرجال على بكر تجرى اذا دفعت مرت سراعا وأمر اذا فرغوا منها أن تحشى أجوافها بالنفط والكبريت وتُلَبَّس وتقدم أمام الصف

---

(١) طرائق جمع طريقة بمعنى رجال أشراف أو مطلق فرقة (٢) خزائق جمع خزيقة وهى كالخِزْقة القطعة من كل شئ (٣) التألب التجمع (٤) جمع حربة

فى القلب ووقت ما يلتقى الجمعان تضرم فيها النيران فان الفيلة اذا لفت خراطيمها على الفُرسان وهى حامية ولت هاربة وأوعز الى الصناع بالتشمير والانكماش (١) والفراغ منها فجدّوا فى ذلك وعجلوا وقرب أيضا وقت اختيار المنجمين فأعاد ذو القرنين رسله الى فور بما يدعوه اليه من طاعته والاذعان لدولته فأجاب جواب مصرّ على مخالفته مقيم على محاربته فلما رأى ذو القرنين عزيمته سار اليه بأهبته وقدم فورُ الفيلة أمامه ودفعت الرجال تلك الخيل وتماثيل الفرسان فأقبلت الفيلة نحوها ولفت خراطيمها عليها فلما أحست بالحرارة ألقت من كان عليها وداستهم تحت أرجلها ومضت مهزومة هاربة لا تلوى على شئ ولا تمر بأحد الا وطئته وتقطع (٢) فورٌ وجمعه وتبعهم أصحاب الاسكندر وأثخنوا (٣) فيهم الجراح وصاح الاسكندر ياملك الهند ابرز الينا وأبق على عدتك وعيالك ولا تحملهم على الفناء فانه ليس من المروءة أن يرمى الملك بعدته فى المهالك المتلفه والمواضع المجحفه بل يقيهم بماله ويدفع عنهم بنفسه فابرز الىّ ودع الجند فأينا قهر صاحبه فهو الأسعد فلما سمع فور من ذى القرنين ذلك الكلام دعته نفسه لملاقاته طمعا فيه وظن ذلك فرصة فبرز اليه الاسكندر فتجاولا على ظهرى فرسيهما ساعات من النهار ليس يلقى أحدهما من صاحبه فرصة ولم يزالا يتعاركان فلما أعيا الاسكندر أمره ولم يجد له فرصة ولا حيلة أوقع ذو القرنين فى عسكره صيحة عظيمة ارتجت لها الارض والعساكر فالتفت فور عند ما سمع الزعقة وظنها مكيدة فى عسكره فعاجله ذو القرنين بضربة أمالته عن سرجه وتبعه بأخرى فوقع على الارض فلما رأت الهند ما نزل بهم وما صار اليه ملكهم

---

(١) الاسراع (٢) تفرّق (٣) أكثروا من الاثخان فى الشئ وهو المبالغة فيه والاكثار

حملوا على الاسكندر فقاتلوه قتالا أحبوا معه الموت فوعدهم من نفسه الاحسان ومنحه الله أكتافهم فاستولى على بلادهم وملك عليهم رجلا من ثقاته وأقام بالهند حتى استوسق(١) له ما أراد من أمرهم واتفاق كلمتهم ثم انصرف عن الهند وخلف ذلك الرجل عليهم ومضى متوجها نحو ما قصد له فلما بعد ذو القرنين عن الهند بجيوشه تغيرت الهند عما كانوا عليه من طاعة الرجل الذى خلفه عليهم وقالوا ليس يصلح للسياسة ولا ترضى الخاصة والعامة أن يملكوا عليهم رجلا ليس هو منهم ولا من أهل بيوتهم فانه لا يزال يستذلهم ويستقلهم واجتمعوا يملكون عليهم رجلا من أولاد ملوكهم فملكوا عليهم ملكا يقال له دبشليم وخلعوا الرجل الذى كان خلفه عليهم الاسكندر فلما استوسق له الامر واستقر له الملك طغى وبغى وتجبر وتكبر وجعل يغزو من حوله من الملوك وكان مع ذلك مؤيدا مظفرا منصورا فهابته الرعية فلما رأى ما هو عليه من الملك والسطوة عبث بالرعية واستصغر أمرهم وأساء السيرة فيهم وكان لا يرتقى حاله الا ازداد عتوا فمكث على ذلك برهة من دهره وكان فى زمانه رجل فيلسوف من البراهمة فاضل حكيم يعرف بفضله ويرجع فى الامور الى قوله يقال له بيدبا فلما رأى الملك وما هو عليه من الظلم للرعية فكر فى وجه الحيلة فى صرفه عما هو عليه ورده الى العدل والانصاف فجمع لذلك تلاميذه وقال أتعلمون ما أريد أن أشاوركم فيه اعلموا أنى أطلت الفكرة فى دبشليم وما هو عليه من الخروج عن العدل ولزوم الشر ورداءة السيرة وسوء العشرة مع الرعية ونحن ما نروض أنفسنا لمثل هذه الامور اذا ظهرت من الملوك الا لنردهم الى فعل الخير ولزوم العدل ومتى أغفلنا ذلك وأهملناه لزم وقوع المكروه بنا وبلوغ المحذورات الينا

---

(١) اجتمع

اذ كنا فى أنفس الجهال أجهل منهم وفى العيون عنـدهم أقل منهم وليس
الرأى عندى الجلاء عن الوطن ولا يسعنا فى حكمتنا بقاؤه على ماهو عليـه
من سوء السيرة وقبح الطريقة ولا يمكننا مجاهدته بغير ألسنتنا ولو ذهبنا الى
أن نستعين بغيرنا لم تتهيأ لنا معاندته وان أحس منا بمخالفته وانكارنا سوء
سيرته كان فى ذلك بوارنا وقد تعلمون أن مجاورة السبع والكلب والحية
والثور على طيب الوطن ونضارة العيش لغـدر بالنفس وان الفيلسوف
لحقيق أن تكون همته مصروفة الى ما يحصن به نفسـه من نوازل المكروه
ولواحق المحـذور ويدفع المخوف لاستجلاب المحبوب ولقـد كنت أسمع أن
فيلسوفا كتب لتلميذه يقول ان مجاور رجال السوء ومصاحبهم كراكب البحر
ان سلم من الغرق لم يسـلم من المخاوف فاذا هو أورد نفسـه موارد الهلكات
ومصادر المخوفات عـد من الحمر التى لا نفس لهـا لأن الحيوانات البهيمـة
قد خصت فى طبائعها بمعرفة ما تكتسب به النفع وتتوقى المكروه وذلك أننا
لم نرها تورد أنفسها موردا فيـه هلكتها وأنهـا متى أشرفت على مورد مهلك
لها مالت بطبائعها التى ركبت فيها شحا بأنفسها وصيـانة لها الى النفور
والتباعد عنه وقد جمعتكم لهذا الامر لأنكم أسرتى ومكان سرى وموضع
معرفتى وبكم أعتضد وعليكم أعتمد فان الوحيد فى نفسه والمنفرد برأيه
حيث كان فهو ضائع ولا ناصر له على أن العاقل قد يبلغ بحيلتـه ما لا يبلغ
بالخيل والجنود والمثـل فى ذلك أن قنبرة اتخذت أُدْحيةً وباضت فيها على
طريق الفيل وكان للفيل مشرب يتردد اليه فمر ذات يوم على عادته ليرد مورده
فوطئ عش القنبرة وهشم بيضها وقتل فراخها فلما نظرت ماساءها علمت
أن الذى نالها من الفيل لا من غيره فطارت فوقعت على رأسه باكية ثم قالت
أيها الملك لم هشمت بيضى وقتلت فراخى وأنا فى جوارك أفعلت هـذا

استصغارا منك لأمري واحتقار الشأني قال هو الذى حملنى على ذلك فتركته وانصرفت الى جماعة الطير فشكت اليها ما نالها من الفيل فقلن لها وما عسى أن نبلغ منه ونحن طيور فقالت للعقاعق (١) والغربان أحب منكن أن تصرن معي اليه فتفقأن عينيه فانى أحتال له بعد ذلك بحيلة أخرى فأجبنها الى ذلك وذهبن الى الفيل ولم يزلن ينقرن عينيه حتى ذهبن بهما وبقى لا يهتدى الى طريق مطعمه ومشربه الا ما يقمّه من موضعه فلما علمت ذلك منه جاءت الى غدير فيه ضفادع كثيرة فشكت اليها ما نالها من الفيل قالت الضفادع ما حيلتنا نحن فى عظم الفيل وأين نبلغ منه قالت أحب منكن أن تصرن معى الى وهدة قريبة منه فتنقّقن فيها وتضججن فانه اذا سمع أصواتكن لم يشك فى الماء فيهوى فيها فأجبنها الى ذلك واجتمعن فى الهاوية فسمع الفيل نقيق الضفادع وقد أجهده العطش فأقبل حتى وقع فى الوهدة فارتطم (٢) فيها وجاءت القنبرة ترفرف على رأسه وقالت أيها الطاغى المغتر بقوته المحتقر لأمرى كيف رأيت عظم حيلتى مع صغر جثتى عند عظم جثتك وصغر همتك

فليشر كل واحد منكم بما يسنح له من الرأى قالوا بأجمعهم أيها الفيلسوف الفاضل والحكيم العادل أنت المقدم فينا والفاضل علينا وما عسى أن يكون مبلغ رأينا عند رأيك وفهمنا عند فهمك غير أننا نعلم أن السباحة فى الماء مع التمساح تغرير والذنب فيه لمن دخل عليه فى موضعه والذى يستخرج السم من ناب الحية فيبتلعه ليجربه على نفسه فليس الذنب للحية ومن دخل على الاسد فى غابته لم يأمن وثبته وهذا الملك لم تفزعه النوائب

---

(١) جمع عَقْعَق وهو طير أبلق بسواد وبياض (٢) وقع ولم يمكنه الخروج

ولم تؤدبه التجارب ولسنا نأمن عليك ولا على أنفسنا سطوته وانا نخاف عليك من سورته(١) ومبادرته بسوء اذا لقيته بغير ما يحب فقال الحكيم بيدبا لعمري لقد قلتم فأحسنتم لكن ذا الرأي الحازم لا يدع أن يشاور من هو دونه أو فوقه في المنزلة والرأي الفرد لا يكتفى به في الخاصة ولا ينتفع به في العامة وقد صحت عزيمتي على لقاء دبشليم وقد سمعت مقالتكم وتبين لي نصيحتكم والاشفاق علي وعليكم غير أني قد رأيت رأيا وعزمت عزما وستعرفون حديثي عند الملك ومجاوبتي اياه فاذا اتصل بكم خروجي من عنده فاجتمعوا الي وصرفهم وهم يدعون له بالسلامة

ثم ان بيدبا اختار يوما للدخول على الملك حتى اذا كان ذلك الوقت ألقى عليه مسوحه(٢) وهي لباس البراهمة وقصد باب الملك وسأل عن صاحب اذنه وأرشد اليه وسلم عليه وأعلمه وقال له اني رجل قصدت الملك في نصيحة فدخل الآذن على الملك في وقته وقال بالباب رجل من البراهمة يقال له بيدبا ذكر أن معه للملك نصيحة فأذن له فدخل ووقف بين يديه وكفّر(٣) وسجد له واستوى قائما وسكت وفكر دبشليم في سكوته وقال ان هذا لم يقصدنا الا لأمرين إما لالتماس شيء منا يصلح به حاله أو لأمر لحقه فلم يكن له به طاقة ثم قال ان كان للملوك فضل في مملكتها فان للحكماء فضلا في حكمتها وعظم لان الحكماء أغنياء عن الملوك بالعلم وليس الملوك بأغنياء عن الحكماء بالمال وقد وجدت العلم والحياء إلفين متآلفين لا يفترقان متى فقد أحدهما لم يوجد الآخر كالمتصافيين ان عدم منهما أحد لم يطب صاحبه نفسا بالبقاء بعده تأسفا عليه ومن لم يستحي من الحكماء ويكرمهم ويعرف فضلهم على

---

(١) سطوته واعتدائه (٢) جمع مِسح وهو الكساء من الشَّعر (٣) عظَّم والكَفْر من معانيه تعظيم الفارسي لملكه والتكفير من معانيه ايماء الذي برأسه

غيرهم ويصنهم عن المواقف الواهنة ويزهم عن المواطن الرذلة كان ممن حرم عقله وخسر دنياه وظلم الحكماء حقوقهم وعدّ من الجهال ثم رفع رأسه الى بيدبا وقال له نظرت اليك يا بيدبا ساكتا لا تعرض حاجتك ولا تذكر بغيتك فقلت ان الذى أسكته هيبة ساورته أو حيرة أدركته وتأملت عند ذلك من طول وقوفك وقلت لم يكن لبيدبا أن يطرقنا على غير عادة الا لأمر حركه لذلك فانه من أفضل أهل زمانه فهلا نسأله عن سبب دخوله فان يكن من ضيم ناله كنت أولى من أخذ بيده وسارع فى تشريفه وتقدم فى البلوغ الى مراده واعزازه وان كانت بغيته غرضا من أغراض الدنيا أمرت بارضائه من ذلك فيما أحب وان يكن من أمر الملك ومما لا ينبغى للملوك أن يبذلوه من أنفسهم ولا ينقادوا اليه نظرت فى قدر عقوبته على أن مثله لم يكن ليجترئ على ادخال نفسه فى باب مسألة الملوك وان كان شيأ من أمور الرعية يقصد فيه أنى أصرف عنايتى اليهم نظرت ما هو فان الحكماء لا يشيرون الا بالخير والجهال يشيرون بضده وأنا قد فسحت لك فى الكلام فلما سمع بيدبا ذلك من الملك أفرج عنه روعه وسُرّى عنه ما كان وقع فى نفسه من خوفه وكفّر له وسجد ثم قام بين يديه وقال أوّل ما أقول أسأل الله تعالى بقاء الملك على الابد ودوام ملكه على الامد لان الملك قد منحنى فى مقامى هذا محلا جعله شرفا لى على جميع من بعدى من العلماء وذكرا باقيا على الدهر عند الحكماء ثم أقبل على الملك بوجهه مستبشرا به فرحا بما بداله منه وقال قد عطف الملك علىّ بكرمه واحسانه والامر الذى دعانى الى الدخول على الملك وحملنى على المخاطرة لكلامه والاقدام عليه نصيحة اختصصته بها دون غيره وسيعلم من يتصل به ذلك انى لم أقصر عن غاية فيما يجب للولى على الحكماء فان فسح فى كلامى ووعاه عنى فهو حقيق بذلك وما يراه وان هو ألقاه فقد بلغت ما يلزمنى وخرجت

من لوم يلحقنى قال الملك يابيدبا تكلم كيف شئت فانى مصغ اليك ومقبل
عليك وسامع منك حتى أستفرغ ماعندك الى آخره وأجازيك على ذلك بما
أنت أهله قال بيدبا انى وجدت الامور التى اختص بها الانسان من بين سائر
الحيوان أربعة أشياء وهى جُمّاعُ مافى العالم وهى الحكمة والعفة والعقل
والعدل . والعلم والادب والروية داخلة فى باب الحكمة والحلم والصبر والوقار
داخلة فى باب العقل والحياء والكرم والصيانة والانفة داخلة فى باب العفة
والصدق والاحسان والمراقبة وحسن الخلق داخلة فى باب العدل وهذه هى
المحاسن وأضدادها هى المساوى فتى كملت هذه فى واحد لم تخرجه الزيادة
فى نعمة الى سوء الحظ من دنياه ولا الى نقص فى عقباه ولم يتأسف على مالم
يعن التوفيق ببقائه ولم يحزنه ماتجرى به المقادير فى ملكه ولم يدهش عند
مكروه فالحكمة كنز لايفنى على انفاق وذخيرة لايضرب لها بالاملاق وحلة
لاتخلق جِدَّتُها ولذة لاتصرم مدتها ولئن كنت عند مقامى بين يدى الملك
أمسكت عن ابتدائه بالكلام ان ذلك لم يكن منى الالهيبته والاجلال له
ولعمرى ان الملوك لأهل أن يهابوا لاسيما من هو فى المنزلة التى جل فيها الملك
عن منازل الملوك قبله وقد قالت العلماء الزم السكوت فان فيه سلامة
وتجنب الكلام الفارغ فان عاقبته الندامه . وحكى أن أربعة من العلماء
ضمهم مجلس ملك فقال لهم ليتكلم كل بكلام يكون أصلا للادب فقال
أحدهم أفضل خلة العلم السكوت وقال الثانى ان من أنفع الاشياء للانسان
أن يعرف قدر منزلته من عقله وقال الثالث أنفع الأشياء للانسان أن لا يتكلم
بما لا يعنيه وقال الرابع أروح الامور على الانسان التسليم للمقادير واجتمع
فى بعض الزمان ملوك الاقاليم من الصين والهند وفارس والروم وقالوا ينبغى
أن يتكلم كل واحد منا بكلمة تدوّن عنه على غابر الدهر فقال ملك الصين

أنا على مالم أقل أقدر منى على رد ما قلت وقال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة فان كانت له لم تنفعه وان كانت عليه أوبقته وقال ملك فارس أنا اذا تكلمت بالكلمة ملكتنى واذا لم أتكلم بها ملكتها وقال ملك الروم ماندمت على مالم أتكلم به قط ولقد ندمت على ما تكلمت به كثيرا والسكوت عند الملوك أحسن من الهذر الذى لا يرجع منه الى نفع وأفضل[1] مااستظل به الانسان لسانه غير أن الملك أطال الله مدته لما فسح لى فى الكلام وأوسع لى فيه كان أولى ما أبدأ به من الامور التى هى غرضى أن يكون ثمرة ذلك له دونى وأن أختصه بالفائدة قبلى على أن العقبى هى ما أقصد فى كلامى له وانما نفعه وشرفه راجع اليه وأكون أنا قد قضيت فرضا وجب علىّ فأقول

أيها الملك انك فى منازل آبائك وأجدادك من الجبابرة الذين أسسوا الملك قبلك وشيدوه دونك وبنوا القلاع والحصون ومهدوا البلاد وقادوا الجيوش واستجاشوا العدة وطالت لهم المدة واستكثروا من السلاح والكراع[2] وعاشوا الدهور فى الغبطة والسرور فلم يمنعهم ذلك من اكتساب جميل الذكر ولا قطعهم عن اغتنام الشكر ولا استعمال الاحسان الى من خولوه والارفاق بمن ولوه وحسن السيرة فيما تقلدوه مع عظم ما كانوا فيه من غرة الملك وسكرة الاقتدار وانك أيها الملك السعيد جده الطالع كوكب سعده قد ورثت أرضهم وديارهم وأموالهم ومنازلهم التى كانت عدتهم فأقمت فيما خولت من الملك وورثت من الاموال والجنود فلم تقم فى ذلك بحق ما يجب عليك بل طغيت وبغيت وعتوت وعلوت على الرعية

---

(١) وفى نسخة وأعضل ما ضهل به الانسان لسانه (٢) الكراع اسم يجمع الخيل وقيل الخيل والسلاح

وأسأت السيرة وعظمت منك البلية وكان الاولى والاشبه بك أن تسلك سبيل أسلافك وتتبع آثار الملوك قبلك وتقفو محاسن ما أبقوه لك وتقلع عما عاره لازم لك وشينه واقع بك وتحسن النظر برعيتك وتسن لهم سنن الخير الذى يبقى بعدك ذكره ويعقبك الجميل فخره ويكون ذلك أبقى على السلامة وأدوم على الاستقامة فان الجاهل المغتر من استعمل فى أموره البطر والأمنية والحازم اللبيب من ساس الملك بالمداراة والرفق فانظر أيها الملك ما ألقيت اليك ولا يثقلن ذلك عليك فلم أتكلم بهذا ابتغاء غرض تجازينى به ولا التماس معروف تكافئنى فيه ولكنى أتيتك ناصحا مشفقا عليك

فلما فرغ بيدبا من مقالته وقضى مناصحته أوغر صدر الملك فأغلظ له فى الجواب استصغارا لأمره وقال لقد تكلمت بكلام ما كنت أظن أن أحدا من أهل مملكتى يستقبلنى بمثله ولا يقدم على ما أقدمت عليه فكيف أنت مع صغر شأنك وضعف مُنّتك وعجز قوتك ولقد أكثرت إعجابى من اقدامك علىّ وتسلطك بلسانك فيما جاوزت فيه حدّك وما أجد شيأ فى تأديب غيرك أبلغ من التنكيل بك فذلك عبرة وموعظة لمن عساه أن يبلغ ويروم ما رمت أنت من الملوك اذا أوسعوا لهم فى مجالسهم ثم أمر به أن يقتل ويصلب فلما مضوا به فيما أمر فكر فيما أمر به فأحجم عنه ثم أمر بحبسه وتقييده فلما حبس أنفذ فى طلب تلاميذه ومن كان يجتمع اليه فهربوا فى البلاد واعتصموا بجزائر البحار فمكث بيدبا فى محبسه أياما لا يسأل الملك عنه ولا يلتفت اليه ولا يجسر أحد أن يذكره عنده حتى اذا كان ليلة من الليالى سَهِدَ الملك سُهدًا شديدا فطال سُهدُه ومدّ الى الفلك بصره وتفكر فى تفلك الفلك وحركات الكواكب فأغرق الفكر فيه فسلك به الى استنباط شئ عرض له من أمور الفلك والمسألة عنه فذكر عند ذلك بيدبا

وتفكر فيما كلمه به فارعوى لذلك وقال فى نفسه لقد أسأت فيما صنعت بهذا الفيلسوف وضيعت واجب حقه وحملنى على ذلك سرعة الغضب وقد قالت العلماء أربعة لا ينبغى أن تكون فى الملوك الغضب فانه أجدر الاشياء مقتا والبخل فان صاحبه ليس بمعذور مع ذات يده والكذب فانه ليس لأحد أن يجاوره والعنف فى المحاورة فان السفه ليس من شأنها وانى أتى الىّ رجل نصح لى ولم يكن مبلغا فعاملته بضد ما يستحق وكافأته بخلاف ما يستوجب وما كان هذا جزاءه منى بل كان الواجب أن أسمع كلامه وأنقاد لما يشير به ثم أنفذ فى ساعته من يأتيه به فلما مثل بين يديه قال له يا بيدبا ألست الذى قصدت الى تقصير همتى وعجزت رأيى فى سيرتى بما تكلمت به آنفا قال له بيدبا أيها الملك الناصح الشفيق والصادق الرفيق انما نبأتك بما فيه صلاح لك ولرعيتك ودوام ملكك لك قال له الملك يا بيدبا أعد علىّ كلامك كله ولا تدع منه حرفا الا جئت به فجعل بيدبا ينثر كلامه والملك مصغ اليه وجعل دبشليم كلما سمع منه شيأ ينكت الارض بشئ كان فى يده ثم رفع طرفه الى بيدبا وأمره بالجلوس وقال له يا بيدبا انى قد استعذبت كلامك وحسن موقعه من قلبى وأنا ناظر فى الذى أشرت به وعامل بما أمرت ثم أمر بقيوده فحلت وألقى عليه من لباسه وتلقاه بالقبول فقال بيدبا يا أيها الملك ان فى دون ما كلمتك به نهية لمثلك قال صدقت أيها الحكيم الفاضل وقد وليتك من مجلسى هذا الى جميع أقاصى مملكتى فقال له أيها الملك أعفنى من هذا الامر فانى غير مضطلع بتقويمه الا بك فأعفاه من ذلك فلما انصرف علم أن الذى فعله ليس برأى فبعث فرده وقال انى فكرت فى اعفائك مما عرضته عليك فوجدته لا يقوم الا بك ولا ينهض به غيرك ولا يضطلع به سواك فلا تخالفنى فيه فأجابه بيدبا الى ذلك

وكان عادة ذلك الزمان اذا استوزر واوزيرا أن يعقدوا على رأسه تاجا ويركب فى أهل المملكة ويطاف به فى المدينة فأمر الملك أن يفعل ببيدبا ذلك فوضع التاج على رأسه وركب فى المدينة ورجع فجلس بمجلس العدل والانصاف يأخذ للدنىّ من الشريف ويساوى بين القوىّ والضعيف وردّ المظالم ووضع سنن العدل وأكثر من العطاء والبذل واتصل الخبر بتلاميذه فجاؤه من كل مكان فرحين بما جدّد الله له من جديد رأى الملك فى بيدبا وشكروا الله تعالى على توفيق بيدبا فى ازالة دبشليم عما كان عليه من سوء السيرة واتخذوا ذلك اليوم عيدا يعيدون فيه فهو الى اليوم عيد عندهم فى بلاد الهند

ثم ان بيدبا لما أخلى فكره من اشتغاله بدبشليم تفرغ لوضع كتب السياسة ونشط لها فعمل كتبا كثيرة فيها دقائق الحيل ومضى الملك على ما رسم له بيدبا من حسن السيرة والعدل فى الرعية فرغبت اليه الملوك الذين كانوا فى نواحيه وانقادت له الامور على استوائها وفرحت به رعيته وأهل مملكته ثم ان بيدبا جمع تلاميذه فأحسن صلتهم ووعدهم وعدا جميلا وقال لهم لست أشك أنه وقع فى نفوسكم وقت دخولى على الملك أن قلتم ان بيدبا قد ضاعت حكمته وبطلت فكرته اذ عزم على الدخول على هذا الجبار الطاغى فقد علمتم نتيجة رأيى وصحة فكرى وانى لم آته جهلا به لانى كنت أسمع من الحكماء قبلى تقول ان الملوك لها سورة كسورة الشراب فالملوك لا تفيق من السورة الا بمواعظ العلماء وأدب الحكماء والواجب على الملوك أن يتعظوا بمواعظ العلماء والواجب على العلماء تقويم الملوك بألسنتها وتأديبها بحكمتها واظهار الحجة البينة اللازمة لهم ليرتدعوا عما هم عليه من الاعوجاج والخروج عن العدل فوجدت ما قالت العلماء فرضا واجبا على الحكماء لملوكهم ليوقظوهم

من رقدتهم كالطبيب الذى يجب عليه فى صناعته حفظ الاجساد على صحتها أو ردّها الى الصحة فكرهت أن يموت أو أموت وما يبقى على الارض الامن يقول انه كان بيدبا الفيلسوف فى زمان دبشليم الطاغى فلم يرده عما كان عليه فان قال قائل انه لم يمكنه كلامه خوفا على نفسه قالوا كان الهرب منه ومن جواره أولى به والانزعاج عن الوطن شديد فرأيت أن أجود بحياتى فأكون قد أتيت فيما بينى وبين الحكماء بعدى عذرا فحملتها على التغرير أو الظفر بما أريده وكان من ذلك ما أنتم معاينوه فانه يقال فى بعض الامثال انه لم يبلغ أحد مرتبة الا باحدى ثلاث إما عشقة تناله فى نفسه وإما بوضيعة فى ماله أو وكس فى دينه ومن لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب وان الملك دبشليم قد بسط لسانى فى أن أضع كتابا فيه ضروب الحكمة فليضع كل واحد منكم شيأ فى أىّ فن شاء وليعرضه علىّ لأنظر مقدار عقله وأين بلغ من الحكمة فهمه قالوا أيها الحكيم الفاضل واللبيب العاقل والذى وهب لك ما منحك من الحكمة والعقل والادب والفضيلة ما خطر هذا بقلوبنا ساعة قط وأنت رئيسنا وفاضلنا وبك شرفنا وعلى يدك انتعاشنا ولكن سنجهد أنفسنا فيما أمرت ومكث الملك على ذلك من حسن السيرة زمانا يتولى ذلك له بيدبا ويقوم به

ثم ان الملك دبشليم لما استقر له الملك وسقط عنه النظر فى أمور الأعداء بما قد كفاه ذلك بيدبا صرف همته الى النظر فى الكتب التى وضعتها فلاسفة الهند لآبائه وأجداده فوقع فى نفسه أن يكون له أيضا كتاب مشروح ينسب اليه وتذكر فيه أيامه كما ذكر آباؤه وأجداده من قبله فلما عزم على ذلك علم أنه لا يقوم ذلك الا بيدبا فدعاه وخلا به وقال له يا بيدبا انك حكيم الهند وفيلسوفها وانى فكرت ونظرت فى خزائن الحكمة التى كانت للملوك قبلى

فلم أر فيهم أحدا الا وقد وضع كتابا يذكر فيه أيامه وسيرته و ينبئ عن أدبه وأهل مملكته فمنه ما وضعه الملوك لانفسها وذلك لفضل حكمة فيها ومنه ما وضعته حكماؤها وأخاف أن يلحقني ما لحق أولئك مما الاحيلة لى فيه ولا يوجد فى خزائنى كتاب أذكر به بعدى وأنسب اليه كما ذكر من كان قبلى بكتبهم وقد أحببت أن تضع لى كتابا بليغا تستفرغ فيه عقلك يكون ظاهره سياسة العامة وتأديبها وباطنه أخلاق الملوك وسياستها الرعية على طاعة الملك وخدمته فيسقط بذلك عنى وعنهم كثير مما نحتاج اليه فى معاناة الملك وأريد أن يبقى لى هذا الكتاب بعدى ذكرا على غابر الدهور فلما سمع بيدبا كلامه خر له ساجدا ورفع رأسه وقال أيها الملك السعيد جده علا نجمك وغاب نحسك ودامت أيامك ان الذى قد طبع عليه الملك من جودة القريحة و وفور العقل حركه لعالى الأمور وسمت به نفسه وهمته الى أشرف المراتب منزلة وأبعدها غاية وأدام الله سعادة الملك وأعانه على ما عزم من ذلك وأعاننى على بلوغ مراده فليأمر الملك بما شاء من ذلك فانى صائر الى غرضه مجتهد فيه برأيى قال له الملك يا بيدبا لم تزل موصوفا بحسن الرأى وطاعة الملوك فى أمورهم وقد اختبرت منك ذلك واخترت أن تضع هذا الكتاب وتعمل فيه فكرك وتجهد فيه نفسك بغاية ما تجد اليه السبيل وليكن مشتملا على الجد والهزل واللهو والحكمة والفلسفة فكفر له بيدبا وسجد وقال قد أجبت الملك أدام الله أيامه الى ما أمرنى به وجعلت بينى وبينه أجلا قال وكم هو الاجل قال سنة قال قد أجلتك وأمر له بجائزة سنية تعينه على عمل الكتاب فبقى بيدبا مفكرا فى الاخذ فيه وفى أى صورة يبتدئ بها فيه وفى وضعه

ثم ان بيدبا جمع تلاميذه وقال لهم ان الملك قد ندبنى لأمر فيه فخرى ونخركم ونخر بلادكم وقد جمعتكم لهذا الامر ثم وصف لهم ما سأل الملك

من أمر الكتاب والغرض الذى قصد فيه فلم يقع لهم الفكر فيه فلما لم يجد عندهم ما يريده فكر بفضل حكمته وعلم أن ذلك أمر انما يتم باستفراغ العقل واعمال الفكر وقال أرى السفينة لا تجرى فى البحر الا بالملاحين لانهم يعدلونها وانما تسلك اللجة بمدبرها الذى تفرّد بامرتها ومتى شحنت بالركاب الكثيرين وكثر ملاحوها لم يؤمن عليها من الغرق ولم يزل يفكر فيما يعمله فى باب الكتاب حتى وضعه على الانفراد بنفسه مع رجل من تلاميذه كان يثق به فخلا به منفردا معه بعد أن أعد من الورق الذى كانت تكتب فيه الهند شيأ ومن القوت ما يقوم به وتلميذه تلك المدة وجلسا فى مقصورة وردّا عليهما الباب ثم بدأ فى نظم الكتاب وتصنيفه ولم يزل هو يملى وتلميذه يكتب ويرجع هو فيه حتى استقر الكتاب على غاية الاتقان والاحكام ورتب فيه أربعة عشر بابا كل باب منها قائم بنفسه وفى كل باب مسألة والجواب عنها ليكون لمن نظر فيه حظ من الهداية وضمن تلك الابواب كتابا واحدا وسماه كتاب كليلة ودمنة ثم جعل كلامه على ألسن البهائم والسباع والطير ليكون ظاهره لهوا للخواص والعوام وباطنه رياضة لعقول الخاصة وضمنه أيضا ما يحتاج اليه الانسان من سياسة نفسه وأهله وخاصته وجميع ما يحتاج اليه من أمر دينه ودنياه وآخرته وأولاه ويحضه على حسن طاعته للملوك ويجنبه ما تكون مجانبته خيرا له ثم جعله باطنا وظاهرا كرسم سائر الكتب التى برسم الحكمة فصار الحيوان لهوا وما ينطق به حكما وأدبا فلما ابتدأ بيدبا بذلك جعل أول الكتاب وصف الصديق وكيف يكون الصديقان وكيف تقطع المودة الثابتة بينهما بحيلة ذى النميمة وأمر تلميذه أن يكتب على لسان بيدبا مثل ما كان الملك شرطه فى أن جعله لهوا وحكمة فذكر بيدبا أن الحكمة متى دخلها كلام النقلة أفسدها واستجهل حكمتها فلم يزل هو

وتلميذه يعملان الفكر فيما سأله الملك حتى فتق لهما العقل أن يكون كلامهما على لسان بهيمتين فوقع لهما موضع اللهو والهزل بكلام البهائم وكانت الحكمة ما نطقا به فأصغت الحكماء الى حكمه وتركوا البهائم واللهو وعلموا أنها السبب فى الذى وضع لهم ومالت اليه الجهال عجبا من محاورة بهيمتين ولم يشكوا فى ذلك واتخذوه لهوا وتركوا معنى الكلام أن يفهموه ولم يعلموا الغرض الذى وضع له لأن الفيلسوف انما كان غرضه فى الباب الاول أن يخبر عن تواصل الاخوان كيف تتأكد المودة بينهم على التحفظ من أهل السعاية والتحرز ممن يوقع العداوة بين المتحابين ليجر بذلك نفعا الى نفسه فلم يزل بيدبا وتلميذه فى المقصورة حتى استتما عمل الكتاب فى مدة سنة فلما تم الحول أنفذ اليه الملك أن قد جاء الوعد فماذا صنعت فأنفذ اليه بيدبا أنى على ما وعدت الملك فليأمرنى بحمله بعد أن يجمع أهل المملكة لتكون قراءتى هذا الكتاب بحضرتهم فلما رجع الرسول الى الملك سر بذلك ووعده يوما يجمع فيه أهل المملكة ثم نادى فى أقاصى بلاد الهند ليحضروا قراءة الكتاب فلما كان ذلك اليوم أمر الملك أن ينصب لبيدبا سرير مثل سريره وكراسى لابناء الملوك والعلماء وأنفذ فأحضره فلما جاءه الرسول قام فلبس الثياب التى كان يلبسها اذا دخل على الملوك وهى المسوح السود وحمل الكتاب تلميذه فلما دخل على الملك وثب الخلائق بأجمعهم وقام الملك شاكرا فلما قرب من الملك كفر له وسجد ولم يرفع رأسه فقال له الملك يا بيدبا ارفع رأسك فان هذا يوم هناء وفرح وسرور وأمره أن يجلس فحين جلس لقراءة الكتاب سأله عن معنى كل باب من أبواب الكتاب والى أى شىء قصد فيه فأخبره بغرضه فيه وفى كل باب فازداد الملك منه تعجبا وسرورا فقال له يا بيدبا ما عدوت الذى فى نفسى وهذا الذى كنت أطلب فاطلب ما شئت وتحكم فدعا له بيدبا بالسعادة

وطول الجذ وقال أيها الملك أما المال فلا حاجة لى فيه وأما الكسوة فلا أختار على لباسى هذا شيأ ولست أُخْلى الملك من حاجة قال الملك يا بيدبا ما حاجتك فكل حاجة لك قبلنا مقضية قال يأمر الملك أن يدوّن كتابى هذا كما دوّن آباؤه وأجداده كتبهم ويأمر بالمحافظة عليه فانى أخاف أن يخرج من بلاد الهند فيتناوله أهل فارس اذا علموا به فالملك يأمر أن لا يخرج من بيت الحكمة ثم دعا الملك بتلاميذه وأحسن لهم الجوائز ثم انه لما ملك كسرى أنوشروان وكان مستأثرا بالكتب والعلم والادب والنظر فى أخبار الاوائل وقع له خبر الكتاب فلم يقر قراره حتى بعث برزويه الطبيب وتلطف حتى أخرجه من بلاد الهند فأقره فى خزائن فارس

باب بعثة برزويه الى بلاد الهند

أما بعد فان الله تعالى خلق الخلق برحمته ومنّ على عباده بفضله وكرمه ورزقهم ما يقدرون به على اصلاح معايشهم فى الدنيا ويدركون به استنقاذ أرواحهم من العذاب فى الآخرة وأفضل ما رزقهم الله تعالى ومنّ به عليهم العقل الذى هو الدعامة لجميع الاشياء والذى لا يقدر أحد فى الدنيا على اصلاح معيشته ولا احراز نفع ولا دفع ضرر الا به وكذلك طالب الآخرة المجتهد فى العمل المنجى به روحه لا يقدر على اتمام عمله وا كماله الا بالعقل الذى هو سبب كل خير ومفتاح كل سعادة فليس لأحد غنى عن العقل والعقل مكتسب بالتجارب والادب وله غريزة مكنونة فى الانسان كامنة كالنار فى الحجر لا تظهر ولا يرى ضوءها حتى يقدحها قادح من الناس فاذا قدحت ظهرت طبيعتها وكذلك العقل كامن فى الانسان لا يظهر حتى يظهره الأدب وتقويه التجارب ومن رزق العقل ومنّ به عليه وأعين على صدق قريحته بالادب

حرص على طلب سعد جدّه وأدرك فى الدنيا أمله وحاز فى الآخرة ثواب الصالحين وقد رزق الله الملك السعيد أنوشروان من العقل أفضله ومن العلم أجزله ومن المعرفة بالامور أصوبها ومن الافعال أسدّها ومن البحث عن الاصول والفروع أنفعه وبلغه من فنون اختلاف العلم وبلوغ منزلة الفلسفة مالم يبلغه ملك قط من الملوك قبله حتى كان فيما طلب وبحث عنه من العلم أن بلغه عن كتاب بالهند علم أنه أصل كل أدب ورأس كل علم والدليل على كل منفعة ومفتاح عمل الآخرة وعلمها ومعرفة النجاة من هولها فأمر الملك وزيره برزجمهر أن يبحث له عن رجل أديب عاقل من أهل مملكته بصير بلسان الفارسية ماهر فى كلام الهند ويكون بليغا باللسانين جميعا حريصا على طلب العلم مجتهدا فى استعمال الأدب مبادرا فى طلب العلم والبحث عن كتب الفلسفة فأتاه برجل أديب كامل العقل والادب معروف بصناعة الطب ماهر فى الفارسية والهندية يقال له برزويه فلما دخل عليه كفر وسجد بين يديه فقال له الملك يابرزويه انى قد اخترتك لما بلغنى من فضلك وعلمك وعقلك وحرصك على طلب العلم حيث كان وقد بلغنى عن كتاب بالهند مخزون فى خزائنهم وقص عليه مابلغه عنه وقال له تجهز فانى مرحلك الى أرض الهند فتلطف بعقلك وحسن أدبك وناقد رأيك لاستخراج هذا الكتاب من خزائنهم ومن قبل علمائهم فتستفيد بذلك وتفيدنا وماقدرت عليه من كتب الهند مماليس فى خزائننا منه شيء فاحمله معك وخذ معك من المال ماتحتاج اليه وعجل ذلك ولا تقصر فى طلب العلوم وان أكثرت فيه النفقة فان جميع مافى خزائنى مبذول لك فى طلب العلوم وأمر باحضار المنجمين فاختاروا له يوما يسير فيه وساعة صالحة يخرج فيها وحمل معه من المال عشرين جرابا كل جراب فيه عشرة آلاف دينار فلما قدم برزويه

بلاد الهند طاف بباب الملك ومجالس السُّوقة(١) وسأل عن خواص الملك والاشراف والعلماء والفلاسفة فجعل يغشاهم فى منازلهم ويتلقاهم بالتحية ويخبرهم بأنه رجل غريب قدم بلادهم لطلب العلوم والادب وأنه محتاج الى معاونتهم فى ذلك فلم يزل كذلك زمانا طويلا يتأدب عن علماء الهند بما هو عالم بجميعه وكأنه لا يعلم منه شيأ وهو فيما بين ذلك يستر بغيته وحاجته واتخذ فى تلك الحال لطول مقامه أصدقاء كثيرة من الاشراف والعلماء والفلاسفة والسوقة ومن أهل كل طبقة وصناعة وكان قد اتخذ من بين أصدقائه رجلا واحدا قد اتخذه لسره وما يحب مشاورته فيه للذى ظهر له من فضله وأدبه واستبان له من صحة إخائه وكان يشاوره فى الأمور ويرتاح اليه فى جميع ما أهمه الا أنه كان يكتم منه الامر الذى قدم من أجله لكى يبلوه ويخبره وينظر هل هو أهل أن يطلعه على سره فقال له يوما وهما جالسان يا أخى ما أريد أن أكتمك من أمرى فوق الذى كتمتك فاعلم أنى لأمر قدمت وهو غير الذى يظهر منى والعاقل يكتفى من الرجل بالعلامات من نظره حتى يعلم سر نفسه وما يضمره قلبه قال له الهندى انى وان لم أكن بدأتك وأخبرتك بما جئت له واياه تريد وانك تكتم أمرا تطلبه وتظهر غيره ما خفى على ذلك منك ولكنى لرغبتى فى إخائك كرهت أن أواجهك به وانه قد استبان ما تخفيه منى فأما اذ قد أظهرت ذلك وأفصحت به وبالكلام فيه فانى مخبرك عن نفسك ومظهر لك سريرتك ومعلمك بحالك التى قدمت لها فانك قدمت بلادنا لتسلبنا كنوزنا النفيسة فتذهب بها الى بلادك وتسر بها ملكك وكان قدومك بالمكر والخديعة ولكنى لما رأيت صبرك ومواظبتك على طلب حاجتك والتحفظ من أن يسقط منك الكلام مع طول مكثك عندنا بشئ يستدل به على سريرتك

---

(١) الرعيـــة

وأمورك ازددت رغبة فى إخائك وثقة بعقلك فأحببت مودتك فانى لم أر فى الرجال رجلا هو أرصن (١) منك عقلا ولا أحسن أدبا ولا أصبر على طلب العلم ولا أكتم لسره منك ولا سيما فى بلاد غربة ومملكة غير مملكتك عند قوم لا تعرف سنتهم وان عقل الرجل ليبين فى ثمان خصال الاولى الرفق والثانية أن يعرف الرجل نفسه فيحفظها والثالثة طاعة الملوك والتحرى لما يرضيهم والرابعة معرفة الرجل موضع سره وكيف ينبغى أن يطلع عليه صديقه والخامسة أن يكون على أبواب الملوك أديبا ملَقَ (٢) اللسان والسادسة أن يكون لسره وسر غيره حافظا والسابعة أن يكون على لسانه قادرا فلا يتكلم الا بما يأمن تبعته والثامنة ان كان بالمحفل لا يتكلم الا بما يُسأل عنه فمن اجتمعت فيه هذه الخصال كان هو الداعى الخير الى نفسه وهذه الخصال كلها قد اجتمعت فيك وبانت لى منك فالله تعالى يحفظك ويعينك على ما قدمت له فصادقتك اياى وان كانت لتسلبنى كنزى وفخرى وعلى تجعلك أهلا لأن تسعف بحاجتك وتشفع بطلبتك (٣) وتعطى سؤلك (٤) فقال له برزويه انى قد كنت هيأت كلاما كثيرا وشعبت له شعوبا وأنشأت له أصولا وطرقا فلما انتهيت الى ما بدأتنى به من اطلاعك على أمرى والذى قدمت له وألقيته على من ذات نفسك ورغبتك فيما ألقيت من القول اكتفيت باليسير من الخطاب معك وعرفت الكبير من أمورى بالصغير من الكلام واقتصرت به معك على الايجاز ورأيت من اسعافك اياى بحاجتى ما دلنى على كرمك وحسن وفائك فان الكلام اذا ألقى الى الفيلسوف والسر اذا استودع الى اللبيب الحافظ فقد حُصِّنَ وبلغ به نهاية أمل صاحبه كما يحصن الشئ النفيس فى القلاع الحصينة قال له الهندى لا شئ أفضل من المودة ومن خلصت

---

(١) أثبت (٢) متودد متلطف (٣) المطلوب (٤) المسئول

مودته كان أهلا أن يخلطه الرجل بنفسه ولا يدخر عنه شيأ ولا يكتمه سرا فان
حفظ السر رأس الادب فاذا كان السر عند الامين الكتوم فقد احترز من
التضييع مع أنه خليق أن لا يتكلم به ولا يتم سر بين اثنين قد علماه وتفاوضاه
فاذا تكلم بالسر اثنان فلا بد من ثالث من جهة أحدهما فاذا صار الى الثلاثة
فقد شاع وذاع حتى لا يستطيع صاحبه أن يجحده ويكابر عنه كالغيم اذا كان
متقطعا فى السماء فقال قائل هذا غيم متقطع لا يقدر أحد على تكذيبه
وأنا قد يداخلنى من مودتك وخلطتك(١) سرور لا يعدله شئ وهذا الامر
الذى تطلبه منى أعلم أنه من الاسرار التى لا تكتم فلا بد أن يفشو ويظهر حتى
يتحدث به الناس فاذا فشا فقد سعيت فى هلاكى هلاكا لا أقدر على الفداء منه
بالمال وان كثر لأن ملكنا فظ غليظ يعاقب على الذنب الصغير أشد العقاب
فكيف مثل هذا الذنب العظيم واذا حملتنى المودة التى بينى وبينك فأسعفتك
بحاجتك لم يرد عقابه عنى شئ قال برزويه إن العلماء قد مدحت الصديق اذا
كتم سر صديقه وأعانه على الفوز وهذا الامر الذى قدمت له لمثلك ذخرته
وبك أرجو بلوغه وأنا واثق بكرم طباعك ووفور عقلك واعلم أنك لا تخشى
منى ولا تخاف أن أبديه بل تخشى أهل بيتك الطائفين بك وبالملك أن يسعوا
بك اليه وأنا أرجو ألا يشيع شئ من هذا الامر لانى أنا ظاعن وأنت مقيم
وما أقمت فلا ثالث بيننا فتعاهدا على هذا جميعا وكان الهندى خازن الملك
وبيده مفاتيح خزائنه فأجابه الى ذلك الكتاب والى غيره من الكتب فأكب
على تفسيره ونقله من اللسان الهندى الى اللسان الفارسى وأتعب نفسه
وأنصب بدنه ليلا ونهارا وهو مع ذلك وجل وفزع من ملك الهند خائف على
نفسه من أن يذكر الملك الكتاب فى وقت ولا يصادفه فى خزانته فلما فرغ من

---

(١) العشره

انتساخ الكتاب وغيره مما أراد من سائر الكتب كتب الى أنوشروان يعلمه بذلك فلما وصل اليه الكتاب سر بذلك سرورا شديدا ثم تخوف معاجلة المقادير أن تنغص عليه فرحه فكتب الى برزويه يأمره بتعجيل القدوم فسار برزويه متوجها نحو كسرى فلما رأى الملك ما قد مسه من الشحوب[1] والتعب والنصب قال له أيها العبد الناصح الذي يأكل ثمرة ما قد غرس أبشر وقر عينا فانى مشرفك وبالغ بك أفضل درجة وأمره أن يريح بدنه سبعة أيام فلما كان اليوم الثامن أمر الملك أن يجتمع اليه الامراء والعلماء فلما اجتمعوا أمر برزويه بالحضور فحضر ومعه الكتب ففتحها وقرأها على من حضر من أهل المملكة فلما سمعوا ما فيها من العلم فرحوا فرحا شديدا وشكروا الله على ما رزقهم ومدحوا برزويه وأثنوا عليه وأمر الملك أن تفتح لبرزويه خزائن اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة وأمره أن يأخذ من الخزائن ما شاء من مال أو كسوة وقال يا برزويه انى قد أمرت أن تجلس على مثل سريرى هذا وتلبس تاجا وتترأس على جميع الاشراف فسجد برزويه للملك ودعا له وطلب من الله وقال أكرم الله تعالى الملك كرامة الدنيا والآخرة وأحسن عنى ثوابه وجزاءه فانى بحمد الله مستغن عن المال بما رزقنى الله على يد الملك السعيد الجد العظيم الملك ولا حاجة لى بالمال لكن لما كلفنى الملك ذلك وعلمت أنه يسره أنا أمضى الى الخزائن فآخذ منها طلبا لمرضاته وامتثالا لأمره ثم قصد خزانة الثياب فأخذ منها تختا[2] من طرائف خراسان من ملابس الملوك فلما قبض برزويه ما اختاره ورضيه من الثياب قال أكرم الله الملك ومد فى عمره أبد الابد ان الانسان اذا أكرم وجب عليه الشكر وان كان قد استوجبه تعبا ومشقة فقد كان فيهما رضاء الملك وأما أنا فالقيته من عناء وتعب ومشقة

---

(١) تغير اللون من السفر ونحوه (٢) وعاء تصان فيه الثياب

لما أعلم أن لكم فيه الشرف يا أهل هذا البيت فانى لم أزل الى هذا اليوم تابعا راضيا كم أرى العسير فيه يسيرا والشاق هينا والنصب والاذى سرورا ولذة لما أعلم أن لكم فيه رضاء وقربة عندكم ولكنى أسألك أيها الملك حاجة تسعفنى بها وتعطينى فيها سؤلى فان حاجتى يسيره وفى قضائها فائدة كثيره قال أنوشروان قل فكل حاجة لك قبلنا مقضية فانك عندنا عظيم ولو طلبت مشاركتنا فى ملكنا الفعلنا ولم نرد طلبتك فكيف ماسوى ذلك فقل ولا تحتشم فان الامور كلها مبذولة لك قال برزويه أيها الملك لا تنظر الى عنائى فى رضاك وانكماشى[1] فى طاعتك فانما أنا عبدك يلزمنى بذل مهجتى فى رضاك ولو لم تجزنى لم يكن ذلك عندى عظيما ولا واجبا على الملك ولكن لكرمه وشرف منصبه عمد الى مجازاتى وخصنى وأهل بيتى بعلو المرتبة ورفع الدرجة حتى لو قدر أن يجمع لنا بين شرف الدنيا والآخرة لفعل فجزاه الله عنا أفضل الجزاء قال أنوشروان اذكر حاجتك فعلىّ ما يسرك فقال برزويه حاجتى أن يأمر الملك أعلاه الله تعالى وزيره بزرجمهر بن البختكان ويقسم عليه أن يعمل فكره ويجمع رأيه ويجهد طاقته ويفرغ قلبه فى نظم تأليف كلام متقن محكم ويجعله بابا يذكر فيه أمرى ويصف حالى ولا يدع من المبالغة فى ذلك أقصى ما يقدر عليه ويأمره اذا استتمه أن يجعله أول الابواب التى تقرأ قبل باب الاسد والثور فان الملك اذا فعل ذلك فقد بلغ بى وبأهلى غاية الشرف وأعلى المراتب وأبقى لنا مالا يزال ذكره باقيا على الابد حيثما قرئ هذا الكتاب

فلما سمع كسرى أنوشروان والعظماء مقالته وما سمت اليه نفسه من محبة ابقاء الذكر واستحسنوا طلبته واختياره قال كسرى حبا وكرامة لك يا برزويه انك لأهل أن تسعف بحاجتك فما أقل ما قنعت به وأيسره عندنا

---

(١) الانكماش فى الامر الجد فيه

وان كان خطره[١] عندك عظيما ثم أقبل أنوشروان على وزيره بزرجمهر
فقال له قد عرفت مناصحة برزويه لنا وتجشمه[٢] المخاوف والمهالك فيما
يقربه منا واتعابه بدنه فيما يسرنا وما أتى به الينامن المعروف وما أفادنا الله
على يده من الحكمة والادب الباقى لنا فخره وما عرضنا عليه من خزائننا لنجزيه
بذلك على ما كان منه فلم تمل نفسه الى شئ من ذلك وكان بغيته وطلبته منا
أمرا يسيرا رآه هو الثواب منا له والكرامة الجليلة عنده فانى أحب أن تتكلم
فى ذلك وتسعفه بحاجته وطلبته واعلم أن ذلك مما يسرنى ولا تدع شيأ من
الاجتهاد والمبالغة الابلغته وان نالتك فيه مشقة وهو أن تكتب بابا مضارعا
لتلك الابواب التى فى الكتاب وتذكر فيه فضل برزويه وكيف كان ابتداء أمره
وشأنه وتنسبه اليه والى حسبه وصناعته وتذكر فيه بعثته الى بلاد الهند
فى حاجتنا وما أفدنا على يديه من هنالك وشرفنا به وفضلنا على غيرنا
وكيف كان حال برزويه وقدومه من بلاد الهند فقل ما تقدر عليه من التقريظ
والاطناب فى مدحه وبالغ فى ذلك أفضل المبالغة واجتهد فى ذلك اجتهادا
يسر برزويه وأهل المملكة وان برزويه أهل لذلك منى ومن جميع أهل المملكة
ومنك أيضا لمحبتك للعلوم واجهد أن يكون غرض هذا الكتاب الذى ينسب
الى برزويه أفضل من أغراض تلك الابواب عند الخاص والعام وأشد
مشاكلة لحال هذا العلم فانك أسعد الناس كلهم بذلك لانفرادك بهذا الكتاب
واجعله أول الابواب فاذا أنت عملته ووضعته فى موضعه فأعلنى لأجمع أهل
المملكة وتقرأه عليهم فيظهر فضلك واجتهادك فى محبتنا فيكون لك بذلك فخر
فلما سمع بزرجمهر مقالة الملك خر له ساجدا وقال أدام الله لك أيها الملك البقاء
وبلغك أفضل منازل الصالحين فى الآخرة والاولى لقد شرفتنى بذلك شرفا باقيا

(١) القدر والشرف (٢) تجشم الامر تكلفه على مشقة

الى الأبد ثم خرج برزجمهر من عند الملك فوصف برزويه من أول يوم دفعه أبواه الى العلم ومضيه الى بلاد الهند فى طلب العقاقير(١) والادوية وكيف تعلم خطوطهم ولغتهم الى أن بعثه أنوشروان الى الهند فى طلب الكتاب ولم يدع من فضائل برزويه وحكمته وخلائقه ومذهبه أمراً الا نسقه وأتى به بأجود ما يكون من الشرح ثم أعلم الملك بفراغه منه فجمع أنوشروان أشراف قومه وأهل مملكته وأدخلهم اليه وأمر برزجمهر بقراءة الكتاب وبرزويه قائم الى جانب برزجمهر وابتدأ بوصف برزويه حتى انتهى الى آخره ففرح الملك بما أتى به برزجمهر من الحكمة والعلم ثم أثنى الملك وجميع من حضره على برزجمهر وشكروه ومدحوه وأمر له الملك بمال جزيل وكسوة وحلى وأوان فلم يقبل من ذلك غير كسوة كانت من ثياب الملوك ثم شكر له ذلك برزويه وقبل رأسه ويده وأقبل برزويه على الملك وقال أدام الله لك الملك والسعادة فقد بلغت بى وبأهلى غاية الشرف بما أمرت به برزجمهر من صنعة الكتاب(٢) فى أمرى وابقاء ذكرى

باب عرض الكتاب ترجمة عبد الله بن المقفع

هذا كتاب كليلة ودمنة وهو مما وضعته علماء الهند من الامثال والاحاديث التى ألهموا أن يدخلوا فيها أبلغ ما وجدوا من القول فى النحو الذى أرادوا ولم تزل العلماء من أهل كل ملة يلتمسون أن يعقل عنهم ويحتالون فى ذلك بصنوف الحيل ويبتغون اخراج ما عندهم من العلل حتى كان من تلك العلل وضع هذا الكتاب على أفواه البهائم والطير فاجتمع لهم بذلك خلال أما هم فوجدوا منصرفاً فى القول وشعابا يأخذون منها وأما الكتاب فجمع

(١) أصول الادوية مفردها عقار (٢) مصدر كتب

حكمه واهوا فاختاره الحكماء لحكمته والسفهاء للهوه والمتعلم من الاحداث ناشط فى حفظ ما صار اليه من أمر يربط فى صدره ولا يدرى ماهو بل عرف انه قد ظفر من ذلك بمكتوب مرقوم وكان كالرجل الذى لما استكمل الرجولية وجد أبويه قد كنزا له كنوزا وعقدا له عقودا استغنى بها عن الكدح⁽¹⁾ فيما يعمله من أمر معيشته فأغناه ما أشرف عليه من الحكمة عن الحاجة الى غيرها من وجوه الادب

و ينبغى لمن قرأ هذا الكتاب أن يعرف الوجوه التى وضعت له والى أى غاية جرى مؤلفه فيه عندما نسبه الى البهائم وأضافه الى غير مفصح وغير ذلك من الاوضاع التى جعلها أمثالا فان قارئه متى لم يفعل ذلك لم يدر ما أريد بتلك المعانى ولا أى ثمرة يجتنى منها ولا أى نتيجة تحصل له من مقدمات ما تضمنه هذا الكتاب وانه وان كان غايته استتمام قراءته الى آخره دون معرفة ما يقرأ منه لم يعد عليه شئ يرجع اليه نفعه ومن استكثر من جمع العلوم وقراءة الكتب من غير اعمال الروية فيما يقرؤه كان خليقا أن لا يصيبه الا ما أصاب الرجل الذى زعمت العلماء أنه اجتاز ببعض المفاوز فظهر له موضع آثار كنز فجعل يحفر و يطلب فوقع على شئ من عين وورق فقال فى نفسه ان أنا أخذت فى نقل هذا المال قليلا قليلا طال على وقطعنى الاشتغال بنقله واحرازه عن اللذة بما أصبت منه ولكن سأستأجر أقواما يحملونه الى منزلى وأكون أنا آخرهم ولا يكون بقى ورائى شئ يشغل فكرى بنقله وأكون قد استظهرت⁽²⁾ لنفسى فى إراحة بدنى عن الكد بيسير أجرة أعطيهم اياها ثم جاء بالحمالين فجعل يحمل كل واحد منهم ما يطيق فينطلق به الى منزله فيفوز به حتى اذا لم يبق من الكنز شئ انطلق خلفهم الى منزله فلم يجد فيه

---

(١) الكد والسعى (٢) استعنت

من المال شيأ لا قليلا ولا كثيرا واذا كل واحد من الحمالين قد فاز بما حمله لنفسه ولم يكن له من ذلك الا العناء والتعب لانه لم يفكر فى آخر أمره وكذلك من قرأ هذا الكتاب ولم يفهم ما فيه ولم يعلم غرضه ظاهرا و باطنا لم ينتفع بما بدا له من خطه ونقشه كما لو أن رجلا قدم له جوز صحيح لم ينتفع به الا أن يكسره وكان أيضا كالرجل الذى طلب علم الفصيح من كلام الناس فأتى صديقا له من العلماء له علم بالفصاحة فأعلمه حاجته الى علم الفصيح فرسم له صديقه فى صحيفة صفراء فصيح الكلام وتصاريفه ووجوهه فانصرف المتعلم الى منزله فجعل يكثر قراءتها ولا يقف على معانيها ثم انه جلس ذات يوم فى محفل من أهل العلم والادب فأخذ فى محاورتهم فجرت له كلمة أخطأ فيها فقال له بعض الجماعة انك قد أخطأت والوجه غير ما تكلمت به فقال كيف أخطئ وقد قرأت الصحيفة الصفراء وهى فى منزلى فكانت مقالته لهم أوجب للحجة عليه وزاده ذلك قربا من الجهل وبعدا من الادب .

ثم ان العاقل اذا فهم هذا الكتاب و بلغ نهاية علمه فيه ينبغى له أن يعمل بما علم منه لينتفع به ويجعله مثالا لا يحيد عنه فاذا لم يفعل ذلك كان مثله كالرجل الذى زعموا أن سارقا تسور عليه وهو قائم فى منزله فعلم به فقال والله لأسكتن حتى أنظر ماذا يصنع ولا أذعره ولا أعلمه انى قد علمت به فاذا بلغ مراده قمت اليه فنغصت ذلك عليه ثم انه أمسك عنه وجعل السارق يتردد وطال تردده فى جمعه ما يجده فغلب الرجل النعاس فنام وفرغ اللص مما أراد وأمكنه الذهاب واستيقظ الرجل فوجد اللص قد أخذ المتاع وفاز به فأقبل على نفسه يلومها وعرف أنه لم ينتفع بعلمه باللص اذ لم يستعمل فى أمره ما يجب فالعلم لا يتم الا بالعمل وهو كالشجرة والعمل به كالثمرة وانما صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع به وان لم يستعمل ما يعلم لا يسمى عالما ولو أن رجلا كان عالما

بطريق مخوف ثم سلكه على علم به سمى جاهلا ولعله إن حاسب نفسه وجدها قد ركبت أهواء هجمت بها فيما هو أعرف بضررها فيه وأذاها من ذلك السالك فى الطريق المخوف الذى قد جهله ومن ركب هواه ورفض ما ينبغى أن يعمل بما جرّبه هو أو أعلمه به غيره كان كالمريض العالم بردىء الطعام والشراب وجيده وخفيفه وثقيله ثم يحمله الشره على أكل رديئه وترك ماهو أقرب الى النجاة والتخلص من علته وأقل الناس عذرا فى اجتناب محمود الافعال وارتكاب مذمومها من أبصر ذلك وميزه وعرف فضل بعضه على بعض كما أنه لو أن رجلين أحدهما بصير والآخر أعمى ساقهما الاجل الى حفرة فوقعا فيها كانا اذا صارا فى قاعها بمنزلة واحدة غير أن البصير أقل عذرا عند الناس من الضرير اذ كانت له عينان يبصر بهما وذاك بما صار اليه جاهل غير عارف

وعلى العالم أن يبدأ بنفسه ويؤدبها بعلمه ولا تكون غايته اقتناء العلم لمعاونة غيره ويكون كالعين التى يشرب الناس ماءها وليس لها فى ذلك شىء من المنفعة وكدودة القز التى تحكم صنعته ولا تنتفع به فينبغى لمن طلب العلم أن يبدأ بعظة نفسه ثم عليه بعد ذلك أن يقبسه (١) فان خلالا ينبغى لصاحب الدنيا أن يقتنيها ويقبسها منها العلم والمال ومنها اتخاذ المعروف وليس للعالم أن يعيب امرأ بشىء فيه مثله ويكون كالاعمى الذى يعير الاعمى بعماه وينبغى لمن طلب أمرا أن يكون له فيه غاية ونهاية ويعمل بها ويقف عندها ولا يتمادى فى الطلب فانه يقال من سار الى غير غاية يوشك أن تنقطع به مطيته وأنه كان حقيقا أن لا يُعَنِّى نفسه فى طلب ما لا حد له وما لم ينله أحد قبله ولا يتأسف عليه ولا يكون لدنياه مؤثرا على آخرته فان من لم يتعلق قلبه

(١) أقبسهُ العلم وقبسه اياه يقبِسُه أفاده اياه ويقال اقتبست منه علما وقبست استفدت

بالغايات قلت حسرته عند مفارقتها وقد يقال فى أمرين انهما يجملان بكل أحد أحدهما النسك والآخر المال الحلال ولا يليق بالعاقل أن يؤنب نفسه على ما فاته وليس فى مقدوره فربما أتاح الله له ما يهنأ به ولم يكن فى حسبانه ومن أمثال هذا أن رجلا كان به فاقة وجوع وعرى فألجأه ذلك الى أن سأل أقاربه وأصدقاءه فلم يكن عند أحد منهم فضل يعود به عليه فبينما هو ذات ليلة فى منزله اذ بصر(١) بسارق فيه فقال والله ما فى منزلى شئ أخاف عليه فليجهد السارق جهده فبينما السارق يجول اذ وقعت يده على خابية فيها حنطة فقال السارق والله ما أحب أن يكون عنائى الليلة باطلا ولعلى لا أصل الى موضع آخر ولكن سأحمل هذه الحنطة ثم بسط قميصه ليصب عليه الحنطة فقال الرجل أيذهب هذا بالحنطة وليس ورائى سواها فيجتمع على مع العرى ذهاب ما كنت أقتات به وما تجتمع والله هاتان الخلتان على أحد الا أهلكتاه ثم صاح بالسارق وأخذ هراوة(٢) كانت عند رأسه فلم يكن للسارق حيلة الا الهرب منه وترك قميصه ونجا بنفسه وغدا الرجل به كاسيا وليس ينبغى أن يركن الى مثل هذا ويدع ما يجب عليه من الحذر والعمل فى مثل هذا لصلاح معاشه ولا ينظر الى من تؤاتيه المقادير وتساعده على غير التماس منه لأن أولئك فى الناس قليل والجمهور منهم من أتعب نفسه فى الكد والسعى فيما يصلح أمره وينال به ما أراد وينبغى أن يكون حرصه على ما طاب كسبه وحسن نفعه ولا يتعرض لما يجلب عليه العناء والشقاء فيكون كالحمامة التى تفرخ الفراخ فتؤخذ وتذبح ثم لا يمنعها ذلك أن تعود فتفرخ موضعها وتقيم بمكانها فتؤخذ الثانية من فراخها فتذبح وقد يقال ان الله تعالى قد جعل لكل شئ حدا يوقف عليه ومن تجاوز فى الاشياء حدها أوشك أن

(١) بصر به كظرف وفرح أبصره (٢) الهراوة بالكسر العصا الضخمة

يلحقه التقصير عن بلوغها ويقال من كان سعيه لآخرته ودنياه فحياته له وعليه و يقال فى ثلاثة أشياء يجب على صاحب الدنيا اصلاحها و بذل جهده فيها منها أمر معيشته ومنها ما بينه و بين الناس ومنها ما يكسبه الذكر الجميل بعده وقد قيل فى أمور من كن فيه لم يستقم له عمل منها التوانى ومنها تضييع الفرص ومنها التصديق لكل مخبر فرب مخبر بشئ عقله ولا يعرف استقامته فيصدقه و ينبغى للعاقل أن يكون لهواه متهما ولا يقبل من كل أحد حديثا ولا يتمادى فى الخطا اذا ظهر له خطؤه ولا يقدم على أمر حتى يتبين له الصواب وتتضح له الحقيقة ولا يكون كالرجل الذى يحيد عن الطريق فيستمر على الضلال فلا يزداد فى السير الا جهدا وعن القصد الا بعدا وكالرجل الذى تقذى عينه فلا يزال يحكها وربما كان ذلك الحك سببا لذهابها و يجب على العاقل أن يصدق بالقضاء والقدر و يأخذ بالحزم و يحب للناس ما يحب لنفسه ولا يلتمس صلاح نفسه بفساد غيره فانه من فعل ذلك كان خليقا أن يصيبه ما أصاب التاجر من رفيقه

فانه يقال انه كان رجل تاجر وكان له شريك فاستأجرا حانوتا وجعلا متاعهما فيه وكان أحدهما قريب المنزل من الحانوت فأضمر فى نفسه أن يسرق عدلا من أعدال[1] رفيقه ومكر الحيلة فى ذلك وقال ان أتيت ليلا لم آمن أن أحمل عدلا من أعدالى أو رزمة[2] من رزمى ولا أعرفها فيذهب عنائى وتعبى باطلا فأخذ رداءه وألقاه على العدل الذى أضمر أخذه ثم انصرف الى منزله وجاء رفيقه بعد ذلك ليصلح أعداله فوجد رداء شريكه على بعض أعداله فقال والله هذا رداء صاحبى ولا أحسبه الا قد نسيه وما الرأى أن أدعه ههنا ولكن أجعله على رزمه فلعله يسبقنى الى الحانوت فيجده حيث

---

(١) الاعدال الامتعة (٢) الرزمة بالكسر هى التى فيها ضروب من الثياب

يحب ثم أخذ الرداء فالقاه على عدل من أعدال رفيقه وأقفل الحانوت ومضى الى منزله فلما جاء الليل أتى رفيقه ومعه رجل قد واطأه[1] على ما عزم عليه وضمن له جُعْلا على حمله فصار الى الحانوت فالتمس الازار فى الظلمة فوجده على العدل فاحتمل ذلك العدل وأخرجه هو والرجل وجعلا يتراوحان[2] على حمله حتى أتى منزله ورمى نفسه تَعَبًا فلما أصبح افتقده فاذا هو بعض أعداله فندم أشد الندامة ثم انطلق نحو الحانوت فوجد شريكه قد سبقه اليه ففتح الحانوت ووجد العدل مفقودا فاغتم لذلك غما شديدا وقال واسوأتاه من رفيق صالح قد ائتمننى على ماله وخلفنى فيه ماذا يكون حالى عنده ولست أشك فى تُهَمَته إياى ولكن قد وطنت نفسى على غرامته ثم أتى صاحبه فوجده مغتما فسأله عن حاله فقال انى قد افتقدت الاعدال وفقدت عدلا من أعدالك ولا أعلم[3] بسببه وانى لا أشك فى تُهَمتك اياى وانى قد وطنت نفسى على غرامته فقال له يا أخى لا تغتم فان الخيانة شر ما عمله الانسان والمكر والخديعة لا يؤديان الى خير وصاحبهما مغرور أبدا وما عاد وبال البغى الا على صاحبه وأنا أحد من مكر وخدع واحتال فقال له صاحبه وكيف كان ذلك فأخبره بخبره وقص عليه قصته فقال له رفيقه ما مثلك الا مثل اللص والتاجر فقال له وكيف كان ذلك .

قال زعموا أن تاجرا كان له فى منزله خابيتان[4] احداهما مملوءة حنطة والاخرى مملوءة ذهبا فترقبه بعض اللصوص زمانا حتى اذا كان بعض الايام تشاغل التاجر عن المنزل فتغفله[5] اللص ودخل المنزل وكمن فى بعض نواحيه فلما هم بأخذ الخابية التى فيها الدنانير أخذ التى فيها الحنطة وظنها

---

(١) وافقه (٢) يتناوبان (٣) أشعر (٤) الخابية الجب وأصلها الهمز لانها من خبأت (٥) اغتنم غفلته

التي فيها الذهب ولم يزل في كدّ وتعب حتى أتى بها منزله فلما فتحها وعلم ما فيها ندم
قال له الخائن ما أبعدت المثل ولا تجاوزت القياس وقد اعترفت بذنبي وخطئي
عليك وعزيز عليّ أن يكون هذا كهذا غير أن النفس الرديئة تأمر بالفحشاء
فقبل الرجل معذرته وأضرب عن توبيخه وعن الثقة به وندم هو عند ما عاين
من سوء فعله وتقديم جهله

وقد ينبغي للناظر في كتابنا هذا أن لا تكون غايته التصفح لتزاويقه بل
يشرف[1] على ما يتضمن من الامثال حتى ينتهي منه ويقف عند كل مثل
وكلمة ويعمل فيها رويته ويكون مثل أصغر الاخوة الثلاثة الذين خلف لهم
أبوهم المال الكثير فتنازعوه[2] بينهم فأما الكبيران فانهما أسرعا في إتلافه
وانفاقه في غير وجهه وأما الصغير فانه عندما نظر ما صار اليه أخواه من
إسرافهما وتخليهما من المال أقبل على نفسه يشاورها وقال يا نفسي انما
المال يطلبه صاحبه ويجمعه من كل وجه لبقاء حاله وصلاح معاشه ودنياه
وشرف منزلته في أعين الناس واستغنائه عما في أيديهم وصرفه في وجهه
من صلة الرحم والانفاق على الولد والافضال على الاخوان فمن كان له مال
ولا ينفقه في حقوقه كان كالذي يعد فقيرا وان كان موسرا وان هو أحسن
امساكه والقيام عليه لم يعدم الامرين جميعا من دنيا تبقى عليه وحمد
يضاف اليه ومتى قصد انفاقه على غير الوجوه التي علمت لم يلبث أن يتلفه
ويبقى على حسرة وندامة ولكن الرأي أن أمسك هذا المال فاني أرجو أن
ينفعني الله به ويغني أخويّ على يدي فانما هو مال أبي ومال أبيهما وان أولى
الانفاق على صلة الرحم وان بعدت فكيف بأخويّ فأنفذ فأحضرهما
وشاطرهما ماله

---

(١) أصل معناه يطلع عليه من فوق والمراد هنا يدقق ويتأمل (٢) تنازعوه تناولوه

وكذلك يجب على قارئ هذا الكتاب أن يديم النظر فيه من غير ضجر ويلتمس جواهر معانيه ولا يظن أن نتيجته الاخبار عن حيلة بهيمتين أو محاورة سبع لثور فينصرف بذلك عن الغرض المقصود ويكون مثله مثل الصياد الذى كان فى بعض الخلجان يصيد فيه السمك فى زورق[1] فرأى ذات يوم فى أرض الماء صدفة تتلألأ حسنا فتوهمها جوهرا له قيمة وكان قد ألقى شبكته فى البحر فاشتملت على سمكة كانت قوت يومه فخلاها وقذف نفسه فى الماء ليأخذ الصدفة فلما أخرجها وجدها فارغة لا شىء فيها مما ظن فندم على ترك ما فى يده للطمع وتأسف على ما فاته فلما كان اليوم الثانى تنحى عن ذلك المكان وألقى شبكته فأصاب حوتا صغيرا ورأى أيضا صدفة سنية فلم يلتفت اليها وساء ظنه بها فتركها فاجتاز بها بعض الصيادين فأخذها فوجد فيها درة تساوى أموالا وكذلك الجهال اذا أغفلوا أمر التفكر فى هذا الكتاب وتركوا الوقوف على أسرار معانيه وأخذوا بظاهره . ومن صرف همته الى النظر فى أبواب الهزل كان كرجل أصاب أرضا طيبة حرة وحبا صحيحا فزرعها وسقاها حتى اذا قرب خيرها وأينعت تشاغل عنها بجمع ما فيها من الزهر وقطع الشوك فأهلك بتشاغله ما كان أحسن فائده وأجمل عائده

وينبغى للناظر فى هذا الكتاب أن يعلم أنه ينقسم الى أربعة أغراض . أحدها ما قصد فيه الى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة ليسارع الى قراءته أهل الهزل من الشبان فتستمال به قلوبهم لانه الغرض بالنوادر من حيل الحيوانات . والثانى اظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصباغ والالوان ليكون أنسا لقلوب الملوك ويكون حرصهم عليه أشد للنزهة فى تلك الصور . والثالث أن يكون على هذه الصفة فيتخذه الملوك والسوقة فيكثر بذلك

---

(١) سفينة صغيرة

انتساخه ولا يبطل فيخلق على مرور الايام ولينتفع بذلك المصور والناسخ أبدا . والغرض الرابع وهو الاقصى وذلك مخصوص بالفيلسوف خاصة

(انقضى باب عرض الكتاب)

باب برزويه ترجمة بزرجمهر بن البختكان

قال برزويه رأس أطباء فارس وهو الذى تولى انتساخ هذا الكتاب وترجمه من كتب الهند (وقد مضى ذكر ذلك من قبل) ان أبى كان من المقاتلة وكانت أمى من عظماء بيوت الزمازمة[1] وكان منشئى فى نعمة كاملة وكنت أكرم ولد أبوىّ عليهما وكانا بى أشد احتفاظا من دون اخوتى حتى اذا بلغت سبع سنين أسلمانى الى المؤدب فلما حذقت فى الكتابة شكرت أبوىّ ونظرت فى العلم فكان أول ما ابتدأت به وحرصت عليه علم الطب لأنى كنت عرفت فضله وكلما ازددت منه علما ازددت فيه حرصا وله اتباعا فلما هممت نفسى بمداواة المرضى وعزمت على ذلك آمرتها[2] ثم خيرتها بين الامور الاربعة التى يطلبها الناس وفيها يرغبون ولها يسعون فقلت أى هذه الخلال أبتغى فى علمى وأيها أحرى بى فأدرك منه حاجتى المال أم الذكر أم اللذات أم الآخرة وكنت وجدت فى كتب الطب أن أفضل الاطباء من واظب على طبه لا يبتغى الا الآخرة فرأيت أن أطلب الاشتغال بالطب ابتغاء الآخرة لئلا أكون كالتاجر الذى باع ياقوتة ثمينة بخرزة لا تساوى شيأ مع أنى قد وجدت فى كتب الأولين أن الطبيب الذى يبتغى بطبه أجر الآخرة لا ينقصه ذلك حظه من الدنيا وأن مثله مثل الزارع الذى يعمر أرضه ابتغاء الزرع لا ابتغاء العشب ثم هى لا محالة نابت فيها ألوان العشب مع يانع الزرع فأقبلت

---

(١) طائفة من الفرس (٢) شاورتها

على مداواة المرضى ابتغاء أجر الآخرة فلم أدع مريضاً أرجو له البرء وآخر لا أرجو له ذلك الا أنى أطمع أن يخف عنه بعض المرض الا بالغت فى مداواته ما أمكننى القيام عليه بنفسى ومن لم أقدر على القيام عليه وصفت له ما يصلح وأعطيته من الدواء ما يتعالج به ولم أرد ممن فعلت معه ذلك جزاء ولا مكافأة ولم أغبط أحداً من نظرائى الذين هم دونى فى العلم وفوقى فى الجاه والمال وغيرهما مما لا يعود بصلاح ولا حسن سيرة قولا ولا عملا ولما تاقت نفسى الى غشيانهم وتمنت منازلهم أثبت لها الخصومة فقلت لها يا نفس أما تعرفين نفعك من ضرك ألا تنتهين عن تمنى ما لا ينال أحد الا قل انتفاعه به وكثر عناؤه فيه واشتدت المؤونة عليه وعظمت المشقة لديه بعد فراقه يا نفسى أما تذكرين ما بعد هذه الدار فينسيك ما تشرهين اليه منها ألا تستحيين من مشاركة الفجار فى حب هذه العاجلة الفانية التى من كان فى يده شىء منها فليس له وليس بباق عليه فلا يألفها الا المغترون الجاهلون يا نفس انظرى فى أمرك وانصرفى عن هذا السفه وأقبلى بقوتك وسعيك على تقديم الخير واياك والشر واذكرى أن هذا الجسد موجود لآفات وأنه مملوء أخلاطا فاسدة قذرة تعقدها الحياة والحياة الى نفاد كالصنم المفصلة أعضاؤه اذا ركبت ووضعت يجمعها مسمار واحد و يضم بعضها الى بعض فاذا أخذ ذلك المسمار تساقطت الاوصال يا نفس لا تغترى بصحبة أحبائك وأصحابك ولا تحرصى على ذلك كل الحرص فان صحبتهم على ما فيها من السرور كثيرة المؤونة وعاقبة ذلك الفراق ومثلها مثل المغرفة التى تستعمل فى جدتها لسخونة المرق فاذا انكسرت صارت وقودا يا نفس لا يحملنك أهلك وأقاربك على جمع ما تهلكين فيه ارادة صلتهم فاذا أنت كالدُّخْنَة(١) الأرجة(٢) التى تحترق ويذهب آخرون

---

(١) الدُّخْنة بَخُور يبخر به الثياب أو البيت (٢) ذات الرائحة الطيبة

بريحها يا نفس لا يبعد عليك أمر الآخرة فتميلي الى العاجلة فى استعجال القليل وبيع الكثير باليسير كالتاجر الذى كان له مل‌ء بيت من الصندل فقال ان بعته وزنا طال عليّ فباعه جزافا(١) بأبخس الثمن وقد وجدت آراء الناس مختلفة وأهواءهم متباينة وكلٌّ على كلٍّ رادٌّ وله عدوّ ومغتاب ولقوله مخالف فلما رأيت ذلك لم أجد الى متابعة أحد منهم سبيلا وعرفت أني ان صدقت أحدا منهم لا علم لى بحاله كنت فى ذلك كالمصدق المخدوع الذى زعموا فى شأنه أن سارقا علا ظهر بيت رجل من الاغنياء وكان معه جماعة من أصحابه فاستيقظ صاحب المنزل من حركة أقدامهم فعرّف امرأته ذلك فقال لها رويدا انى لأحسب اللصوص علوا البيت فايقظيني بصوت يسمعه اللصوص وقولى ألا تخبرنى أيها الرجل عن أموالك هذه الكثيرة وكنوزك العظيمة فاذا نهيتك عن هذا السؤال فألحى عليّ بالسؤال ففعلت المرأة ذلك وسألته كما أمرها وأنصتت اللصوص الى سماع قولهما فقال لها الرجل أيتها المرأة قد ساقك القدر الى رزق واسع كثير فكلى واسكتى ولا تسألى عن أمر ان أخبرتك به لم آمن أن يسمعه أحد فيكون فى ذلك ما أكره وتكرهين فقالت المرأة أخبرنى أيها الرجل فلعمرى ما بقربنا أحد يسمع كلامنا فقال لها فانى أخبرك أنى لم أجمع هذه الاموال الا من السرقة قالت وكيف كان ذلك وما كنت تصنع قال ذلك لعلم أصبته فى السرقة وكان الامر عليّ يسيرا وأنا آمن من أن يتهمنى أحد أو يرتاب فيّ قالت فاذكر لى ذلك قال كنت أذهب فى الليلة المقمرة أنا وأصحابى حتى أعلو دار بعض الاغنياء مثلنا فأنتهى الى الكوّة التى يدخل منها الضوء فأرقى بهذه الرقية وهى شولم شولم سبع مرات وأعتنق الضوء فلا يحس بوقوعى أحد فلا أدع مالا ولا متاعا

---

(١) مثلث الفاء

الاأخذته ثم أرقى بتلك الرقية سبع مرات وأعتنق الضوء فيجذبنى فأصعد الى أصحابى فنمضى سالمين آمنين فلما سمع اللصوص ذلك قالوا قد ظفرنا الليلة بما نريد من المال ثم انهم أطالوا المكث حتى ظنوا أن صاحب الدار وزوجته قد هجعا فقام قائدهم الى مدخل الضوء وقال شولم شولم سبع مرات ثم اعتنق الضوء لينزل الى أرض المنزل فوقع على أم رأسه منكَّسا فوثب اليه الرجل بهراوته وقال له من أنت قال أنا المصدّق المخدوع المغتر بما لا يكون أبدا وهذه ثمرة رقيتك . فلما تحرزت من تصديق ما لا يكون ولم آمن ان صدقته أن يوقعنى فى مهلكة عدت الى طلب الاديان والتماس العدل منها فلم أجد عند أحد ممن كلمته جوابا فيما سألته عنه فيها ولم أر فيما كلمونى به شيأ يحق لى فى عقلى أن أصدّق به ولا أن أتبعه فقلت لما لم أجد ثقة آخذ منه الرأى أن ألزم دين آبائى وأجدادى الذى وجدتهم عليه فلما ذهبت ألتمس العذر لنفسى فى لزوم دين الآباء والاجداد لم أجد لها على الثبوت على دين الآباء طاقة بل وجدتها تريد أن تتفرغ للبحث عن الاديان والمسألة عنها والنظر فيها فهجس[1] فى قلبى وخطر على بالى قرب الاجل وسرعة انقطاع الدنيا واعتباط[2] أهلها وتخرّم[3] الدهر حياتهم ففكرت فى ذلك فلما خفت من التردّد والتحوّل رأيت ألاّ أتعرض لما أتخوّف منه المكروه وأن أقتصر على عمل تشهد النفس أنه يوافق كل الاديان فكففت يدى عن القتل والضرب وطرحت نفسى عن المكروه والغضب والسرقة والخيانة والكذب والبهتان والغيبة وأضمرت فى نفسى أن لا أبغى على أحد ولا أكذب بالبعث ولا القيامة ولا الثواب ولا العقاب وزايلت الاشرار بقلبى وحاولت الجلوس مع الاخيار بجهدى ورأيت الصلاح ليس كمثله صاحب ولا قرين ووجدت مكسبه

(١) وقع وخطر وبابه ضرب (٢) هلاكهم بدون مرض (٣) القطع والاستئصال

اذا وفق الله وأعان يسيرا ووجدته يدل على الخير ويشير بالنصح فعل الصديق بالصديق ووجدته لا ينقص على الانفاق منه بل يزداد جدة[1] وحسنا ووجدته لا خوف عليه من السلطان أن يغصبه ولا من الماء أن يغرقه ولا من النار أن تحرقه ولا من اللصوص أن تسرقه ولا من السباع وجوارح الطير أن تمزقه ووجدت الرجل الساهي اللاهي المؤثر اليسير يناله في يومه ويعدمه في غده على الكثير الباقي نعيمه يصيبه ما أصاب التاجر الذي زعموا أنه كان له جوهر نفيس فاستأجر لثقبه رجلا في اليوم بمائة دينار وانطلق به الى منزله ليعمل واذا في ناحية البيت صنج[2] موضوع فقال التاجر للصانع هل تحسن أن تلعب بالصنج قال نعم وكان بلعبه ماهرا فقال التاجر دونك والصنج فأسمعنا ضربك به فأخذ الرجل الصنج ولم يزل يسمع التاجر الضرب الصحيح والصوت الرفيع والتاجر يشير بيده ورأسه طربا حتى أمسى فلما حان الغروب قال الرجل للتاجر مر لي بالأجرة فقال له التاجر وهل عملت شيأ تستحق به الاجرة فقال له عملت ما أمرتني به وأنا أجيرك وما استعملتني عملت ولم يزل به حتى استوفى منه مائة دينار وبقي جوهره غير مثقوب فلم أزدد في الدنيا وشهواتها نظرا الا ازددت فيها زهادة ومنها هربا ووجدت النسك[3] هو الذي يمهد للمعاد كما يمهد الوالد لولده ووجدته هو الباب المفتوح الى النعيم المقيم ووجدت الناسك قد تدبر فعلته بالسكينة فشكر وتواضع وقنع فاستغنى ورضي ولم يهتم وخلع الدنيا فنجا من الشرور ورفض الشهوات فصار طاهرا واطرح الحسد فوجبت له المحبة وسخت نفسه بكل شيء واستعمل العقل وأبصر العاقبة فأمن الندامة ولم يخف الناس ولم يدب اليهم فسلم منهم فلم أزدد في أمر النسك

---

(١) هي ضد البلى (٢) الصنج نوعان ما يتخذ من الصفر يضرب به مع الدف (ويسمى عندهم ام مصر بالكاسات) وماله أوتار (٣) النسك مثلثة وبالضم العبادة

نظرا الا ازددت فيه رغبة حتى هممت أن أكون من أهله ثم تخوفت
أن لا أصبر على عيش الناسك ولم آمن ان تركت الدنيا وأخذت فى النسك
أن أضعف عن ذلك ورفضت أعمالا كنت أرجو عائدتها وقد كنت أعملها
فأنتفع بها فى الدنيا فيكون مثلى فى ذلك مثل الكلب الذى مرّ بنهر وفى فيه
ضلعٌ فرأى ظلها فى الماء فهوى ليأخذها فأتلف ما كان معه ولم يجد
فى الماء شيأ فهبت النسك مهابة شديدة وخفت من الضجر وقلة الصبر
وأردت الثبوت على حالتى التى كنت عليها ثم بدا لى أن أسْبُرَ ما أخاف أن لا أصبر
عليه من الاذى والضيق والخشونة فى النسك وما يصيب صاحب الدنيا من
البلاء وكان عندى أنه ليس شئ من شهوات الدنيا ولذاتها الا وهو متحوّل
الى الاذى ومولد للحزن فالدنيا كالماء الملح الذى لا يزداد شاربه شربا الا ازداد
عطشا وهى كالعظم الذى يصيبه الكلب فيجد فيه ريح اللحم فلا يزال يطلب
ذلك اللحم حتى يدمى فاه وكالحدأة التى تظفر بقطعة من اللحم فيجتمع عليها الطير
فلا تزال تدور وتدأب حتى تَعْيَى وتعطب فاذا تعبت ألقت ما معها وكالكوز
من العسل الذى فى أسفله السم الذى يذاق منه حلاوة عاجلة وآخره موت
ذعاف (١) وكأحلام النائم التى يفرح بها الانسان فى نومه فاذا استيقظ
ذهب الفرح فلما فكرت فى هذه الامور رجعت الى طلب النسك وهزنى
الاشتياق اليه ثم خاصمت نفسى اذهى فى شرورها سارحة وقد لا تثبت على
أمر تعزم عليه كقاض سمع من خصم واحد فحكم له فلما حضر الخصم الثانى
عاد الى الاول وقضى عليه ثم نظرت فى الذى أكابده من احتمال النسك وضيقه
فقلت ما أصغر هذه المشقة فى جانب رَوْح الابد وراحته ثم نظرت فيما تُشَرُّه اليه
النفس من لذة الدنيا فقلت ما أمرّ هذا وأوجعه وهو يدفع الى عذاب الأبد

---

(١) ذعاف سريع .

وأهواله وكيف لا يستحلي الرجل مرارة قليلة تعقبها حلاوة طويلة وكيف لا تمر عليه حلاوة قليلة تعقبها مرارة دائمة وقلت لو أن رجلا عرض عليه أن يعيش مائة سنة لا يأتي عليه يوم واحد الا بضع[1] منه بضعة[2] ثم أعيد عليه من الغد غير أنه يشرط له اذا استوفى السنين المائة نجا من كل ألم وأذى وصار الى الامن والسرور كان حقيقا أن لا يرى تلك السنين شيأ وكيف يأبى الصبر على أيام قلائل يعيشها في النسك وأذى تلك الايام قليل يعقب خيرا كثيرا فلنعلم أن الدنيا كلها بلاء وعذاب أوليس الانسان انما يتقلب في عذاب الدنيا من حين يكون جنينا الى أن يستوفي أيام حياته فاذا كان طفلا ذاق من العذاب ألوانا ان جاع فليس به استطعام أو عطش فليس به استسقاء أو وجع فليس به استغاثة مع ما يلقى من الوضع والحمل واللف والدهن والمسح ان أنيم على ظهره لم يستطع تقلبا ثم يلقى أصناف العذاب ما دام رضيعا فاذا أفلت[3] من عذاب الرضاع أخذ في عذاب الأدب فأذيق منه ألوانا من عنف المعلم وضجر الدرس وسآمة الكتابة ثم له من الدواء والحمية والاسقام والاوجاع أوفى حظ فاذا أدرك كانت همته في جمع المال وتربية الولد ومخاطرة الطلب والسعي والكد والتعب وهو مع ذلك يتقلب مع أعدائه الباطنية اللازمة له وهي الصفراء والسوداء والريح والبلغم والدم والسم المميت والحية اللادغة مع الخوف من السباع والهوام مع صرف الحر والبرد والمطر والرياح ثم أنواع عذاب الهرم لمن يبلغه فلو لم يخف من هذه الامور شيأ وكان قد أمن و وثق بالسلامة منها فلم يفكر فيها لوجب عليه أن يعتبر بالساعة التي يحضره فيها الموت فيفارق الدنيا و يتذكر ما هو نازل به في تلك الساعة من فراق الأحبة والاهل والاقارب وكل مضنون به

---

(١) قطع (٢) قطعة (٣) خلص

من الدنيا والاشراف على الهول العظيم بعد الموت فلو لم يفعل ذلك لكان حقيقا أن يعد عاجزا مفرّطا محبا للدّناءة مستحقا للوم فمن ذا الذى يعلم ولا يحتال لغد جهده فى الحيلة و برفض ما يشغله ويلهيه من شهوات الدنيا وغرورها ولاسيما فى هذا الزمان الشبيه بالصافى وهو كدر فانه وان كان الملك حازما عظيم المَقْدرة رفيع الهمة بليغ الفحص عدلا مرجوّا صدوقا شكورا رحب الذراع مفتقدا مواظبا مستمرا عالما بالناس والامور محبا للعلم والخير والاخيار شديدا على الظلمة غير جبان ولا خفيف القياد رفيقا بالتوسع على الرعية فيما يحبون والدفع لما يكرهون فانا قد نرى الزمان مدبرا بكل مكان فكأن أمور الصدق قد نزعت من الناس فأصبح ما كان عزيزا فقده مفقودا وموجودا ما كان ضائرا[1] وجوده وكأن الخير أصبح ذابلا والشر ناضرا وكأن الفهم أصبح قد زالت سبله وكأن الحق ولى كسيرا وأقبل الباطل تابعه وكأن اتباع الهوى واضاعة الحكم أصبح بالحكام موكلا وأصبح المظلوم بالحيف مقرّا والظالم لنفسه مستطيلا وكأن الحرص أصبح فاغرا فاه[2] من كل جهة يتلقف ما قرب منه وما بعد وكأن الرضا أصبح مجهولا وكأن الاشرار يقصدون السماء صعودا وكأن الاخيار يريدون بطن الارض وأصبحت المروءة مقذوفا بها من أعلى شرف الى أسفل درك وأصبحت الدناءة مكرّمة مُمَكَّنَة وأصبح السلطان[3] منتقلا عن أهل الفضل الى أهل النقص وكأن الدنيا جَذْلَة مسرورة تقول قد غَيَّبت الخيرات وأُظْهِرَت السيآت فلما فكرت فى الدنيا وأمورها وأن الانسان هو أشرف الخلق فيها وأفضله ثم هو لا يتقلب الا فى الشرور والهموم عرفت أنه ليس انسان ذو عقل يعلم ذلك ثم لا يحتال لنفسه فى النجاة فعجبت من ذلك

(١) ضارا (٢) فاتحا (٣) المراد به هنا القدرة

كل العجب ثم نظرت فاذا الانسان لا يمنعه عن الاحتيال لنفسه الا لذة صغيرة حقيرة غير كبيرة من الشم والذوق والنظر والسمع واللمس لعله يصيب منها الطفيف أو يقتني منها اليسير فاذا ذلك يشغله و يذهب به عن الاهتمام لنفسه وطلب النجاة لها

فالتمست للانسان مثلا فاذا مثله مثل رجل نجا من خوف فيل هائج الى بئر فتدلى فيها وتعلق بغصنين كانا على سمائها فوقعت رجلاه على شئ في طي البئر فاذا حيات أربع قد أخرجن رؤسهن من أجحارهن ثم نظر فاذا في قاع البئر تنين[1] فاتح فاه منتظر له ليقع فيأخذه فرفع بصره الى الغصنين فاذا في أصلهما جُرَذَان[2] أسود وأبيض وهما يقرضان الغصنين دائبين لا يفتُران فبينما هو في النظر لامره والاهتمام لنفسه اذ أبصر قريبا منه كَوَارة[3] فيها عسل نحل فذاق العسل فشغلته حلاوته وألهته لذته عن الفكرة في شئ من أمره وأن يلتمس الخلاص لنفسه ولم يذكر أن رجليه على حيات أربع لا يدرى متى يقع عليهن ولم يذكر أن الجرذين دائبان في قطع الغصنين ومتى انقطعا وقع على التنين فلم يزل لاهيا غافلا مشغولا بتلك الحلاوة حتى سقط في فم التنين فهلك فشبهت بالبئر الدنيا المملوءة آفات وشرورا ومخافات وعاهات وشبهت بالحيات الاربع الاخلاط الاربعة التي في البدن فانها متى هاجت أو أحدها كانت كَحُمَة[4] الافاعي والسم المميت وشبهت بالغصنين الأجل الذي لا بد من انقطاعه وشبهت بالجُرَذَيْن الاسود والابيض الليل والنهار اللذين هما دائبان في افناء الاجل وشبهت بالتنين المصير الذي لا بد منه وشبهت بالعسل هذه الحلاوة القليلة التي ينال منها الانسان فيطعم ويسمع

---

(١) ضرب من الحيات (٢) مثنى جُرَذ ضرب من الفأر (٣) شئ يتخذ للنحل من القضبان وهي الخلية (٤) سمها وضرها

ويشم ويلمس ويتشاغل عن نفسه ويلهو عن شأنه ويصد عن سبيل قصده فحينئذ صار أمري الى الرضا بحالي واصلاح ما استطعت اصلاحه من عملي لعلي أصادف باقي أيامي زمانا أصيب فيه دليلا على هداي وسلطانا(١) على نفسي وقواما لأمري فأقمت على هذه الحال وانتسخت كتبا كثيرة وانصرفت من بلاد الهند وقد نسخت هذا الكتاب. (انقضى باب برزويه المتطبب)

باب الاسد والثور وهو أول الكتاب

قال دَبْشَلِيم الملك لِبَيْدَبا الفيلسوف وهو رأس البراهمة اضرب لي مثلا لمتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال حتى يحملهما على العداوة والبغضاء قال بيدبا اذا ابتلي المتحابان بان يدخل بينهما الكذوب المحتال لم يلبثا أن يتقاطعا ويتدابرا ومن أمثال ذلك أنه كان بارض دَسْتَاوَنْدَ رجل شيخ وكان له ثلاثة بنين فلما بلغوا أشدهم أسرفوا في مال أبيهم ولم يكونوا احترفوا حرفة يكسبون لانفسهم بها خيرا فلامهم أبوهم ووعظهم على سوء فعلهم وكان من قوله لهم يا بني ان صاحب الدنيا يطلب ثلاثة أمور لن يدركها الا بأربعة أشياء أما الثلاثة التي يطلب فالسعة في الرزق والمنزلة في الناس والزاد للآخرة وأما الاربعة التي يحتاج اليها في درك هذه الثلاثة فاكتساب المال من أحسن وجه يكون ثم حسن القيام على ما اكتسب منه ثم استثماره ثم انفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضي الاهل والاخوان فيعود عليه نفعه في الآخرة فمن ضيع شيأ من هذه الاحوال لم يدرك ما أراد من حاجته لانه ان لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به وان هو كان ذا مال واكتساب ثم لم يحسن القيام عليه أوشك المال أن يفنى ويبقى معدما وان هو وضعه ولم يستثمره لم تمنعه قلة

---

(١) حُجَّة

الانفاق من سرعة الذهاب كالكحل الذى لا يؤخذ منه الا غبار الميل ثم هو مع ذلك سريع فناؤه وان أنفقه فى غير وجهه ووضعه فى غير موضعه وأخطأ به مواضع استحقاقه صار بمنزلة الفقير الذى لا مال له ثم لا يمنع ذلك ماله من التلف بالحوادث والعلل التى تجرى عليه كحبس الماء الذى لا تزال المياه تنصب فيه فان لم يكن له مخرج ومَفيض ومُتنفَّس يخرج الماء منه بقدر ما ينبغى خَرِبَ وسال ونزّ من نواح كثيرة وربما انبثق (١) البثق العظيم فذهب الماء ضياعا ثم ان بنى الشيخ اتعظوا بقول أبيهم وأخذوا به وعلموا أن فيه الخير وعوّلوا عليه فانطلق أكبرهم نحو أرض يقال لها مَيُّون فأتى فى طريقه على مكان فيه وَحَلٌ كثير وكان معه عجلة يجرّها ثوران يقال لأحدهما شَتْرَبَة والآخر بَنْدَبَة فَوَحِل شَتْرَبَة فى ذلك المكان فعالجه الرجل وأصحابه حتى بلغ منهم الجهد فلم يقدروا على اخراجه فذهب الرجل وخلف عنده رجلا يشارفه لعل الوحل يَنْشَفُ فيتبعه بالثور فلما بات الرجل بذلك المكان تبرم (٢) به واستوحش فترك الثور والتحق بصاحبه فأخبره أن الثور قد مات وقال له ان الانسان اذا انقضت مدته وحانت منيته فهو وان اجتهد فى التوقى من الامور التى يخاف فيها على نفسه الهلاك لم يغن ذلك عنه شيأ وربما عاد اجتهاده فى توقيه وحذره وبالا عليه (٣)

كالذى قيل ان رجلا سلك مفازة فيها خوف من السباع وكان الرجل خبيرا بوَعْث تلك الارض وخوفها فلما سار غير بعيد اعترض له ذئب من أحد الذئاب وأضراها فلما رأى الرجل أن الذئب قاصد نحوه خاف منه ونظر يمينا وشمالا ليجد موضعا يتحرز فيه من الذئب فلم ير الا قرية خلف واد فذهب مسرعا نحو القرية فلما أتى الوادى لم ير عليه قنطرة ورأى الذئب قد أدركه فألقى نفسه

---

(١) انشقّ وانفجر (٢) ضجر (٣) مشقة

فى الماء وهو لا يحسن السباحة وكاد أن يغرق لولا أن بصر به قوم من أهل القرية فتواقعوا الاخراجه فأخرجوه وقد أشرف على الهلاك فلما حصل الرجل عندهم وأمن على نفسه من غائلة الذئب رأى على عدوة[1] الوادى بيتا مفردا فقال أدخل هذا البيت فأستريح فيه فلما دخله وجد جماعة من اللصوص قد قطعوا الطريق على رجل من التجار وهم يقتسمون ماله ويريدون قتله فلما رأى الرجل ذلك خاف على نفسه ومضى نحو القرية فاسند ظهره الى حائط من حيطانها ليستريح مما حل به من الهول والاعياء اذ سقط الحائط عليه فمات قال التاجر صدقت قد بلغنى هذا الحديث. وأما الثور فانه خلص من مكانه وانبعث فلم يزل فى مرج مخصب كثير الماء والكلأ فلما سمن وأمن جعل يخور ويرفع صوته بالخُوار وكان قريبا منه أجمة فيها أسد عظيم وهو ملك تلك الناحية ومعه سباع كثيرة وذئاب وبنات آوى وثعالب وفهود ونمور وكان هذا الاسد منفردا برأيه دون أخذ برأى أحد من أصحابه فلما سمع خوار الثور ولم يكن رأى ثورا قط ولا سمع خواره خامره منه هيبة وخشية وكره أن يشعر بذلك جنده فكان مقيما مكانه لا يبرح ولا ينشط بل يؤتى برزقه كل يوم على يد جنده وكان فيمن معه من السباع ابنا آوى يقال لاحدهما كليلة والآخر دمنة وكانا ذوى دهاء وعلم وأدب فقال دمنة لاخيه كليلة يا أخى ما شأن الاسد مقيما مكانه لا يبرح ولا ينشط قال له كليلة ما شأنك أنت والمسألة عن هذا نحن على باب ملكنا آخذين بما أحب وتاركين ما يكره ولسنا من أهل المرتبة التى يتناول أهلها كلام الملوك والنظر فى أمورهم فأمسك عن هذا واعلم أنه من تكلف من القول والفعل ما ليس من شأنه أصابه ما أصاب القرد من النجار

---

(١) العُدوة بضم العين وكسرها جانب الوادى

قال دمنة وكيف كان ذلك . قال كليلة زعموا أن قردا رأى نجارا يشق خشبة بين وتدين وهو راكب عليها فأعجبه ذلك ثم ان النجار ذهب لبعض شأنه فقام القرد وتكلف ما ليس من شغله فركب الخشبة وجعل ظهره قبل الوتد ووجهه قبل الخشبة فتدلى ذنبه في الشق ونزع الوتد فلزم[1] الشق عليه فخر مغشيا عليه ثم ان النجار وافاه فرآه موضعه فأقبل عليه يضربه فكان مالقي من النجار من الضرب أشد مما أصابه من الخشبة . قال دمنة قد سمعت ماذكرت ولكن اعلم أن كل من يدنو من الملوك ليس يدنو منهم لبطنه وانما يدنو منهم ليسر الصديق ويكبت العدو وان من الناس من لا مروءة له وهم الذين يفرحون بالقليل ويرضون بالدون كالكلب الذي يصيب عظما يابسا فيفرح به وأما أهل الفضل والمروءة فلا يقنعهم القليل ولا يرضون به دون أن تسمو به نفوسهم الى ماهم أهل له وهو أيضا لهم أهل كالاسد الذي يفترس الارنب فاذا رأى البعير تركها وطلب البعير ألا ترى أن الكلب يبصبص[2] بذنبه حتى ترمى له الكسرة وان الفيل المعترف بفضله وقوته اذا قدم اليه علفه لا يعتلفه حتى يمسح ويتملق له فمن عاش ذا مال وكان ذا فضل وافضال على أهله واخوانه فهو وان قل عمره طويل العمر ومن كان في عيشه ضيق وقلة وامساك على نفسه وذويه فالمقبور أحيى منه ومن عمل لبطنه وقنع وترك ماسوى ذلك عد من البهائم

قال كليلة قد فهمت ماقلت فراجع عقلك واعلم أن لكل انسان منزلة وقدرا فان كان في منزلته التي هو فيها متماسكا كان حقيقا أن يقنع وليس لنا من المنزلة ما يحط حالنا التي نحن عليها . قال دمنة ان المنازل متنازعة مشتركة على قدر المروءة فالمرء ترفعه مروءته من المنزلة الوضيعة الى المنزلة

---

(١) انضم (٢) يحرك ذنبه

الرفيعة ومن لا مروءة له يحط نفسه من المنزلة الرفيعة الى المنزلة الوضيعة وان الارتفاع الى المنزلة الشريفة شديد والانحطاط منها هين كالحجر الثقيل رفعه من الارض الى العاتق عسر ووضعه الى الارض هين فنحن أحق أن نروم مافوقنا من المنازل وان نلتمس ذلك بمروءتنا ثم كيف نقنع بهما ونحن نستطيع التحول عنها. قال كليلة فما الذى اجتمع عليه رأيك. قال دمنة أريد أن أتعرض للاسد عند هذه الفرصة فان الاسد ضعيف الرأى ولعلى على هذه الحال أدنو منه فأصيب عنده منزلة ومكانة . قال كليلة وما يدريك أن الاسد قد التبس عليه أمره . قال دمنة بالحس والرأى أعلم ذلك منه فان الرجل ذا الرأى يعرف حال صاحبه وباطن أمره بما يظهر له من دله وشكله . قال كليلة فكيف ترجو المنزلة عند الأسد ولست بصاحب السلطان ولا لك علم بخدمة السلاطين . قال دمنة الرجل الشديد القوى لا يعجزه الحمل الثقيل وان لم تكن عادته الحمل والرجل الضعيف لا يستقل به وان كان ذلك من صناعته . قال كليلة فان السلطان لا يتوخى بكرامته فضلاء من بحضرته ولكنه يؤثر الأدنى ومن قرب منه ويقال ان مثل السلطان فى ذلك مثل شجر الكرم الذى لا يعلق الا باكرم(١) الشجر وكيف ترجو المنزلة عند الاسد ولست تدنو منه . قال دمنة قد فهمت كلامك جميعه وما ذكرت وأنت صادق لكن اعلم أن الذى هو قريب من السلطان وليس ذلك موضعه ولا تلك منزلته ليس كمن دنا منه بعد البعد وله حق وحرمة وأنا ملتمس بلوغ مكانتهم بجهدى وقد قيل لا يواظب على باب السلطان الا من يطرح الأنفة ويحمل الاذى ويكظم الغيظ ويرفق بالناس ويكتم السر فاذا وصل الى ذلك فقد بلغ مراده . قال كليلة هبك وصلت الى الاسد فما توفيقك عنده الذى ترجو أن تنال به المنزلة والحظوة لديه . قال دمنة لو دنوت منه

---

(١) كذا فى النسخ العربية التى بين أيدينا على كثرتها واختلافها . والظاهر ان صواب العبارة (باقرب الشجر) كما فى النسخة المترجمة الى الانجليزية المطبوعة سنة ١٨١٩ فى مدينة أكسفورد وبذلك ينطبق المثل على الواقع وعلى ماضرب له — أحمد ابراهيم

وعرفت أخلاقه لرفقت فى متابعته وقلة الخلاف له وإذا أراد أمراهو فى نفسه صواب زينته له وصبرته عليه وعرفته بما فيه من النفع والخير وشجعته عليه وعلى الوصول اليه حتى يزداد به سرورا وإذا أراد أمرا يخاف عليه ضره وشينه بصرته بما فيه من الضر والشين وأوقفته على ما فى تركه من النفع والزين بحسب ما أجد اليه السبيل وأنا أرجو أن أزداد بذلك عند الأسد مكانة و يرى منى ما لا يراه من غيرى فإن الرجل الاديب الرفيق لو شاء أن يبطل حقا أو يحق باطلا لفعل كالمصور الماهر الذى يصور فى الحيطان صورا كأنها خارجة وليست بخارجة وأخرى كأنها داخلة وليست بداخلة قال كليلة أما ان قلت هذا أو قلت هذا فانى أخاف عليك من السلطان فان صحبته خطرة وقد قالت العلماء ان أمورا ثلاثة لا يجترئ عليهن الا أهوج ولا يسلم منهن الا القليل وهى صحبة السلطان وائتمان النساء على الاسرار وشرب السم للتجربة وإنما شبه العلماء السلطان بالجبل الصعب المرتقى الذى فيه الثمار الطيبة والجواهر النفيسة والادوية النافعة وهو مع ذلك معدن السباع والنمور والذئاب وكل ضار مخوف فالارتقاء اليه شديد والمقام فيه أشد . قال دمنة صدقت فيما ذكرت غير أنه من لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب ومن ترك الامر الذى لعله يبلغ فيه حاجته هيبة ومخافة لما لعله أن يتوقاه فليس ببالغ جسيما وقد قيل ان خصالا ثلاثا لن يستطيعها أحد الا بعونة من علو همة وعظيم خطر منها عمل السلطان وتجارة البحر ومناجزة[1] العدو وقد قالت العلماء فى الرجل الفاضل الرشيد انه لا يرى الا فى مكانين ولا يليق به غيرهما إما مع الملوك مكرما أو مع النساك متعبدا كالفيل انما جماله وبهاؤه فى مكانين إما أن تراه وحشيا أو مركبا للملوك . قال كليلة خار الله[2] لك فيما عزمت عليه

---

(١) مقابلة (٢) جعل الله فيه الخير

ثم ان دمنة انطلق حتى دخل على الاسد فسلم عليه فقال الاسد لبعض جلسائه من هذا فقال فلان بن فلان قال قد كنت أعرف أباه ثم سأله أين تكون قال لم أزل ملازما باب الملك رجاء أن يحضر أمر فأعين الملك فيه بنفسي ورأيي فان أبواب الملوك تكثر فيها الامور التي ربما يحتاج فيها الى الذي لا يؤبه (١) له وليس أحد يصغر أمره الا وقد يكون عنده بعض الغناء والمنافع على قدره حتى العود الملقى في الارض ربما نفع فيأخذه الرجل فيكون عدته عند الحاجة اليه فلما سمع الاسد قول دمنة أعجبه وظن أن عنده نصيحة ورأيا فأقبل على من حضر فقال ان الرجل ذا العلم والمروءة يكون خامل الذكر خافض المنزلة فتأبى منزلته الا ان تشب وترتفع كالشعلة من النار يضربها صاحبها وتأبى الا ارتفاعا فلما عرف دمنة أن الاسد قد عجب منه قال ان رعية الملك تحضر باب الملك رجاء أن يعرف ما عندها من علم وافر وقد يقال ان الفضل في أمرين فضل المقاتل على المقاتل والعالم على العالم وان كثرة الاعوان اذا لم يكونوا مختبرين ربما تكون مضرة على العمل فان العمل ليس رجاؤه بكثرة الاعوان ولكن بصالحي الاعوان ومثل ذلك مثل الرجل الذي يحمل الحجر الثقيل فيثقل به نفسه ولا يجد له ثمنا والرجل الذي يحتاج الى الجذوع لا يجزئه القصب وان كثر فأنت الآن أيها الملك حقيق أن لا تحقر مروءة أنت تجدها عند رجل صغير المنزلة فان الصغير ربما عظم كالعصب يؤخذ من الميتة فاذا عمل منه القوس أكرم فتقبض عليه الملوك وتحتاج اليه في البأس واللهو وأحب دمنة أن يرى القوم أن ما ناله من كرامة الملك انما هو لرأيه ومروءته وعقله لانهم عرفوا قبل ذلك أن ذلك لمعرفته أباه فقال ان السلطان لا يقرب الرجال لقرب آبائهم ولا يبعد لبعدهم ولكن ينبغي أن ينظر الى كل رجل

---

(١) يُفطَن

بما عنده لانه لا شئ أقرب الى الرجل من جسده ومن جسده ما يدوّى(١) حتى يؤذيه ولا يدفع ذلك عنه الا بالدواء الذى يأتيه من بعد

فلما فرغ دمنة من مقالته هذه أُعجب الملك به اعجابا شديدا وأحسن الرد عليه وزاد فى كرامته ثم قال لجلسائه ينبغى للسلطان أن لا يلج فى تضييع حق ذوى الحقوق والناس فى ذلك رجلان رجل طبعه الشراسة فهو كالحية ان وطئها الواطئ فلم تلدغه لم يكن جديرا أن يغره ذلك منها فيعود الى وطئها ثانيا فتلدغه ورجل أصل طباعه السهولة فهو كالصندل البارد الذى اذا أفرط فى حكه صار حارا مؤذيا

ثم ان دمنة استأنس بالاسد وخلا به فقال له يوما أرى الملك قد أقام فى مكان واحد لا يبرح منه فما سبب ذلك فبينما هما فى هذا الحديث اذ خار شتربة خوارا شديدا فهيج الاسد وكره أن يخبر دمنة بما ناله وعلم أن ذلك الصوت قد أدخل على الاسد ريبة(٢) وهيبة فسأله هل راب الملك سماع هذا الصوت قال لم يربنى شئ سوى ذلك . قال دمنة ليس الملك بحقيق أن يدع مكانه لأجل صوت فقد قالت العلماء انه ليس من كل الاصوات تجب الهيبة قال الاسد وما مثل ذلك

قال دمنة زعموا أن ثعلبا أتى أجمة(٣) فيها طبل معلق على شجرة وكلما هبت الريح على قضبان تلك الشجرة حركتها فضربت الطبل فسمع له صوت عظيم فتوجه الثعلب نحوه لأجل ما سمع من عظيم صوته فلما أتاه وجده ضخما فأيقن فى نفسه بكثرة الشحم واللحم فعالجه حتى شقه فلما رآه أجوف لا شئ فيه قال لا أدرى لعل أفشل الاشياء أجهرها صوتا وأعظمها جثة وانما ضربت

---

(١) يمرض (٢) اضطرابا وقلقا (٣) الشجر الكثير الملتف

لك هذا المثل لتعلم أن هذا الصوت الذي راعنا لو وصلنا اليه لوجدناه أيسر مما في أنفسنا فان شاء الملك بعثني وأقام بمكانه حتى آتيه ببيان هذا الصوت فوافق الاسد قوله فأذن له بالذهاب نحو الصوت فانطلق دمنة الى المكان الذي فيه شتربة فلما فصل دمنة من عند الاسد فكر الاسد في أمره وندم على ارسال دمنة حيث أرسله وقال في نفسه ما أصبت في ائتمان دمنة وقد كان ببابي مطروحا فان الرجل اذا كان يحضر باب الملك وقد أبطلت حقوقه من غير جرم كان منه أو كان مبغيا عليه عند سلطانه أو كان عنده معروفا بالشره والحرص أو كان قد أصابه ضر وضيق فلم ينعشه أو كان قد اجترم جرما فهو يخاف العقوبة منه أو كان يرجو شيأ يضر الملك وله منه نفع أو يخاف في شئ مما ينفعه ضرا أو كان لعدو الملك مسالما ولمسالمه محاربا فليس السلطان بحقيق أن يعجل بالاسترسال اليه والثقة به والائتمان له فان دمنة داهية أريب وقد كان ببابي مطروحا مجفوا ولعله قد احتمل علي بذلك ضغنا ولعل ذلك يحمله على خيانتي واعانة عدوي ونقيصتي عنده ولعله صادف صاحب الصوت أقوى سلطانا مني فيرغب به عني ويميل معه علي ثم قام من مكانه فمشى غير بعيد فبصر بدمنة مقبلا نحوه فطابت نفسه بذلك ورجع الى مكانه ودخل دمنة على الاسد فقال له ماذا صنعت وماذا رأيت قال رأيت ثورا هو صاحب الخوار والصوت الذي سمعته قال فما قوته قال لا شوكة له وقد دنوت منه وحاورته محاورة الاكفاء فلم يستطع لي شيأ قال الاسد لا يغرنك ذلك منه ولا يصغرن عندك أمره فان الريح الشديدة لا تعبأ بضعيف الحشيش لكنها تحطم طوال النخل وعظيم الشجر . قال دمنة لا تهابن أيها الملك منه شيأ ولا يكبرن عليك أمره فأنا آتيك به ليكون لك عبدا سامعا مطيعا قال الاسد دونك وما بدا لك

فانطلق دمنة الى الثور فقال له غير هائب ولا مكترث ان الاسد أرسلني اليك لآتيه بك وأمرني ان أنت عجلت اليه طائعا أن أؤمنك على ما سلف من ذنبك في التأخر عنه وتركك لقاءه وان أنت تأخرت عنه وأحجمت أن أعجل الرجعة اليه فأخبره قال له شتربة ومن هو هذا الاسد الذى أرسلك الىّ وأين هو وما حاله . قال دمنة هو ملك السباع وهو بمكان كذا ومعه جند كثير من جنسه فرُعِبَ شتربة من ذكر الاسد والسباع وقال ان أنت جعلت لى الأمان على نفسى أقبلت معك اليه فأعطاه دمنة من الأمان ما وثق به ثم أقبل والثور معه حتى دخلا على الاسد فأحسن الاسد الى الثور وقرّبه وقال له متى قدمت هذه البلاد وما أقدمكها فقص شتربة عليه قصته فقال له الاسد اصحبنى والزمنى فانى مكرمك فدعا له الثور وأثنى عليه

ثم ان الاسد قرب شتربة وأكرمه وأنس به وأئتمنه على أسراره وشاوره فى أمره ولم تزده الايام الا عجبا به ورغبة فيه وتقريبا منه حتى صار أخص أصحابه عنده منزلة فلما رأى دمنة أن الثور قد اختص بالاسد دونه ودون أصحابه وأنه قد صار صاحب رأيه وخلواته ولهوه حسده حسدا عظيما وبلغ منه غيظه كل مبلغ فشكا ذلك الى أخيه كليلة وقال له ألا تعجب يا أخى من عجز رأيى وصنعى بنفسى ونظرى فيما ينفع الاسد وأغفلت نفع نفسى حتى جلبت الى الاسد ثورا غلبنى على منزلتى

قال كليلة أخبرنى عن رأيك وما تريد أن تعزم عليه فى ذلك . قال دمنة أما أنا فلست اليوم أرجو أن تزداد منزلتى عند الاسد فوق ما كانت عليه ولكن ألتمس أن أعود الى ما كنت عليه فان أمورا ثلاثة العاقل جدير بالنظر فيها والاحتيال لها بجهده منها النظر فيما مضى من الضر والنفع فيحترس من الضر الذى أصابه فيما سلف لئلا يعود الى ذلك الضرر ويلتمس

النفع الذى مضى ويحتال لمعاودته ومنها النظر فيما هو مقيم فيه من المنافع والمضار والاستيثاق بما ينفع والهرب مما يضر ومنها النظر فى مستقبل ما يرجو من قبل النفع وما يخاف من قبل الضر فليستتم ما يرجو ويتوقى ما يخاف بجهده وانى لما نظرت فى الامر الذى به أرجو أن تعود منزلتى وما غلبت عليه مما كنت فيه لم أجد حيلة ولا وجها الا الاحتيال لآكل العشب هذا حتى أفرق بينه وبين الحياة فانه ان فارق الاسد عادت لى منزلتى ولعل ذلك يكون خيرا للاسد فان افراطه فى تقريب الثور خليق أن يشينه ويضره فى أمره . قال كليلة ما أرى على الاسد فى رأيه فى الثور ومكانه منه ومنزلته عنده شينا ولا شرا . قال دمنة انما يؤتى[1] السلطان ويفسد أمره من قبل ستة أشياء الحرمان والفتنة والهوى والفظاظة والزمان والخرق

فأما الحرمان فأن يُحرَمَ صالح الاعوان والنصحاء والساسة من أهل الرأى والنجدة والامانة وترك التفقد لمن هو كذلك وأما الفتنة فهو تحارب الناس ووقوع الحرب بينهم وأما الهوى فالاغرام بالحديث واللهو والشراب والصيد وما أشبه ذلك وأما الفظاظة فهى افراط الشدة حتى يجمح اللسان بالشتم واليد بالبطش فى غير موضعهما وأما الزمان فهو ما يصيب الناس من السنين والموت ونقص الثمرات والغزوات وأشباه ذلك وأما الخرق فاعمال الشدة فى موضع اللين واللين فى موضع الشدة وان الاسد قد أغرم بالثور إغراما شديدا هو الذى ذكرت لك انه خليق أن يشينه ويضره فى أمره .
قال كليلة وكيف تطيق الثور وهو أشد منك وأكرم على الاسد منك وأكثر أعوانا . قال دمنة لا تنظر الى صغرى وضعفى فان الامور ليست بالضعف ولا القوة ولا الصغر ولا الكبر فى الجثة فرب صغير ضعيف قد بلغ بحيلته

---

(١) أُتى فُلان كعُنى أشرف عليه العدو والمراد فُتح باب الشر عليه

ودهائه ورأيه ما يعجز عنه كثير من الاقوياء أولم يبلغك أن غرابا ضعيفا احتال لأسود حتى قتله . قال كليلة وكيف كان ذلك

قال دمنة زعموا أن غرابا كان له وكر فى شجرة على جبل وكان قريبا منه جحر ثعبان أسود فكان الغراب اذا افرخ عمد الاسود الى فراخه فأكلها فبلغ ذلك من الغراب وأحزنه فشكا ذلك الى صديق له من بنات آوى وقال له أريد مشاورتك فى أمر قد عزمت عليه قال وماهو قال الغراب قد عزمت أن أذهب الى الاسود اذا نام فأنقر عينيه فأفقأهما لعلى أستريح منه قال ابن آوى بئس الحيلة التى احتلت فالتمس أمرا تصيب فيه بغيتك من الاسود من غير أن تغرر بنفسك وتخاطر بها واياك أن يكون مثلك مثل العلجوم(١) الذى أراد قتل السرطان(٢) فقتل نفسه قال الغراب وكيف كان ذلك

قال ابن آوى زعموا ان علجوما عشش فى أجمة كثيرة السمك فعاش بها ماعاش ثم هرم فلم يستطع صيدا فأصابه جوع وجهد شديد فجلس حزينا يلتمس الحيلة فى أمره فمر به سرطان فرأى حالته وماهو عليه من الكآبة والحزن فدنا منه وقال مالى أراك أيها الطائر هكذا حزينا كئيبا قال العلجوم وكيف لا أحزن وقد كنت أعيش من صيد ماههنا من السمك وانى قد رأيت اليوم صيادين قد مرا بهذا المكان فقال أحدهما لصاحبه ان ههنا سمكا كثيرا أفلا نصيده أولا فقال الآخر انى قد رأيت فى مكان كذا سمكا أكثر من هذا السمك فلنبدأ بذلك فاذا فرغنا منه جئنا الى هذا فأفنيناه وقد علمت أنهما اذا فرغا مما هنالك انتهيا الى هذه الاجمة فاصطادا مافيها واذا كان ذلك فهو هلاكى ونفاد مدتى فانطلق السرطان من ساعته الى جماعة السمك فاخبرهن بذلك فأقبلن الى العلجوم فاستشرنه وقلن له انا أتيناك

---

(١) طائر أبيض (٢) حيوان بحرى معروف

لتشير علينا فان ذا العقل لا يدع مشاورة عدوه قال العلجوم أما مكابرة الصيادين فلا طاقة لي بها ولا أعلم حيلة الا المصير الى غدير قريب من ههنا فيه سمك ومياه عظيمة وقصب فان استطعتن الانتقال اليه كان فيه صلاحكن وخصبكن فقلن له ما عين علينا بذلك غيرك فجعل العلجوم يحمل في كل يوم سمكتين حتى ينتهي بهما الى بعض التلال فيأ كلهما حتى اذا كان ذات يوم جاء لاخذ السمكتين فجاءه السرطان فقال له اني أيضا قد أشفقت من مكاني هذا واستوحشت منه فاذهب بي الى ذلك الغدير فاحتمله وطار به حتى اذا دنا من التل الذي كان يأكل السمك فيه نظر السرطان فرأى عظام السمك مجموعة هناك فعلم أن العلجوم هو صاحبها وانه يريد به مثل ذلك فقال في نفسه اذا لقي الرجل عدوه في المواطن التي يعلم أنه فيها هالك سواء قاتل أم لم يقاتل كان حقيقا أن يقاتل عن نفسه كرما وحفاظا(١) ثم أهوى بكلبتيه على عنق العلجوم فعصره فمات وتخلص السرطان الى جماعة السمك فأخبرهن بذلك وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن بعض الحيلة مهلكة للمحتال ولكني أدلك على أمر ان أنت قدرت عليه كان فيه هلاك الاسود من غير أن تهلك به نفسك وتكون فيه سلامتك قال الغراب وماذاك

قال ابن آوى تنطلق فتبصر في طيرانك لعلك أن تظفر بشيء من حلي النساء فتخطفه ولا تزال طائرا واقعا بحيث لا تفوت العيون حتى تأتي جحر الاسود فترمي بالحلي عنده فاذا رأى الناس ذلك أخذوا حليهم وأراحوك من الاسود فانطلق الغراب محلقا(٢) في السماء فوجد امرأة من بنات العظماء فوق سطح تغتسل وقد وضعت ثيابها وحليها ناحية فانقض واختطف من حليها عقدا وطار به فتبعه الناس ولم يزل طائرا واقعا بحيث يراه كل أحد حتى انتهى الى جحر

---

(١) أنفة (٢) مستديرا في طيرانه كالحلقة

الاسود فألقى العقد عليه والناس ينظرون اليه فلما أتوه أخذوا العقد وقتلوا الاسود . وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الحيلة تجزئ ما لا تجزئ القوة . قال كليلة ان الثور لو لم يجتمع مع شدته رأيه لكان كما تقول ولكن له مع شدته وقوته حسن الرأى والعقل فماذا تستطيع له . قال دمنة ان الثور لكما ذكرت فى قوته ورأيه ولكنه مقر لى بالفضل وأنا خليق أن أصرعه كما صرعت الارنب الاسد . قال كليلة وكيف كان ذلك

قال دمنة زعموا أن أسدا كان فى أرض كثيرة المياه والعشب وكان فى تلك الارض من الوحوش فى سعة المياه والمرعى شئ كثير الا أنه لم يكن ينفعها ذلك لخوفها من الاسد فاجتمعت وأتت الى الاسد فقالت له انك لتصيب منا الدابة بعد الجهد والتعب وقد رأينا لك رأيا فيه صلاح لك وأمن لنا فان أنت أمنتنا ولم تخفنا فلك علينا فى كل يوم دابة نرسل بها اليك فى وقت غدائك فرضى الاسد بذلك وصالح الوحوش عليه ووفين له به ثم ان أرنبا أصابتها القرعة وصارت غداء الاسد فقالت للوحوش ان أنتن رفقتن بى فيما لا يضركن رجوت أن أريحكن من الاسد فقالت الوحوش وما الذى تكلفيننا من الامور قالت تأمرن الذى ينطلق بى الى الاسد أن يمهلنى ريثما أبطئ عليه بعض الابطاء فقلن لها ذلك لك فانطلقت الارنب متباطئة حتى جاوزت الوقت الذى كان يتغدى فيه الاسد ثم تقدمت اليه وحدها رويدا وقد جاع فغضب وقام من مكانه نحوها فقال لها من أين أقبلت قالت أنا رسول الوحوش اليك بعثننى ومعى أرنب لك فتبعنى أسد فى بعض تلك الطريق فأخذها منى وقال أنا أولى بهذه الارض وما فيها من الوحش فقلت ان هذا غداء الملك أرسلن به الوحوش اليه فلا تغصبنه فسبك وشتمك فأقبلت مسرعة لأخبرك فقال الاسد انطلقى معى فأرينى موضع هذا الاسد

فانطلقت الارنب الى جب فيه ماء غامر صاف فاطلعت فيه وقالت هذا المكان فاطلع الاسد فرأى ظله وظل الارنب فى الماء فلم يشك فى قولها ووثب اليه ليقاتله فغرق فى الجب فانقلبت الارنب الى الوحوش فأعلمتهن صنيعها بالاسد . قال كليلة ان قدرت على هلاك الثور بشئ ليس فيه مضرة للاسد فشأنك فان الثور قد أضر بى و بك و بغيرنا من الجند وان أنت لم تقدر على ذلك الا بهلاك الاسد فلا تقدم عليه فانه غدر منى ومنك ثم ان دمنة ترك الدخول على الاسد أياما كثيرة ثم أتاه على خلوة منه فقال له الاسد ما حبسك عنى منذ زمان لم أرك ألا لخير كان انقطاعك قال دمنة فليكن خيرا أيها الملك قال الاسد وهل حدث أمر . قال دمنة حدث ما لم يكن الملك يريده ولا أحد من جنده قال وماذاك قال كلام فظيع قال أخبرنى به . قال دمنة انه كلام يكرهه سامعه ولا يشجع عليه قائله وانك أيها الملك لذو فضيلة ورأيك يدلك على أن يوجعنى أن أقول ما تكره وأثق بك أن تعرف نصحى و إيثارى اياك على نفسى وانه ليعرض لى أنك غير مصدقى فيما أخبرك به ولكنى اذا تذكرت وتفكرت أن نفوسنا معاشر الوحوش متعلقة بك لم أجد بدا من أداء الحق الذى يلزمنى وان أنت لم تسألنى وخفت أن لا تقبل منى فانه يقال من كتم السلطان نصيحته والاخوان رأيه فقد خان نفسه قال الاسد فما ذاك

قال دمنة حدثنى الامين الصدوق عندى أن شتربة خلا برؤس جندك وقال قد خبرت الاسد و بلوت رأيه ومكيدته وقوته فاستبان لى أن ذلك يؤول منه الى ضعف و عجز وسيكون لى وله شأن من الشؤون فلما بلغنى ذلك علمت أن شتربة خوان غدار وانك أكرمته الكرامة كلها و جعلته نظير نفسك وهو يظن أنه مثلك وأنك متى زلت عن مكانك صار له ملكك ولا يدع جهدا

الابلغ به فيك وقد كان يقال اذا عرف الملك من الرجل أنه قد ساواه في المنزلة والحال فليصرعه فان لم يفعل به ذلك كان هو المصروع وشتربة أعلم بالامور وأبلغ فيها والعاقل هو الذي يحتال للامر قبل تمامه ووقوعه فانك لا تأمن أن يكون ولا تستدركه فانه يقال الرجال ثلاثة حازم وأحزم منه وعاجز فأحد الحازمين من اذا نزل به الامر لم يدهش له ولم يذهب قلبه شَعاعا (١) ولم تعي به حيلته ومكيدته التي يرجو بها المخرج منه وأحزم من هذا المتقدم ذو العدة الذي يعرف الابتلاء قبل وقوعه فيعظمه اعظاما ويحتال له حتى كأنه قد لزمه فيحسم (٢) الداء قبل أن يبتلى به ويدفع الامر قبل وقوعه وأما العاجز فهو في تردد وتمنّ وتوان حتى يهلك ومن أمثال ذلك مثل السمكات الثلاث قال الاسد وكيف كان ذلك

قال دمنة زعموا أن غديرا كان فيه ثلاث سمكات كيسة وأكيس منها وعاجزة وكان ذلك الغدير بنجوة (٣) من الارض لا يكاد يقربه أحد وبقربه نهر جار فاتفق أنه اجتاز بذلك النهر صيادان فأبصرا الغدير فتواعدا أن يرجعا اليه بشباكهما فيصيدا ما فيه من السمك فسمع السمكات قولهما فأما أكيسهن لما سمعت قولهما ارتابت بهما وتخوفت منهما فلم تُعرّج (٤) على شئ حتى خرجت من المكان الذي يدخل فيه الماء من النهر الى الغدير وأما الكيسة فانها مكثت مكانها حتى جاء الصيادان فلما رأتهما وعرفت ما يريدان ذهبت لتخرج من حيث يدخل الماء فاذا بهما قد سدا ذلك المكان فحينئذ قالت فرطت وهذه عاقبة التفريط فكيف الحيلة على هذه الحال وقلما تنجح حيلة العجلة والارهاق (٥) غير أن العاقل لا يقنط من منافع الرأي ولا ييأس

---

١) متفرقا (٢) يقطع (٣) مرتفع من الارض (٤) لم تقف (٥) الضيق والعسر

على حال ولا يدع الرأي والجهد ثم انها تماوتت فطفت على وجه الماء منقلبة على ظهرها تارة وتارة على بطنها فأخذها الصيادان فوضعاها على الارض بين النهر والغدير فوثبت الى النهر فنجت وأما العاجزة فلم تزل في اقبال وادبار حتى صيدت

قال الاسد قد فهمت ذلك ولا أظن الثور يغشني ولا يرجو لي الغوائل (١) وكيف يفعل ذلك ولم يرمني سوأ قط ولم أدع خيرا الا فعلته معه ولا أمنية الا بلغته اياها . قال دمنة ان اللئيم لا يزال نافعا ناصحا حتى يرفع الى المنزلة التي ليس لها بأهل فاذا بلغها التمس ما فوقها ولا سيما أهل الخيانة والفجور فان اللئيم الفاجر لا يخدم السلطان ولا ينصح له الا من فرق (٢) فاذا استغنى وذهبت الهيبة عاد الى جوهره كذنب الكلب الذي يربط ليستقيم فلا يزال مستويا ما دام مربوطا فاذا حل انحنى واعوج كما كان واعلم أيها الملك انه من لم يقبل من نصحائه ما يثقل عليه مما ينصحون له به لم يحمد رأيه كالمريض الذي يدع ما يبعث له الطبيب ويعمد الى ما يشتهيه وحق على موازر السلطان أن يبالغ في التحضيض له على ما يزيد سلطانه قوة ويزينه والكف عما يضره ويشينه وخير الاخوان والاعوان أقلهم مداهنة في النصيحة وخير الاعمال أحلاها عاقبة وخير النساء الموافقة لبعلها وخير الثناء ما كان على أفواه الاخيار وأشرف الملوك من لم يخالطه بطر وخير الاخلاق أعونها على الورع وقد قيل لو أن امرأ توسد النار وافترش الحيات كان أحق أن لا يهنئه النوم والرجل اذا أحس من صاحبه بعداوة يريده بها لا يطمئن اليه وأعجز الملوك آخذهم بالهوينا وأقلهم نظرا في مستقبل الامور وأشبههم بالفيل الهائج الذي لا يلتفت الى شيء فان أحزنه أمر تهاون به وان أضاع الامور حمل ذلك

---

(١) الدواهي (٢) خوف

على قرنائه قال له الاسد لقد أغلظت في القول وقول الناصح مقبول محمول وان كان شتربة معاديا لي كما تقول فانه لا يستطيع لي ضرا وكيف يقدر على ذلك وهو آكل عشب وأنا آكل لحم وانما هو لي طعام وليس عليّ منه مخافة ثم ليس الى الغدر به سبيل بعد الامان الذي جعلته له و بعد اكرامي له وثنائي عليه وان غيرت ما كان مني و بدلته سفهت رأيي وجهلت نفسي وغدرت بذمتي . قال دمنة لا يغرنك قولك هو لي طعام وليس عليّ منه مخافة فان شتربة ان لم يستطعك بنفسه احتال لك من قبل غيره و يقال ان استضافك ضيف ساعة من نهار وأنت لا تعرف أخلاقه فلا تأمنه على نفسك ولا تأمن أن يصلك منه أو بسببه ما أصاب القملة من البرغوث قال الاسد وكيف كان ذلك

قال دمنة زعموا أن قملة لزمت فراش رجل من الاغنياء دهرا فكانت تصيب من دمه وهو نائم لا يشعر وتدب دبيبا رفيقا فمكثت كذلك حينا حتى استضافها ليلة من الليالي برغوث فقالت له بت الليلة عندنا في دم طيب وفراش لين فأقام البرغوث عندها حتى اذا أوى الرجل الى فراشه وثب عليه البرغوث فلدغه لدغة أيقظته وأطارت النوم عنه فقام الرجل وأمر أن يفتش فراشه فنظر فلم ير الا القملة فأخذت فقصعت (١) وفر البرغوث وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن صاحب الشر لا يسلم من شره أحد وان هو ضعف عن ذلك جاء الشر بسببه وان كنت لا تخاف من شتربة فخف غيره من جندك الذين قد حملهم (٢) عليك وعلى عداوتك فوقع في نفس الاسد كلام دمنة فقال فما الذي ترى اذا و بماذا تشير . قال دمنة ان الضرس لا يزال مأكولا ولا يزال صاحبه منه في ألم وأذى حتى يفارقه والطعام الذي قد عفن في البطن الراحة في قذفه والعدو المخوف دواؤه قتله قال الاسد

---

(١) قتلت بالظفر (٢) أغراهم

لقدتركتنى أكره مجاورة شتربة إياى وأنا مرسل اليه وذاكر له ماوقع فى نفسى منه ثم آمره باللحاق حيث أحب فكره دمنة ذلك وعلم أن الاسد متى كلم شتربة فى ذلك وسمع منه جوابا عرف باطل ما أتى به واطلع على غدره وكذبه ولم يخف عليه أمره فقال للاسد أما ارسالك الى شتربة فلا أراه لك رأيا ولا حزما فلينظر الملك فى ذلك فان شتربة متى شعر بهذا الامر خفت أن يعاجل الملك بالمكابرة وهو ان قاتلك قاتلك مستعدا وان فارقك فارقك فراقا يلبك منه النقص و يلزمك منه العار مع أن ذوى الرأى من الملوك لايعلنون عقوبة من لم يعلن ذنبه ولكن لكل ذنب عندهم عقوبة فلذنب العلانية عقوبة العلانية ولذنب السر عقوبة السر قال الاسد ان الملك اذا عاقب أحدا عن ظنة ظنها من غير تيقن بجرمه فنفسه عاقب واياها ظلم . قال دمنة أما اذا كان هذا رأى الملك فلا يدخلن عليك شتربة الا وأنت مستعد له واياك أن تصيبك منه غرة أو غفلة فانى لا أحسب الملك حين يدخل عليه الا سيعرف انه قد هم بعظيمة ومن علامات ذلك أنك ترى لونه متغيرا وترى أوصاله ترعد وتراه ملتفتا يمينا وشمالا وتراه يهز قرنيه فعل الذى هم بالنطاح والقتال قال الاسد سأكون منه على حذر وان رأيت منه مايدل على ماذكرت علمت أن ليس فى أمره شك

فلما فرغ دمنة من حمل الاسد على الثور وعرف أنه قد وقع فى نفسه ما كان يلتمس وأن الاسد سيتحذر الثور و يتهيأ له أراد أن يأتى الثور ليغريه بالاسد وأحب أن يكون اتيانه من قبل الاسد مخافة أن يبلغه ذلك فيتأذى به فقال أيها الملك ألا آتى شتربة فأنظر الى حاله وأمره وأسمع كلامه لعلى أطلع على سره فأطلع الملك على ذلك وعلى ما يظهر لى منه فأذن له الاسد فى ذلك فانطلق فدخل على شتربة كالكئيب الحزين فلما رآه الثور رحب به

وقال ما كان سبب انقطاعك عنى فانى لم أرك منذ أيام ولعلك فى سلامة . قال دمنة ومتى كان من أهل السلامة من لا يملك نفسه وأمره بيد غيره ممن لا يوثق به ولا ينفك على خطر وخوف حتى ما من ساعة تمر ويأمن فيها على نفسه قال شتربة وما الذى حدث . قال دمنة حدث ماقدر وهو كائن ومن ذا الذى غالب القدر ومن ذا الذى بلغ من الدنيا جسيما من الامور فلم يبطر ومن ذا الذى بلغ مناه فلم يغتر ومن ذا الذى تبع هواه فلم يخسر ومن ذا الذى طلب من اللئام فلم يحرم ومن ذا الذى خالط الاشرار فسلم ومن ذا الذى صحب السلطان فدام له منه الأمن والاحسان قال شتربة انى أسمع منك كلاما يدل على أنه قد رابك من الاسد ريب وهالك منه أمر . قال دمنة أجل لقد رابنى منه ذلك وليس هو فى أمر نفسى قال شتربة ففى نفس من رابك . قال دمنة قد تعلم ما بينى و بينك وتعلم حقك على وما كنت جعلت لك من العهد والميثاق أيام أرسلنى الاسد اليك فلم أجد بدا من حفظك واطلاعك على ما اطلعت عليه مما أخاف عليك منه قال شتربة وما الذى بلغك . قال دمنة حدثنى الخبير الصدوق الذى لا مرية فى قوله أن الاسد قال لبعض أصحابه وجلسائه قد أعجبنى سمن الثور وليس لى الى حياته حاجة فانا آكله ومطعم أصحابى من لحمه فلما بلغنى هذا القول وعرفت غدره ونقض عهده أقبلت اليك لأقضى حقك وتحتال أنت لأمرك فلما سمع شتربة كلام دمنة وتذكر ما كان دمنة جعل له من العهد والميثاق وفكر فى أمر الاسد ظن أن دمنة قد صدقه ونصح له ورأى أن الامر شبيه بما قال دمنة فأهمه ذلك وقال ما كان للاسد أن يغدر بى ولم آت اليه ذنبا ولا الى أحد من جنده منذ صحبته ولا أظن الاسد الا قد حمل على بالكذب وشبه (١) عليه أمرى

(١) لُبِّسَ

فان الاسد قد صحبه قوم سوء وجرب منهم الكذب وأمور اهى تصدق عنده ما بلغه من غيرهم فان صحبة الاشرار ربما أورثت صاحبها سوء ظن بالاخيار وحملته تجربته على الخطأ كخطأ البطة التى زعموا أنها رأت فى الماء ضوء كوكب فظنته سمكة فحاولت أن تصيدها فلما جربت ذلك مرارا علمت أنه ليس بشئ يصاد فتركته ثم رأت من غد ذلك اليوم سمكة فظنت أنها مثل الذى رأته بالامس فتركتها ولم تطلب صيدها فان كان الاسد بلغه عنى كذب فصدقه علىّ وسمعه فىّ فما جرى على غيرى يجرى علىّ وان كان لم يبلغه شئ وأراد السوء بى من غير علة فان ذلك لمن أعجب الامور وقد كان يقال ان من العجب أن يطلب الرجل رضا صاحبه ولا يرضى وأعجب من ذلك أن يلتمس رضاه فيسخط فاذا كانت الموجدة [1] عن علة كان الرضا موجودا والعفو مأمولا واذا كانت عن غير علة انقطع الرجاء لان العلة اذا كانت الموجدة فى ورودها كان الرضا مأمولا فى صدورها

قد نظرت فلا أعلم بينى وبين الاسد جرما ولا صغير ذنب ولا كبيره ولعمرى ما يستطيع أحد أطال صحبة صاحب أن يحترس فى كل شئ من أمره ولا أن يتحفظ من أن يكون منه صغيرة أو كبيرة يكرهها صاحبه ولكن الرجل ذا العقل وذا الوفاء اذا سقط عنده صاحبه سقطة نظر فيها وعرف قدر مبلغ خطئه عمدا كان أو خطأ ثم ينظر هل فى الصفح عنه أمر يخاف ضرره وشينه فلا يؤاخذ صاحبه بشئ يجد فيه الى الصفح عنه سبيلا فان كان الاسد قد اعتقد على ذنبا فلست أعلمه الا أنى خالفته فى بعض رأيه نصيحة له فعساه أن يكون قد أنزل أمرى على الجراءة عليه والمخالفة له ولا أجد لى فى هذا المحضر اثما لانى لم أخالفه فى شئ الا ما قد ندر من مخالفة الرشد والمنفعة والدين ولم أجاهر بشئ من ذلك على رؤس جنده

(١) الغضب

وعنـد أصحابه ولكنى كنت أخاويه وأ كلمه سرا كلام الهائب الموقر وعلمت أنه من التمس الرُّخَصَ (١) من الاخوان عند المشاورة ومن الاطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة أخطأ منافع الرأى وازداد فيما وقع فيه من ذلك تورطا (٢) وحمل الوزر وان لم يكن هـذا فعسى أن يكون ذلك من بعض سكرات السلطان فان مصاحبة السلطان خطرة وان صوحب بالسلامة والثقة والمودة وحسن الصحبة وان لم يكن هذا فبعض ما أوتيت من الفضل قد جعل لى فيه الهلاك وان لم يكن هذا ولا هذا فهو اذا من مواقع القضاء والقـدر الذى لا يدفع والقدر هو الذى يسلب الاسد قوته وشـدَّته ويدخله القبر وهو الذى يحمل الرجل الضعيف على ظهر الفيل الهائج وهو الذى يسلط على الحية ذات الحُمَة من ينزع حُمتها ويلعب بها وهو الذى يجعل العاجز حازما ويثبط (٣) الشهم ويوسع على المقتر (٤) ويشجع الجبان ويجبن الشجاع عندما تعتريه المقادير من العلل التى وضعت عليها الاقدار

قال دمنة ان ارادة الاسد بك ليست من تحميل الاشرار ولا سكرة السلطان ولا غير ذلك ولكنها الغـدر والفجور منـه فانه فاجر خوان غدار لطعامـه حلاوة وآخره سم مميت قال شـتربة فأرانى قد استلذذت الحلاوة اذ ذقتها وقد انتهيت الى آخرها الذى هو الموت ولولا الحَيْنُ (٥) ما كان مقامى عند الاسـد وهو آ كل لحم وأنا آ كل عشب فأنا فى هذه الورطة كالنحلة التى تجلس على نَور النَّيلَوفَر (٦) اذ تستلذ ريحه وطعمه فتحبسها تلك اللـذة فاذا جاء الليـل ينضم عليها فترتبك فيه وتموت ومن لم يرض من الدنيا بالكفـاف الذى يغنيـه وطمحت (٧) عينـه الى ماسوى ذلك ولم يتخوف عاقبتها كان كالذباب الذى

---

(١) جمع رخصـة وهى التسهيل (٢) ارتباكا (٣) يعوقه (٤) الفقـير
(٥) الهلاك والمحنة (٦) ضرب من الرياحين (٧) ارتفعت

لا يرضى بالشجرة والرياحين ولا يقنعه ذلك حتى يطلب الماء الذى يسيل من أذن الفيل فيضربه الفيل بآذانه فيهلكه ومن يبذل وده ونصيحته لمن لا يشكره فهو كمن يبذر فى السباخ ومن يشر على المعجب فهو كمن يشاور الميت أو يسار الاصم . قال دمنة دع عنك هذا الكلام واحتل لنفسك قال شتربة باى شئ أحتال لنفسى اذا أراد الاسد أكلى مع ما عرفتنى من رأى الاسد وسوء أخلاقه واعلم أنه لو لم يرد بى الا خيرا ثم أراد أصحابه بمكرهم وجورهم هلاكى لقدروا على ذلك فانه اذا اجتمع المكرة الظلمة على البرىء الصحيح كانوا خلقاء أن يهلكوه وان كانوا ضعفاء وهو قوى كما أهلك الذئب والغراب وابن آوى الجمل حين اجتمعوا عليه بالمكر والخديعة والخيانة . قال دمنة وكيف كان ذلك

قال شتربة زعموا ان أسدا كان فى أجمة مجاورة لطريق من طرق الناس وكان له أصحاب ثلاثة ذئب وغراب وابن آوى وان رعاة مروا بذلك الطريق ومعهم جمال فتخلف منها جمل فدخل تلك الاجمة حتى انتهى الى الاسد فقال له الاسد من أين أقبلت قال من موضع كذا قال فما حاجتك قال ما يأمرنى به الملك قال تقيم عندنا فى السعة والامن والخصب فأقام الاسد والجمل معه زمنا طويلا ثم ان الاسد مضى فى بعض الايام لطلب الصيد فلقى فيلا عظيما فقاتله قتالا شديدا وأفلت منه مثقلا مثخنا بالجراح يسيل منه الدم وقد خدشه الفيل بأنيابه فلما وصل الى مكانه وقع لا يستطيع حراكا ولا يقدر على طلب الصيد فلبث الذئب والغراب وابن آوى أياما لا يجدون طعاما لانهم كانوا يأكلون من فضلات الاسد وطعامه فأصابهم جوع شديد وهزال وعرف الاسد ذلك منهم فقال لقد جهدتم (١) واحتجتم الى ما تأكلون

---

(١) بجهد حصل له مشقة

فقالوا الا تهمنا أنفسنا لكنا نرى الملك على ما نراه فليتنا نجد ما يأكله ويصلحه
قال الاسد ما أشك فى نصيحتكم ولكن انتشروا والعلكم تصيبون صيدا تأتونى به
فيصيبنى ويصيبكم منه رزق فخرج الذئب والغراب وابن آوى من عند الاسد
فتنحوا ناحية وتشاوروا فيما بينهم وقالوا ما لنا وله هذا الآكل العشب الذى
ليس شأنه من شأننا ولا رأيه من رأينا ألا نزين للاسد فيأكله ويطعمنا من لحمه
قال ابن آوى هذا مما لا نستطيع ذكره للاسد لانه قد أمن الجمل وجعل له من
ذمته عهدا قال الغراب أنا أكفيكم أمر الاسد ثم انطلق فدخل على الاسد
فقال له الاسد هل أصبت شيأ قال الغراب انما يصيب من يسعى ويبصر
وأما نحن فلا سعى لنا ولا بصر لما بنا من الجوع ولكن قد وفقنا لرأى واجتمعنا
عليه ان وافقنا الملك فنحن له مجيبون قال الاسد وماذاك قال الغراب هذا
الجمل آكل العشب المتمرغ بيننا من غير منفعة لنا منه ولا رد عائدة ولا عمل
يعقب مصلحة فلما سمع الاسد ذلك غضب وقال ما أخطأ رأيك وما أعجز
مقالك وأبعدك من الوفاء والرحمة وما كنت حقيقا أن تجترئ على بهذه
المقالة وتستقبلنى بهذا الخطاب مع ما علمت من انى قد آمنت الجمل وجعلت
له من ذمتى أولم يبلغك انه لم يتصدق متصدق بصدقة هى أعظم أجرا ممن آمن
نفسا خائفة وحقن دما مهدرا وقد آمنته ولست بغادر به قال الغراب انى
لأعرف ما يقول الملك ولكن النفس الواحدة يفتدى بها أهل البيت وأهل
البيت تفتدى بهم القبيلة والقبيلة يفتدى بها أهل المصر وأهل المصر
فداء الملك وقد نزلت بالملك الحاجة وأنا أجعل له من ذمته مخرجا على أن
لا يتكلف الملك ذلك ولا يليه بنفسه ولا يأمر به أحدا ولكنا نحتال بحيلة لنا وله
فيها اصلاح وظفر فسكت الاسد عن جواب الغراب عن هذا الخطاب فلما
عرف الغراب اقرار الاسد أتى أصحابه فقال لهم قد كلمت الاسد فى أكله الجمل

على أن نجتمع نحن والجمل عند الاسد فنذكر ما أصابه ونتوجع له اهتماما منا بأمره وحرصا على صلاحه ويعرض كل واحد منا نفسه عليه تجملا ليأكله فيرد الآخران عليه ويسفهان رأيه ويبينان الضرر فى أكله فاذا فعلنا ذلك سلمنا كلنا ورضى الاسد عنا ففعلوا ذلك وتقدموا الى الاسد

فقال الغراب قد احتجت أيها الملك الى ما يقويك ونحن أحق أن نهب أنفسنا لك فانا بك نعيش فاذا هلكت فليس لاحد منا بقاء بعدك ولا لنا فى الحياة من خيرة فليأكلنى الملك فقد طبت بذلك نفسا فأجابه الذئب وابن آوى أن اسكت فلا خير للملك فى أكلك وليس فيك شبع قال ابن آوى لكن أنا أشبع الملك فليأكلنى فقد رضيت بذلك وطبت عنه نفسا فرد عليه الذئب والغراب بقولهما انك لمنتن قذر قال الذئب انى لست كذلك فليأكلنى الملك فقد سمحت بذلك وطبت عنه نفسا فاعترضه الغراب وابن آوى وقالا قد قالت الاطباء من أراد قتل نفسه فليأكل لحم ذئب فظن الجمل انه اذا عرض نفسه على الاكل التمسوا له عذرا كما التمس بعضهم لبعض الاعذار فيسلم ويرضى الاسد عنه بذلك وينجو من المهالك فقال لكن أنا فى للملك شبع ورى ولحمى طيب هنى وبطنى نظيف فليأكلنى الملك ويطعم أصحابه وخدمه فقد رضيت بذلك وطابت نفسى عنه وسمحت به فقال الذئب والغراب وابن آوى لقد صدق الجمل وكرم وقال ما عرف ثم انهم وثبوا عليه فمزقوه

وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم انه ان كان أصحاب الاسد قد اجتمعوا على هلاكى فانى لست أقدر أن أمتنع منهم ولا أحترس وان كان رأى الاسد لى على غير ما هم عليه من الرأى فى فلا ينفعنى ذلك ولا يغنى عنى شيأ وقد يقال خير السلاطين من عدل فى الناس ولو أن الاسد لم يكن فى نفسه لى الا الخير والرحمة لغيرته كثرة الأقاويل فانها اذا كثرت لم تلبث دون أن تذهب الرقة والرأفة

ألاترى أن الماء ليس كالقول وان الحجر أشد من الانسان فالماء اذا دام انحداره على الحجر لم يلبث حتى يثقبه ويؤثر فيه وكذلك القول فى الانسان .
قال دمنة فماذا تريد أن تصنع الآن قال شتربة ما أرى الا الاجتهاد والمجاهدة بالقتال فانه ليس للمصلى فى صلاته ولا للمتصدق فى صدقته ولا للورع فى ورعه من الأجر ما للمجاهد عن نفسه اذا كانت مجاهدته على الحق . قال دمنة لا ينبغى لأحد أن يخاطر بنفسه وهو يستطيع غير ذلك ولكن ذا الرأى جاعل القتال آخر الحيل وبادئ قبل ذلك بما استطاع من رفق وتمحل وقد قيل لا تحقرن العدو الضعيف المهين ولاسيما اذا كان ذا حيلة ويقدر على الاعوان فكيف بالاسد على جراءته وشدته فان من حقر عدوه لضعفه أصابه ما أصاب وكيل البحر من الطيطوى قال شتربة وكيف كان ذلك

قال دمنة زعموا أن طائرا من طيور البحر يقال له الطيطوى (١) كان وطنه على ساحل البحر ومعه زوجة له فلما جاء أوان تفريخهما قالت الانثى للذكر لو التمسنا مكانا حريزا نفرخ فيه فانى أخشى من وكيل (٢) البحر اذا مد الماء أن يذهب بفراخنا فقال لها افرخى مكانك فانه موافق لنا والماء والزهر منا قريب قالت له ياغافل ليحسن نظرك فانى أخاف وكيل البحر أن يذهب بفراخنا فقال لها افرخى مكانك فانه لا يفعل ذلك فقالت له ما أشد تعنتك (٣) أما تذكر وعيده وتهدده اياك ألا تعرف نفسك وقدرك فأبى أن يطيعها فلما أكثرت عليه ولم يسمع قولها قالت له ان من لم يسمع قول الناصح يصيبه ما أصاب السلحفاة حين لم تسمع قول البطتين قال الذكر وكيف كان ذلك

قالت الانثى زعموا أن غديرا كان عنده عشب وكان فيه بطتان وكان فى الغدير سلحفاة بينها وبين البطتين مودة وصداقة فاتفق أن غيض ذلك الماء

---

(١) الطيطوى ضرب من القطا (٢) الجنى الموكل بالبحر كما فى النسخة الانجليزية السابقة (٣) التعنت ادخال المشقة

فجاء البطتان لوداع السلحفاة وقالتا السلام عليك فاننا ذاهبتان عن هذا المكان لاجل نقصان الماء عنه فقالت انما يبين نقصان الماء على مثلي فاني كأني السفينة لا أقدر على العيش الا بالماء فأما أنتما فتقدران على العيش حيث كنتما فاذهبا بي معكما فقالتا لها نعم قالت كيف السبيل الى حملي قالتا نأخذ بطرفي عود وتتعلقين بوسطه ونطير بك في الجو واياك اذا سمعت الناس يتكلمون أن تنطقي ثم أخذتاها فطارتا بها في الجو فقال الناس عجب سلحفاة بين بطتين قد حملتاها فلما سمعت ذلك قالت فقأ الله أعينكم أيها الناس فلما فتحت فاها بالنطق وقعت على الارض فماتت قال الذكر قد سمعت مقالتك فلا تخافي وكيل البحر فلما مد الماء ذهب بفراخهما فقالت الانثى قد عرفت في بدء الامر أن هذا كائن قال الذكر سوف أنتقم منه ثم مضى الى جماعة الطير فقال لهن انكن أخواتي وثقاتي فأعنني قلن ماذا تريد أن تفعل قال تجتمعن وتذهبن معي الى سائر الطير فنشكو اليهن ما لقيت من وكيل البحر ونقول لهن انكن طير مثلنا فأعننا فقالت له جماعة الطير ان العنقاء هي سيدتنا وملكتنا فاذهب بنا اليها حتى نصيح بها فتظهر لنا فنشكو اليها ما نالك من وكيل البحر ونسألها أن تنتقم لنا منه بقوة ملكها ثم انهن ذهبن اليها مع الطيطوى فاستغثنها وصحن بها فتراءت لهن فأخبرنها بقصتهن وسألنها أن تصير معهن الى محاربة وكيل البحر فأجابتهن الى ذلك فلما علم وكيل البحر أن العنقاء قد قصدته في جماعة الطير خاف من محاربة ملك لا طاقة له به فرد فراخ الطيطوى وصالحه فرجعت العنقاء عنه

وانما حدثتك بهذا الحديث لتعلم أن القتال مع الاسد لا أراه لك رأيا قال شتربة فما أنا بمقاتل الاسد ولا ناصب له العداوة سرا ولا علانية ولا متغير له عما كنت عليه حتى يبدو لي منه ما أتخوف فأغالبه فكره دمنة قوله

وعلم أن الاسد ان لم ير من الثور العلامات التي كان ذكرها له اتهمه وأساء به الظن فقال دمنة لشتربة اذهب الى الاسد فستعرف حين ينظر اليك ما يريد منك قال شتربة وكيف أعرف ذلك . قال دمنة سترى الاسد حين تدخل عليه مقعيا على ذنبه رافعا صدره اليك ماذا بصره نحوك قد صر (١) أذنيه وفغر فاه واستوى للوثبة قال شتربة ان رأيت هذه العلامات من الاسد عرفت صدقك في قولك ثم ان دمنة لما فرغ من حمل الاسد على الثور والثور على الاسد توجه الى كليلة . فلما التقيا قال كليلة إلام انتهى عملك الذي كنت فيه . قال دمنة قريب من الفراغ على ما أحب وتحب ثم ان كليلة ودمنة انطلقا جميعا ليحضرا قتال الاسد والثور وينظرا ما يجري بينهما ويعاينا ما يؤول اليه أمرهما وجاء شتربة فدخل على الاسد فرآه مقعيا كما وصفه له دمنة فقال ما صاحب السلطان الا كصاحب الحية التي في مبيته ومقيله فلا يدري متى تهيج به ثم ان الاسد نظر الى الثور فرأى الدلالات التي ذكرها له دمنة فلم يشك أنه جاء لقتاله فواثبه ونشأ بينهما الحرب واشتد قتال الثور والاسد وطال وسالت بينهما الدماء فلما رأى كليلة أن الاسد قد بلغ منه ما قد بلغ . قال لدمنة أيها الفسل (٢) ما أنكر جهلتك وأسوأ عاقبتك في تدبيرك . قال دمنة وما ذاك . قال كليلة جرح الاسد وهلك الثور وان أخرق الخرق من حمل صاحبه على سوء الخلق والمبارزة والقتال وهو يجد الى غير ذلك سبيلا وان العاقل يدبر الاشياء ويقيسها قبل مباشرتها فما رجا أن يتم له منها أقدم عليه وما خاف أن يتعذر عليه منها انحرف عنه ولم يلتفت اليه وانى لأخاف عليك عاقبة بغيك هذا فانك قد أحسنت القول ولم تحسن العمل . أين معاهدتك اياي أنك لا تضر بالاسد

---

(١) نصبها للاستماع (٢) الفسل الرذل الذي لا مروءة له

فى تدبيرك وقد قيل لا خير فى القول الا مع العمل ولا فى الفقه الا مع الورع ولا فى الصدقة الا مع النية ولا فى المال الا مع الجود ولا فى الصدق الا مع الوفاء ولا فى الحياة الا مع الصحة ولا فى الأمن الا مع السرور

واعلم أن الادب يذهب عن العاقل الطيش و يزيد الاحمق طيشا كما أن النهار يزيد كل ذى بصر نظرا و يزيد الخُفَّاش سوء النظر

وقد أذكرنى أمرك شيأ سمعته فانه يقال ان السلطان اذا كان صالحا و وزراؤه وزراء سوء منعوا خيره فلا يقدر أحد أن يدنو منه ومثله فى ذلك مثل الماء الطيب الذى فيه التماسيح لا يقدر أحد أن يتناوله وان كان الى الماء محتاجا . وأنت يادمنة أردت أن لا يدنو من الاسد أحد سواك وهذا أمر لا يصح ولا يتم أبدا وذلك للمثل المضروب . ان البحر بأمواجه والسلطان بأصحابه ومن الحمق الحرص على التماس الاخوان بغير الوفاء لهم وطلب الآخرة بالرياء ونفع النفس بضر الغير وماعظتى وتأديبى اياك الا كما قال الرجل للطائر لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم ولا تعالج تأديب من لا يتأدب .

قال دمنة وكيف كان ذلك

قال كليلة زعموا أن جماعة من القردة كانوا سكانا فى جبل فالتمسوا فى ليلة باردة ذات رياح وأمطار نارا فلم يجدوا فرأوا يراعة(١) تطير كأنها شرارة نار فظنوها نارا و جمعوا حطبا كثيرا فألقوه عليها وجعلوا ينفخون طمعا أن يوقدوا نارا يصطلون(٢) بها من البرد وكان قريبا منهم طائر على شجرة ينظرون اليه و ينظر اليهم وقد رأى ما صنعوا فجعل يناديهم و يقول لا تتعبوا فان الذى رأيتموه ليس بنار فلما طال ذلك عليه عزم على القرب منهم لينهاهم عما هم فيه فمر به رجل فعرف ما عزم عليه فقال له لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم

---

(١) اليراع ذباب يطير بالليل كأنه نار (٢) يستدفئون

فان الحجر المانع (١) الذى لا ينقطع لا تجرب عليه السيوف والعود الذى لا ينحنى لا يعمل منه القوس فلا تتعب فأبى الطائر أن يطيعه وتقدم الى القردة ليعرفهم أن البراعة ليست بنار فتناوله بعض القردة فضرب به الارض فمات فهذا مثلى معك فى ذلك ثم قد غلب عليك الخب (٢) والفجور وهما خلتا سوء والخب شرهما عاقبة ولهذا مثل . قال دمنة وما ذلك المثل

قال كليلة زعموا أن خبا (٣) ومغفلا اشتركا فى تجارة وسافرا فبينما هما فى الطريق اذ تخلف المغفل لبعض حاجته فوجد كيسا فيه ألف دينار فأخذه فأحس به الخب فرجعا الى بلدهما حتى اذا دنوا من المدينة قعدا لاقتسام المال فقال المغفل خذ نصفه وأعطنى نصفه وكان الخب قد قرر فى نفسه أن يذهب بالالف جميعه فقال له لا نقتسم فان الشركة والمفاوضة أقرب الى الصفاء والمخالطة ولكن آخذ نفقة وتأخذ مثلها وندفن الباقى فى أصل هذه الشجرة فهو مكان حريز فاذا احتجنا جئنا أنا وأنت فنأخذ حاجتنا منه ولا يعلم بموضعنا أحد فأخذا منه يسيرا ودفنا الباقى فى أصل دوحة (٤) ودخلا البلد ثم ان الخب خالف (٥) المغفل الى الدنانير فأخذها وسوى الارض كما كانت وجاء المغفل بعد ذلك بأشهر فقال للخب قد احتجت الى نفقة فانطلق بنا نأخذ حاجتنا فقام الخب معه وذهبا الى المكان فحفرا فلم يجدا شيأ فأقبل الخب على وجهه يلطمه ويقول لا تغتر بصحبة صاحب . خالفتنى الى الدنانير فأخذتها فجعل المغفل يحلف ويلعن آخذها ولا يزداد الخب الا شدة فى اللطم وقال ما أخذها غيرك وهل شعر بها أحد سواك ثم طال ذلك بينهما فترافعا الى القاضى فاقتص القاضى قصتهما

---

(١) الصلد (٢) الخداع (٣) الخب المفسد الخداع اللئيم (٤) شجرة عظيمة
(٥) قصد الدنانير مخالفا له

فادعى الخب أن المغفل أخذها و جحد المغفل فقال للخب ألك على دعواك بينة قال نعم الشجرة التى كانت الدنانير عندها تشهد لى أن المغفل أخذها وكان الخب قد أمر أباه أن يذهب فيتوارى فى الشجرة بحيث اذا سئلت أجاب فذهب أبو الخب فدخل جوف الشجرة ثم ان القاضى لما سمع ذلك من الخب أكبره وانطلق هو وأصحابه والخب والمغفل معه حتى وافى الشجرة فسألها عن الخبر فقال الشيخ من جوفها نعم المغفل أخذها فلما سمع القاضى ذلك اشتد تعجبه فدعا بحطب وأمر أن تحرق الشجرة فأضرمت حولها النيران فاستغاث أبو الخب عند ذلك فأخرج وقد أشرف على الهلاك فسأله القاضى عن القصة فأخبره بالخبر فأوقع بالخب ضربا وبأبيه صفعا(١) وأركبه(٢) مشهورا وغرم الخب الدنانير فأخذها وأعطاها المغفل

وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الخب والخديعة ربما كان صاحبهما هو المغبون وانك يادمنة جامع للخب والخديعة والفجور وانى أخشى عليك ثمرة عملك مع انك لست بناج من العقوبة لانك ذو لونين ولسانين وانما عذوبة ماء الانهار مالم تبلغ الى البحار وصلاح أهل البيت مالم يكن فيهم المفسد وأنه لاشئ أشبه بك من الحية ذات اللسانين التى فيها السم فانه قد يجرى من لسانك كسمها وانى لم أزل لذلك السم من لسانك خائفا ولما يحل بك متوقعا والمفسد بين الاخوان والاصحاب كالحية يربيها الرجل ويطعمها ويمسحها ويكرمها ثم لايكون له منها غير اللدغ وقد يقال الزم ذا العقل وذا الكرم واسترسل اليهما واياك ومفارقتهما واصحب الصاحب اذا كان عاقلا كريما أو عاقلا غير كريم فالعاقل الكريم كامل والعاقل غير الكريم اصحبه وان كان غير محمود الخليقة واحذر من سوء أخلاقه وانتفع بعقله والكريم

(١) الصفع ضرب القفا (٢) شهره كشهّره أظهره فى شنعة

غير العاقل الزمه ولا تدع مواصلته وان كنت لا تحمد عقله وانتفع بكرمه وانفعه بعقلك والفرار كل الفرار من اللئيم الأحمق واني بالفرار منك لجدير وكيف يرجو اخوانك عندك كرما وودا وقد صنعت بملكك الذي أكرمك وشرفك ما صنعت وان مثلك مثل التاجر الذي قال ان ارضا تأكل جرذانها(١) مائة من(٢) حديد ليس بمستنكر على بزاتها أن تختطف الافيال . قال دمنة وكيف كان ذلك

قال كليلة زعموا انه كان بأرض كذا تاجر فأراد الخروج الى بعض الوجوه لابتغاء الرزق وكان عنده مائة من حديد فأودعها رجلا من اخوانه وذهب في وجهه ثم قدم بعد ذلك بمدة فجاء والتمس الحديد فقال له انه قد أكلته الجرذان فقال قد سمعت انه لا شئ أقطع من أنيابها للحديد ففرح الرجل بتصديقه على ما قال وادعى ثم ان التاجر خرج فلقي ابنا للرجل فأخذه وذهب به الى منزله ثم رجع اليه الرجل من الغد فقال له هل عندك علم بابني فقال له التاجر انى لما خرجت من عندك بالامس رأيت بازيا قد اختطف صبيا ولعله ابنك فلطم الرجل على رأسه وقال يا قوم هل سمعتم أو رأيتم أن البزاة تختطف الصبيان فقال نعم وان أرضا تأكل جرذانها مائة من حديد ليس بعجب أن تختطف بزاتها الفيلة قال له الرجل أنا أكلت حديدك وهذا ثمنه فاردد على ابني

وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنك اذا غدرت بصاحبك فلا شك أنك بمن سواه أغدر وانه اذا صاحب أحد صاحبا وغدر بمن سواه فقد علم صاحبه انه ليس عنده للمودة موضع فلا شئ أضيع من مودة تمنح من لا وفاء له وحباء يصطنع عند من لا شكر له وأدب يحمل الى من لا يتأدب به ولا يسمعه وسر يستودع عند من لا يحفظه فان صحبة الاخيار تورث الخير وصحبة الاشرار

---

(١) نوع من الفيران مفرده جُرَذ (٢) المَنُّ رطلان

تورث الشر كالريح اذا مرّت بالطيب حملت طيبا واذا مرت بالنتن حملت نتنا وقد طال وثقل كلامى عليك فانتهى كليلة من كلامه الى هذا المكان وقد فرغ الاسد من الثور ثم فكر فى قتله بعد أن قتله وذهب عنه الغضب وقال لقد فجعنى شتربة بنفسه وقد كان ذا عقل ورأى وخلق كريم ولا أدرى لعله كان بريئا أو مكذوبا عليه فحزن وندم على ما كان منه وتبين ذلك فى وجهه وبصر به دمنة فترك محاورة كليلة وتقدم الى الاسد فقال له ليهنئك الظفر اذ أهلك الله أعداءك فماذا يحزنك أيها الملك قال أنا حزين على عقل شتربة ورأيه وأدبه قال له دمنة لا ترحمه أيها الملك فان العاقل لا يرحم من يخافه وان الرجل الحازم ربما أبغض الرجل وكرهه ثم قربه وأدناه لما يعلم عنده من الغنى والكفاية فعل الرجل المتكاره على الدواء الشنيع رجاء منفعته وربما أحب الرجل وعز عليه فأقصاه وأهلكه مخافة ضرره كالذى تلدغه الحية فى اصبعه فيقطعها ويتبرأ منها مخافة أن يسرى سمها الى بدنه فرضى الاسد بقول دمنة ثم علم بعد ذلك بكذبه وغدره وفجوره فقتله شر قتلة (انقضى باب الاسد والثور)

باب الفحص عن أمر دمنة

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد حدثتنى عن الواشى الماهر المحتال كيف يفسد بالنميمة المودة الثابتة بين المتحابين فحدثنى حينئذ عما كان من حال دمنة وما آل أمره اليه بعد قتل شتربة وما كان من معاذيره عند الاسد وأصحابه حين راجع الاسد رأيه فى الثور وتحقق النميمة من دمنة وما كانت حجته التى احتج بها قال الفيلسوف أنا وجدت فى حديث دمنة أن الاسد حين قتل شتربة ندم على قتله وذكر قديم صحبته وجسيم خدمته وأنه كان أكرم أصحابه عليه وأخصهم منزلة لديه وأقربهم وأدناهم اليه

وكان يواصل له المشورة دون خواصه وكان من أخص أصحابه عنده بعد الثور النمر فاتفق أنه أمسى النمر ذات ليلة عند الاسد فخرج من عنده جوف الليل يريد منزله فاجتاز على منزل كليلة ودمنة فلما انتهى الى الباب سمع كليلة يعاتب دمنة على ما كان منه ويلومه على النميمة واستعمالها خصوصا مع الكذب والبهتان فى حق الخاصة وعرف النمر عصيان دمنة وترك القبول له فوقف يستمع ما يجرى بينهما فكان فيما قال كليلة لدمنة لقد ارتكبت مركبا صعبا ودخلت مدخلا ضيقا وجنيت على نفسك جناية موبقة وعاقبتها وخيمة وسوف يكون مصرعك شديدا اذا انكشف للاسد أمرك واطلع عليه وعرف غدرك ومحالك(١) وبقيت لا ناصر لك فيجتمع عليك الهوان والقتل مخافة شرك وحذرا من غوائلك فلست بمتخذك بعد اليوم خليلا ولا مفش اليك سرا لأن العلماء قد قالوا تباعد عمن لا رغبة فيه وأنا جدير بمباعدتك والتماس الخلاص لى مما وقع فى نفس الاسد من هذا الامر

فلما سمع النمر هذا من كلامهما قفل راجعا فدخل على أم الاسد فأخذ عليها العهود والمواثيق أنها لا تفشى ما يسر اليها فعاهدته على ذلك فأخبرها بما سمع من كلام كليلة ودمنة فلما أصبحت دخلت على الاسد فوجدته كئيبا حزينا مهموما لما ورد عليه من قتل شتربة فقالت له ما هذا الهم الذى قد أخذ منك وغلب عليك قال يحزننى قتل شتربة اذا تذكرت صحبته ومواظبته على خدمتى وما كنت أسمع من نصيحته وأسكن اليه من مشاورته وأقبل من مناصحته قالت أم الاسد ان أشد ما شهد امرؤ على نفسه وهلا لذا خطأ عظيم كيف أقدمت على قتل الثور بلا علم ولا يقين ولولا ما قالت العلماء فى اذاعة الاسرار وما فيها من الاثم والشنار(٢) لذكرت لك وأخبرتك بما علمت قال الاسد

---

(١) احوجاجك (٢) الشنار أقبح العيب والعار

ان أقوال العلماء لهما وجوه كثيرة ومعان مختلفة وانى لأعلم صواب ما تقولين وان كان عندك رأى فلا تطو به عنى وان كان قد أسر اليك أحد سرا فأخبرينى به وأطلعينى عليه وعلى جلة الأمر فأخبرته بجميع ما ألقاه اليها النمر من غير أن تخبره باسمه وقالت انى لم أجهل قول العلماء فى تعظيم العقوبة وتشديدها وما يدخل على الرجل من العار فى اذاعة الاسرار ولكنى أحببت أن أخبرك بما فيه المصلحة لك وان وصل خطؤه وضرره الى العامة فاصرارهم على خيانة الملك مما لا يدفع الشر عنهم و به يحتج السفهاء و يستحسنون ما يكون من أعمالهم القبيحة وأشد معارّهم[1] اقدامهم على ذى الحزم فلما قضت أم الاسد هذا الكلام استدعى أصحابه و جنده فأدخلوا عليه ثم أمر أن يؤتى بدمنة فلما وقف بين يدى الاسد ورأى ما هو عليه من الحزن والكآبة التفت الى بعض الحاضرين فقال ما الذى حدث وما الذى أحزن الملك فالتفتت أم الاسد اليه وقالت قد أحزن الملك بقاؤك ولو طرفة عين ولن يدعك بعد اليوم حيا . قال دمنة ما ترك الاول للآخر شيئا لانه يقال أشد الناس فى توقى الشر يصيبه الشر قبل المستسلم له فلا يكونن الملك وخاصته و جنوده المثل السوء وقد علمت أنه قد قيل من صحب الاشرار وهو يعلم حالهم كان أذاه من نفسه ولذلك انقطعت النساك بأنفسها عن الخلق واختارت الوحدة على المخالطة وحب العمل لله على حب الدنيا وأهلها ومن يجزى بالخير خيرا و بالاحسان احسانا الا الله ومن طلب الجزاء على الخير من الناس كان حقيقا أن يحظى بالحرمان اذ يخطئ الصواب فى خلوص العمل لغير الله تعالى وطلب الجزاء من الناس وان أحق ما رغبت فيه رعية الملك هو محاسن الاخلاق ومواقع الصواب و جميل السير وقد قالت العلماء من صدق ما ينبغى

---

(١) المعارّ جمع معرة وهى الاثم والخيانة والاذى

أن يكذب وكذب ما ينبغى أن يصدق خرج من مصاف العقلاء وكان جديرا بالازدراء فينبغى أن لا يعجل الملك فى أمرى بشبهة ولست أقول هذا كراهة للموت فإنه وإن كان كريها لا منجى منه وكل حى هالك ولو كانت لى مائة نفس وأعلم أن هوى الملك فى اتلافهن طبت له بذلك نفسا فقال بعض الجند لم ينطق بهذا حبه الملك ولكن لخلاص نفسه والتماس العذر لها فقال له دمنة ويلك وهل على فى التماس العذر لنفسى عيب وهل أحد أقرب الى الانسان من نفسه واذا لم يلتمس لها العذر فلمن يلتمسه لقد ظهر منك ما لم تكن تملك كتمانه من الحسد والبغضاء ولقد عرف من سمع منك ذلك أنك لا تحب لأحد خيرا وأنك عدو نفسك فمن سواها بالاولى فتلك لا يصلح أن يكون مع البهائم فضلا عن أن يكون مع الملك وأن يكون ببابه فلما أجابه دمنة بذلك خرج مكتئبا حزينا مستحيا فقالت أم الاسد لدمنة لقد عجبت منك أيها المحتال فى قلة حيائك وكثرة وقاحتك وسرعة جوابك لمن كلمك . قال دمنة لانك تنظرين الى بعين واحدة وتسمعين منى بأذن واحدة مع أن شقاوة جدى قد زوت[1] عنى كل شىء حتى لقد سعوا الى الملك بالنميمة على ولقد صار من بباب الملك لاستخفافهم به وطول كرامته اياهم وما هم فيه من العيش والنعمة لا يدرون فى أى وقت ينبغى لهم الكلام ولا متى يجب عليهم السكوت قالت ألا تنظرون الى هذا الشقى مع عظم ذنبه كيف يجعل نفسه بريئا كمن لا ذنب له . قال دمنة ان الذين يعملون غير أعمالهم ليسوا على شىء كالذى يضع الرماد موضعا ينبغى أن يضع فيه الرمل ويستعمل فيه السرجين[2] والرجل الذى يلبس لباس المرأة والمرأة التى تلبس لباس الرجل والضيف الذى يقول أنا رب البيت والذى ينطق بين الجماعة بما لا يسأل عنه وانما الشقى من لا يعرف الامور

(١) نحت وأبعدت (٢) السرجين بكسر أوله الزبل

ولا أحوال الناس ولا يقدر على دفع الشر عن نفسه ولا يستطيع ذلك قالت أم الاسد أتظن أيها الغادر المحتال بقولك هذا أنك تخدع الملك ولا يسجنك. قال دمنة الغادر الذى لا يأمن عدوه مكره واذا استمكن من عدوه قتله على غير ذنب قالت أم الاسد أيها الغادر الكذوب أتظن أنك ناج من عاقبة كذبك وأن محالك هذا ينفعك مع عظم جرمك. قال دمنة الكذوب الذى يقول مالم يكن ويأتى بما لم يقل ولم يفعل وكلامى واضح مبين قالت أم الاسد العلماء منكم هم الذين يوضحون أمره بفصل الخطاب ثم نهضت فخرجت فدفع الاسد دمنة الى القاضى فأمر القاضى بحبسه فألقى فى عنقه حبل وانطلق به الى السجن

فلما انتصف الليل أخبر كليلة أن دمنة فى الحبس فأتاه مستخفيا فلما رآه وما هو عليه من ضيق القيود وحرج المكان بكى وقال له ما وصلت الى ما وصلت اليه الا لاستعمالك الخديعة والمكر واضرابك عن العظة ولكن لم يكن لى بُدٌّ فيما مضى من انذارك والنصيحة لك والمسارعة اليك فى خلوص الرغبة فيك فانه لكل مقام مقال ولكل موضع مجال ولو كنت قصرت فى عظتك حين كنت فى عافية لكنت اليوم شريكك فى ذنبك غير أن العجب دخل منك مدخلا قهر رأيك وغلب على عقلك وكنت أضرب لك الامثال كثيرا وأذكرك قول العلماء وقد قالت العلماء ان المحتال يموت قبل أجله . قال دمنة قد عرفت صدق مقالتك وقد قالت العلماء لا تجزع من العذاب اذا وقفت منك على خطيئة ولأن تعذب فى الدنيا بجرمك خير من أن تعذب فى الآخرة بجهنم مع الاثم . قال كليلة قد فهمت كلامك ولكن ذنبك عظيم وعقاب الاسد شديد أليم وكان بقربهما فى السجن فَهْد[1] مُعْتَقَل[2]

---

(١) نوع من السباع (٢) محبوس

يسمع كلامهما ولا يريانه فعرف معاتبة كليلة لدمنة على سوء فعله وما كان منه وان دمنة مقر بسوء عمله وعظيم ذنبه فحفظ المحاورة بينهما وكتمها ليشهد بها ان سئل عنها ثم ان كليلة انصرف الى منزله ودخلت أم الاسد حين أصبحت على الاسد وقالت له ياسيد الوحوش حوشيت[1] أن تنسى ماقلت بالامس وأنك أمرت به لوقته وأرضيت به رب العباد وقد قالت العلماء لا ينبغى للانسان أن يتوانى فى الجد التقوى بل لا ينبغى أن يدافع عن ذنب الاثيم فلما سمع الاسد كلام أمه أمر أن يحضر النمر وهو صاحب القضاء فلما حضر قال له وللجواس[2] العادل اجلسا فى موضع الحكم وناديا فى الجند صغيرهم وكبيرهم أن يحضروا وينظروا فى حال دمنة ويبحثوا عن شأنه ويفحصوا عن ذنبه ويثبتوا قوله وعذره فى كتب القضاء وارفعا الى ذلك يوما فيوما فلما سمع ذلك النمر والجواس العادل وكان هذا الجواس عم الاسد قالا سمعا وطاعة لما أمر الملك وخرجا من عنده فعملا بمقتضى ما أمرهما به حتى اذا مضى من اليوم الذى جلسوا فيه ثلاث ساعات أمر القاضى أن يؤتى بدمنة فأتى به فأوقف بين يديه والجماعة حضور فلما استقر به المكان نادى سيد الجمع بأعلى صوته أيها الجمع انكم قد علمتم أن سيد السباع لم يزل منذ قتل شتربة خاثر[3] النفس كثير الهم والحزن يرى أنه قد قتل شتربة بغير ذنب وأنه أخذه بكذب دمنة وغميته وهذا القاضى قد أمر أن يجلس مجلس القضاء ويبحث عن شأن دمنة فمن علم منكم شيأ فى أمر دمنة من خير أو شر فليقل ذلك وليتكلم به على رؤس الجمع والاشهاد ليكون القضاء فى أمره بحسب ذلك فاذا استوجب القتل فالتثبت فى أمره أولى والعجلة من الهوى ومتابعة الاصحاب على الباطل ذل فعندها قال القاضى أيها الجمع اسمعوا قول سيدكم ولا تكتموا ما عرفتم

---

(١) نزهت (٢) الاسد (٣) ضعيفها

من أمره واحذر وافى الستر عليه ثلاث خصال احداهن وهى أفضلهن أن لا تزدروا فعله ولا تعدوه يسيرا فمن أعظم الخطايا قتل البرىء الذى لا ذنب له بالكذب والنميمة ومن علم من أمر هذا الكذاب الذى اتهم البرىء بكذبه ونميمته شيأ فستر عليه فهو شريكه فى الاثم والعقوبة والثانية اذا اعترف المذنب بذنبه كان أسلم له وأحرى بالملك وجنده أن يعفوا عنه ويصفحوا والثالثة ترك مراعاة أهل الذم والفجور وقطع أسباب مواصلاتهم ومودتهم عن الخاصة والعامة فمن علم من أمر هذا المحتال شيأ فليتكلم به على رؤس الأشهاد ممن حضر ليكون ذلك حجة عليه وقد قيل انه من كتم شهادة ميت ألجم بلجام من نار يوم القيامة فليقل كل واحد منكم ما علم فلما سمع ذلك الجمع كلامه أمسكوا عن القول فقال دمنة ما يسكتكم تكلموا بما علمتم واعلموا أن لكل كلمة جوابا وقد قالت العلماء من يشهد بما لم ير ويقول ما لا يعلم أصابه ما أصاب الطبيب الذى قال لما لا يعلمه انى أعلمه قالت الجماعة وكيف كان ذلك

قال دمنة زعموا أنه كان فى بعض المدن طبيب له رفق وعلم وكان ذا فطنة فيما يجرى على يديه من المعالجات فكبر ذلك الطبيب وضعف بصره وكان لملك تلك المدينة ابنة قد زوجها لابن أخ له فعرض لها ما يعرض للحوامل من الالم وجاع فجىء بهذا الطبيب فلما حضر سأل الجارية عن وجعها وما تجد فأخبرته فعرف داءها ودواءها وقال لو كنت أبصر لجمعت الاخلاط على معرفتى بأجناسها ولا أثق فى ذلك بأحد غيرى وكان فى المدينة رجل سفيه فبلغه الخبر فأتاهم وادعى علم الطب وأعلمهم أنه خبير بمعرفة أخلاط الادوية والعقاقير عارف بطبائع الادوية المركبة والمفردة فأمره الملك أن يدخل خزانة الادوية فيأخذ من أخلاط الدواء حاجته فلما دخل السفيه الخزانة

وعرضت عليه الادوية ولا يدرى ماهى ولاله بها معرفة أخذ فى جملة ما أخذ منها صرة فيها سم قاتل لوقته وخلطه فى الادوية ولا علم له به ولا معرفة عنده بجنسه فلما تمت أخلاط الادوية سقى الجارية منه فماتت لوقتها فلما عرف الملك ذلك دعا بالسفيه فسقاه من ذلك الدواء فمات من ساعته . وانما ضربت لكم هذا المثل لتعلموا ما يدخل على القائل والعامل من الزلة بالشبهة فى الخروج عن الحد فمن خرج منكم عن حده أصابه ما أصاب ذلك الجاهل ونفسه الملومة وقد قالت العلماء عاجزى المتكلم بقوله والكلام بين أيديكم فانظروا لأنفسكم

فتكلم سيد الخنازير لادلاله وتيهه بمنزلته عند الاسد فقال يا أهل الشرف من العلماء اسمعوا مقالتى وعوا بأحلامكم كلامى فالعلماء قالوا فى شأن الصالحين انهم يعرفون بسيماهم وأنتم معاشر ذوى الاقتدار بحسن صنع الله لكم وتمام نعمته لديكم تعرفون الصالحين بسيماهم وصورهم وتخبرون الشئ الكبير بالشئ الصغير وههنا أشياء كثيرة تدل على هذا الشقى دمنة وتخبر عن شره فاطلبوها على ظاهر جسمه لتستيقنوا وتسكنوا الى ذلك قال القاضى لسيد الخنازير قد علمت وعلم الجماعة الحاضرون أنك عارف بما فى الصور من علامات السوء ففسر لنا ما تقول وأطلعنا على ما ترى فى صورة هذا الشقى فأخذ سيد الخنازير يذم دمنة وقال ان العلماء قد كتبوا وأخبروا أنه من كانت عينه اليسرى أصغر من عينه اليمنى وهى لا تزال تختلج وكان أنفه مائلا الى جنبه الايمن فهو شقى خبيث . قال له دمنة شأنك عجب أيها القذر ذو العلامات الفاضحة القبيحة ثم العجب من جراءتك على طعام الملك وقيامك بين يديه مع ما بجسمك من القذر والقبح ومع ما تعرفه أنت ويعرفه غيرك من عيوب نفسك أفتتكلم فى النقى الجسم الذى لا عيب فيه ولست أنا وحدى أطلع على عيبك لكن جميع من حضر

قد عرف ذلك وقد كان يحجزني عن اظهاره مابيني وبينك من الصداقة فأما اذ قد كذبت عليّ و بهتني(١) في وجهي وقت بعداوتي فقلت ماقلت فيّ بغير علم على رؤس الحاضرين فاني أقتصر على اظهار ما أعرف من عيوبك وتعرفه الجماعة وحق على من عرفك حق معرفتك أن يمنع الملك من استعماله اياك على طعامه فلو كلفت أن تعمل الزراعة لكنت جديرا بالخذلان فيها فالأحرى بك أن لا تدنو الى عمل من الاعمال وأن لا تكون دباغا ولا حجاما لعامي فضلا عن خاص خدمة الملك قال سيد الخنازير أتقول لي هذه المقالة وتلقاني بهذا الملق . قال دمنة نعم وحقا قلت فيك واياك أعني أيها الاعرج المكسور الأفدع(٢) الرجل المنفوخ البطن الأفلح(٣) الشفتين السيء المنظر والمخبر فلما قال ذلك دمنة تغير وجه سيد الخنازير واستعبر(٤) واستحى وتلجلج لسانه واستكان(٥) وفتر نشاطه فقال دمنة حين رأى انكساره و بكاءه انما ينبغي أن يطول بكاؤك اذا اطلع الملك على قذرك وعيوبك فعزلك عن طعامه وحال بينك وبين خدمته وأبعدك عن حضرته ثم ان شعهرا كان الاسد قد جربه فوجد فيه أمانة وصدقا فرتبه في خدمته وأمره أن يحفظ ما يجري بينهم ويطلعه على ذلك فقام الشعهر فدخل على الأسد فحدثه بالحديث كله على جليته فأمر الاسد بعزل سيد الخنازير عن عمله وأمر أن لا يدخل عليه ولا يرى وجهه وأمر بدمنة أن يسجن وقد مضى من النهار أكثره وجميع ما جرى وقالوا وقال قد كتب وختم عليه بخاتم النمر ورجع كل واحد الى منزله

ثم ان شعهرا يقال له روزبه كان بينه وبين كليلة اخاء ومودة وكان عند الاسد وجيها وعليه كريما واتفق أن كليلة أخذه الوجد اشفاقا وحذرا

(١) قلت عليّ مالم أفعل (٢) الاعوج (٣) المشقوق (٤) جرت عبرته وحزن (٥) ذلّ

على نفسه وأخيه فرض ومات فانطلق هذا الشعهر الى دمنة فأخبره بموت كليلة فبكى وحزن وقال ما أصنع بالدنيا بعد مفارقة الأخ الصفى ولكن أحمد الله تعالى حيث لم يمت كليلة حتى أبقى لى من ذوى قرابتى أخا مثلك فانى قد وثقت بنعمة الله تعالى واحسانه الىّ فيما رأيت من اهتمامك بى ومراعاتك لى وقد علمت أنك ر جائى وركنى فيما أنافيه فأريد من انعامك أن تنطلق الى مكان كذا فتنظر الى ما جمعته أنا وأخى بحيلتنا وسعينا ومشيئة الله تعالى فتأتينى به ففعل الشعهر ما أمره به دمنة فلما وضع المال بين يديه أعطاه شطره وقال له انك على الدخول والخروج على الأسد أقدر من غيرك فتفرغ لشأنى واصرف اهتمامك الىّ واسمع ما أذكر به عند الاسد اذا رفع اليه ما يجرى بينى وبين الخصوم وما يبدو من أم الأسد فى حقى وما ترى من متابعة الأسد لها ومخالفته اياها فى أمرى واحفظ ذلك كله فأخذ الشعهر ما أعطاه دمنة وانصرف عنه على هذا العهد فانطلق الى منزله فوضع المال فيه ثم ان الأسد بكر من الغد فجلس حتى اذا مضى من النهار ساعتان استأذن عليه أصحابه فأذن لهم فدخلوا عليه ووضعوا الكتاب بين يديه فلما عرف قولهم وقول دمنة دعا أمه فقرأ عليها ذلك فلما سمعت ما فى الكتاب نادت بأعلى صوتها ان أنا أغلظت فى القول فلا تلمنى فانك لست تعرف ضرك من نفعك أليس هذا مما كنت أنهاك عن سماعه لأنه كلام هذا المجرم المسىء الينا الغادر بذمتنا ثم انها خرجت مغضبة وذلك بعين الشعهر الذى آخاه دمنة وبسمعه فخرج فى أثرها مسرعا حتى أتى دمنة فحدثه بالحديث فبينما هو عنده اذ جاء رسول فانطلق بدمنة الى الجمع عند القاضى فلما مثل بين يدى القاضى استفتح سيد المجلس فقال يا دمنة قد أنبأنى بخبرك الامين الصادق وليس ينبغى لنا أن نفحص عن شأنك أكثر من هذا لان العلماء قالوا ان الله تعالى جعل الدنيا سببا

ومصـدا قاللآخرة لانهادارالرسـل والانبياء الدالين على الخـير الهادين الى الجنـة الداعين الى معرفة الله تعالى وقد ثبت شأنك عندنا وأخبرنا عنك من وثقنا بقوله الآن سيدنا أمرنا بالعود فى أمرك والفحص عن شأنك وان كان عندنا ظاهرا بينا . قال دمنة أراك أيها القاضى لم تتعود العدل فى القضاء وليس فى عدل الملوك دفع المظلومين ومن لا ذنب له الى قاض غـير عادل بل لمخاصمة عنهم والذود فكيف ترى أن أقتل ولم أخاصم وتعجل ذلك موافقة لهواك ولم تمض بعد ذلك ثلاثة أيام ولكن صـدق الذى قال ان الذى تعوّد عمل البرّ هين عليه عمله وان أضر به قال القاضى انا نجد فى كتب الاوّلين أن القاضى ينبغى له أن يعرف عمـل المحسن والمسىء ليجازى المحسن باحسانه والمسىء باساءته فاذا ذهب الى هذا ازداد المحسـنون حرصا على الاحسان والمسيئون اجتنابا للذنوب والرأى لك يادمنة أن تنظر الذى وقعت فيه وتعترف بذنبك وتقرّ به وتتوب فأجابه دمنة ان صالحى القضاة لا يقطعون بالظن ولا يعملون به لا فى الخاصة ولا فى العامة لعلمهم أن الظن لا يغنى من الحق شـيأ وأنتم ان ظننتم أنى مجرم فيما فعلت فانى أعلم بنفسى منكم وعلى بنفسى يقـين لا شك فيه وعلمكم بى غاية الشك وانما قبح أمرى عندكم انى سعيت بغـيرى فما عذرى عندكم اذا سـعيت بنفسى كاذبا عليها فأسلمتها للقتـل والعطب على معرفـة منى ببراءتى وسـلامتى مما قرفت[1] به ونفسى أعظم الانفس علىّ حرمة وأوجبها حقا فلو فعلت هـذا بأقصاكم وأدناكم لما وسـعنى فى دينى ولا حسن بى فى مروءتى ولا حق لى أن أفعله فكيف أفعله بنفسى فاكفف أيها القـاضى عن هـذه المقالة فانها ان كانت منك نصيحة فقد أخطأت موضعها وان كانت خديعة فان أقبح الخـداع ما نظرته وعرفت أنه من غـير أهله مع أن الخداع والمكر ليسا من أعمـال صالحى القضاة ولا تقاة الولاة

---

(١) اتهمت

واعلم أن قولك مما يتخذه الجهال والاشرار سنة يقتدون بها لان أمور القضاء يأخذ بصوابها أهل الصواب و يخطئها أهل الخطا والباطل والقليلو الورع وأنا خائف عليك أيها القاضي من مقالتك هذه أعظم الرزايا والبلايا وليس من البلاء والمصيبة أنك لم تزل في نفس الملك والجند والخاصة والعامة فاضلا في رأيك مقنعا في عدلك مرضيا في حكمك وعفافك وفضلك وانما البلاء كيف أنسيت ذلك في أمرى

فلما سمع القاضي ذلك من لفظ دمنة نهض فرفعه الى الاسد على وجهه فنظر فيه الاسد ثم دعا أمه فعرضه عليها فقالت حين تدبرت كلام دمنة للاسد لقد صار اهتمامي بما أتخوف من احتيال دمنة لك بمكره ودهائه حتى يقتلك أو يفسد عليك أمرك أعظم من اهتمامي بما سلف من ذنبه اليك في الغش والسعاية حتى قتلت صديقك بغير ذنب فوقع قولها في نفسه فقال لها أخبريني عن الذي أخبرك عن دمنة بما أخبرك فيكون حجة لى في قتلى دمنة فقالت انى لاكره أن أفشى سر من استكتمنيه فلا يهنئني سروري بقتل دمنة اذا تذكرت أنى استظهرت عليه بركوب ما نهت عنه العلماء من كشف السر ولكني أطالب الذي استودعنيه أن يحلني في حل من ذكره لك و يقوم هو بعلمه وما سمع منه ثم انصرفت وأرسلت الى النمر وذكرت له ما يحق عليه من حسن معاونته الاسد على الحق واخراج نفسه من الشهادة التى لا يكتمها مثله مع ما يحق عليه من نصر المظلومين وتثبيت حجة الحق في الحياة والممات فانه قد قالت العلماء من كتم حجة ميت أخطأ حجته يوم القيامة فلم تزل به حتى قام فدخل على الاسد فشهد عنده بما سمع من اقرار دمنة فلما شهد النمر بذلك أرسل الفهد المحبوس الذى سمع اقرار دمنة وحفظه الى الاسد فقال ان عندى شهادة فأخرجوه فشهد على دمنة بما سمع من اقراره فقال لهما الاسد

ما منعكما أن تقوما بشهادتكما وقد علمتما أمرنا واهتمامنا بالفحص عن أمر دمنة فقال كل واحد منهما قد علمنا أن شهادة الواحد لا توجب حكما فكرهنا التعرض لغير ما يمضي به الحكم حتى اذا شهد أحدنا قام الآخر بشهادته فقبل الاسد قولهما وأمر بدمنة أن يقتل في حبسه فقتل أشنع قتلة . فمن نظر في هذا فليعلم أن من أراد منفعة نفسه بضر غيره بالخلابة(١) والمكر فانه سيجزى على خلابته ومكره (انقضى باب الفحص عن أمر دمنة)

باب الحمامة المطوقة

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت مثل المتحابين كيف قطع بينهما الكذوب والى ماذا صار عاقبة أمره من بعد ذلك فحدثني ان رأيت عن اخوان الصفاء كيف يبتدأ تواصلهم ويستمتع بعضهم ببعض . قال الفيلسوف ان العاقل لا يعدل بالاخوان شيأ فالاخوان هم الأعوان على الخير كله والمؤاسون عندما ينوب من المكروه ومن أمثال ذلك مثل الحمامة المطوقة والجرذ والظبي والغراب قال الملك وكيف كان ذلك

قال بيدبا زعموا أنه كان بأرض سكاوندجين عند مدينة داهر مكان كثير الصيد ينتابه الصيادون وكان في ذلك المكان شجرة كثيرة الاغصان ملتفة الورق فيها وكر غراب فبينما هو ذات يوم ساقط في وكره اذ بصر بصياد قبيح المنظر سيئ الخلق على عاتقه شبكة وفي يده عصا مقبلا نحو الشجرة فذعر(٢) منه الغراب وقال لقد ساق هذا الرجل الى هذا المكان إما حيني وإما حين غيري فلأثبتن مكاني حتى أنظر ماذا يصنع ثم ان الصياد نصب شبكته ونثر عليها الحب وكمن(٣) قريبا منها فلم يلبث الا قليلا حتى مرت به حمامة يقال لها المطوقة

---

(١) الخديعة بلطف القول (٢) خاف (٣) توارى

وكانت سيدة الحمام ومعها حمام كثير فعميت هي وأصحابها عن الشرك فوقعن على الحب يلتقطنه فعلقن في الشبكة كلهن وأقبل الصياد فرحا مسرورا فجعلت كل حمامة تضطرب في حبائلها وتلتمس الخلاص لنفسها قالت المطوقة لا تخاذلن[1] في المعالجة ولا تكن نفس احداكن أهم اليها من نفس صاحبتها ولكن نتعاون جميعا فنقلع الشبكة فينجو بعضنا ببعض فقلعن الشبكة جميعهن بتعاونهن وعلون في الجو ولم يقطع الصياد رجاءه منهن وظن أنهن لا يجاوزن الاقر يبا ويقعن فقال الغراب لأتبعهن وأنظر ما يكون منهن فالتفتت المطوقة فرأت الصياد يتبعهن فقالت للحمام هذا الصياد مجد في طلبكن فان نحن أخذنا في الفضاء لم يخف عليه أمرنا ولم يزل يتبعنا وان نحن توجهنا الى العمران خفي عليه أمرنا وانصرف وبمكان كذا جرذ هو لي أخ فلو انتهينا اليه قطع عنا هذا الشرك ففعلن ذلك وأيس الصياد منهن وانصرف وتبعهن الغراب فلما انتهت الحمامة المطوقة الى الجرذ أمرت الحمام أن يسقطن فوقعن وكان للجرذ مائة جحر للمخاوف فنادته المطوقة باسمه وكان اسمه زيرك فأجابها الجرذ من جحره من أنت قالت أنا خليلتك المطوقة فأقبل اليها الجرذ يسعى فقال لها ما أوقعك في هذه الورطة قالت له ألم تعلم أنه ليس من الخير والشر شئ الا وهو مقدر على من تصيبه المقادير وهي التي أوقعتني في هذه الورطة[2] فقد لا يمتنع من القدر من هو أقوى مني وأعظم أمرا وقد تنكسف الشمس والقمر اذا قضي ذلك عليهما ثم ان الجرذ أخذ في قرض العقد الذي فيه المطوقة فقالت له المطوقة ابدأ بقطع عقد سائر الحمام وبعد ذلك أقبل على عقدي وأعادت ذلك عليه مرارا وهو لا يلتفت الى قولها فلما أكثرت عليه القول وكررت قال لها لقد كررت القول علي كأنك

---

(١) لا يترك بعضكن مساعدة بعض (٢) كل أمر تعسر النجاة منه

ليس لك فى نفسك حاجة ولا لك عليها شفقة ولا ترعين لها حقا قالت انى أخاف ان أنت بدأت بقطع عقدى أن تمل وتكسل عن قطع ما بقى وعرفت انك ان بدأت بهن قبلى وكنت أنا الأخيرة لم ترض وان أدركك الفتور أن أبقى فى الشرك قال الجرذ هذا مما يزيد الرغبة والمودة فيك ثم ان الجرذ أخذ فى قرض الشبكة حتى فرغ منها فانطلقت المطوقة وحمامها معها

فلما رأى الغراب صنع الجرذ رغب فى مصادقته فجاء وناداه باسمه فأخرج الجرذ رأسه فقال له ما حاجتك قال انى أريد مصادقتك قال الجرذ ليس بينى وبينك تواصل وانما العاقل ينبغى له أن يلتمس ما يجد اليه سبيلا ويترك التماس ما ليس اليه سبيل فانما أنت الآكل وأنا طعام لك قال الغراب ان أكلى اياك وان كنت لى طعاما مما لا يغنى عنى شيأ وان مودتك آنس لى مما ذكرت ولست بحقيق اذا جئت أطلب مودتك أن تردنى خائبا فانه قد ظهر لى منك من حسن الخلق ما رغبنى فيك وان لم تكن تلتمس اظهار ذلك فان العاقل لا يخفى فضله وان هو أخفاه كالمسك الذى يكتم ثم لا يمنعه ذلك من النشر الطيب والأرج الفائح قال الجرذ ان أشد العداوة عداوة الجوهر وهى عداوتان منها ما هو متكافئ كعداوة الفيل والاسد فانه ربما قتل الأسد الفيل أو الفيل الأسد ومنها ما قوته من أحد الجانبين على الآخر كعداوة ما بينى وبين السنور وبينى وبينك فان العداوة التى بيننا ليست تضرك وانما ضررها عائد على فان الماء لو أطيل اسخانه لم يمنعه ذلك من اطفائه النار اذا صب عليها وانما مصاحب العدو ومصالحه كصاحب الحية يحملها فى كمه والعاقل لا يستأنس الى العدو الأريب

قال الغراب قد فهمت ما تقول وأنت خليق أن تأخذ بفضل خليقتك وتعرف صدق مقالتى ولا تصعب على الأمر بقولك ليس الى التواصل بيننا

سبيل فان العقلاء الكرام لا يبتغون على معروف جزاء والمودة بين الصالحين سريع اتصالها بطىء انقطاعها ومثل ذلك مثل الكوز من الذهب بطىء الانكسار سريع الاعادة هين الاصلاح ان أصابه ثلم أو كسر والمودة بين الاشرار سريع انقطاعها بطىء اتصالها ومثل ذلك مثل الكوز من الفخار سريع الانكسار ينكسر من أدنى عيب ولا وصل له أبدا والكريم يود الكريم واللئيم لا يود أحدا الا عن رغبة أو رهبة وأنا الى ودك ومعروفك محتاج لأنك كريم وأنا ملازم لبابك غير ذائق طعاما حتى تؤاخيني قال الجرذ قد قبلت اخاءك فانى لم أردد أحدا عن حاجة قط وانما بدأتك بما بدأتك به ارادة التوثق لنفسى فان أنت غدرت بى لم تقل انى وجدت الجرذ سريع الانخداع ثم خرج من جحره فوقف عند الباب فقال له الغراب ما يمنعك من الخروج الىّ والاستئناس بى فهل فى نفسك بعد ذلك منى ريبة قال الجرذ ان أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين ويتواصلون عليهما وهما ذات النفس وذات اليد فالمتباذلون ذات النفس هم الأصفياء وأما المتباذلون ذات اليد فهم المتعاونون الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض ومن كان يصنع المعروف لبعض منافع الدنيا فانما مثله فيما يبذل ويعطى كمثل الصياد والقائه الحب للطير لا يريد بذلك نفع الطير وانما يريد نفع نفسه فتعاطى ذات النفس أفضل من تعاطى ذات اليد وانى وثقت منك بذات نفسك ومنحتك من نفسى مثل ذلك وليس يمنعنى من الخروج اليك سوء ظنى بك ولكن قد عرفت أن لك أصحابا جوهرهم كجوهرك وليس رأيهم فىّ كرأيك

قال الغراب ان من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا ولعدوّ صديقه عدوّا وليس لى بصاحب ولا صديق من لا يكون لك محبا وانه

يهون على قطيعة من كان كذلك من جوهرى ثم ان الجرذ خرج الى الغراب فتصافحا وتصافيا وأنس كل واحد منهما بصاحبه حتى اذا مضت لهم أيام قال الغراب للجرذ إن جحرك قريب من طريق الناس وأخاف أن يرميك بعض الصبيان بحجر ولى مكان فى عزلة ولى فيه صديق من السلاحف وهو مخصب من السمك ونحن واجدون هنالك ما نأكل فأريد أن أنطلق بك الى هنالك لنعيش آمنين . قال الجرذ إن لى أخبارا وقصصا سأقصها عليك اذا انتهينا حيث تريد فافعل ما تشاء فأخذ الغراب بذنب الجرذ وطار به حتى بلغ به حيث أراد فلما دنا من العين التى فيها السلحفاة بصرت السلحفاة بغراب ومعه جرذ فذعرت منه ولم تعلم أنه صاحبها فناداها فخرجت اليه وسألته من أين أقبلت فأخبرها بقصته حين تبع الحمام وما كان من أمره وأمر الجرذ حتى انتهى اليها فلما سمعت السلحفاة شأن الجرذ عجبت من عقله ووفائه ورحبت به وقالت له ما ساقك الى هذه الأرض قال الغراب للجرذ اقصص على الاخبار التى زعمت أنك تحدثنى بها فأخبرنى بها مع جواب ما سألت السلحفاة فانها عندك بمنزلتى فبدأ الجرذ وقال

كان منزلى أول أمرى بمدينة ماروت فى بيت رجل ناسك وكان خاليا من الأهل والعيال وكان يؤتى فى كل يوم بسلة من الطعام فيأكل منها حاجته ويعلق الباقى وكنت أرصد الناسك حتى يخرج وأثب الى السلة فلا أدع فيها طعاما الا أكلته وأرمى به الى الجرذان فجهد الناسك مرارا أن يعلق السلة مكانا لا أناله فلم يقدر على ذلك حتى نزل به ذات ليلة ضيف فأكلا جميعا ثم أخذا فى الحديث فقال الناسك للضيف من أى أرض أقبلت وأين تريد الآن وكان الرجل قد جاب الآفاق ورأى عجائب فأنشأ يحدث الناسك عما وطئ من البلاد ورأى من العجائب وجعل الناسك خلال ذلك يصفق بيديه

لينفرني عن السلة فغضب الضيف وقال أنا أحدثك وأنت تهزأ بحديثي فما حملك على أن سألتني فاعتذر اليه الناسك وقال انما أصفق بيدي لأنفر جرذا قد تحيرت في أمره ولست أضع في البيت شيأ الا وأكله فقال الضيف جرذ واحد يفعل ذلك أم جرذان كثيرة فقال الناسك جرذان البيت كثير ولكن فيها جرذا واحدا هو الذي غلبني فما أستطيع له حيلة قال الضيف لقد ذكرتني قول الذي قال لأمر ما باعت هذه المرأة سمسما مقشورا بغير مقشور قال الناسك وكيف كان ذلك

قال الضيف نزلت مرة على رجل بمكان كذا فتعشينا ثم فرش لي وانقلب الرجل على فراشه فسمعته يقول في آخر الليل لامرأته إني أريد أن أدعو غدا رهطا ليأكلوا عندنا فاصنعي لهم طعاما فقالت المرأة كيف تدعو الناس الى طعامك وليس في بيتك فضل عن عيالك وأنت رجل لا تبقي شيأ ولا تدخره قال الرجل لا تندمي على شيء أطعمناه وأنفقناه فان الجمع والادخار ربما كانت عاقبته كعاقبة الذئب قالت المرأة وكيف كان ذلك

قال الرجل زعموا أنه خرج ذات يوم رجل قانص ومعه قوسه ونُشّابه (١) فلم يجاوز غير بعيد حتى رمى ظبيا فحمله ورجع طالبا منزله فاعترضه خنزير برّيّ فرماه بنشابة نفذت فيه فأدركه الخنزير وضربه بأنيابه ضربة أطارت من يده القوس ووقعا ميتين فأتى عليهم ذئب فقال هذا الرجل والظبي والخنزير يكفيني أكلهم مدة ولكن أبدأ بهذا الوتر فآكله فيكون قوت يومي فعالج الوتر حتى قطعه فلما انقطع طارت (٢) سية القوس فضربت حلقه فمات . وانما ضربت لك هذا المثل لتعلمي أن الجمع والادخار وخيم العاقبة فقالت المرأة نعم ما قلت وعندنا من الأرز والسمسم ما يكفي ستة نفر أو سبعة

---

(١) جمع نُشّابة وهي السهم (٢) طرفها

فأناغادية على اصطناع الطعام فادع من أحببت وأخذت المرأة حين أصبحت سمسما فقشرته وبسطته فى الشمس ليجف وقالت لغلام لهم اطرد عنه الطير والكلاب وتفرغت المرأة لصنعها وتغافل الغلام عن السمسم فجاء كلب فعاث(١) فيه فاستقذرته المرأة وكرهت أن تصنع منه طعاما ما فذهبت به الى السوق فأخذت به مقايضة سمسما غير مقشور مثلا بمثل وأنا واقف فى السوق فقال رجل لأمر ما باعت هذه المرأة سمسما مقشورا بغير مقشور وكذلك قولى فى هذا الجرذ الذى ذكرت أنه على غير علة ما يقدر على ما شكوت منه فالتمس لى فأسا لعلى أحتفر جحره فأطلع على بعض شأنه فاستعار الناسك من بعض جيرانه فأسا فأتى بها الضيف وأنا حينئذ فى جحر غير جحرى أسمع كلامهما وفى جحرى كيس فيه مائة دينار لا أدرى من وضعها فاحتفر الضيف حتى انتهى الى الدنانير فأخذها وقال للناسك ما كان هذا الجرذ يقوى على الوثوب حيث كان يثب الا بهذه الدنانير فان المال جعل له قوة وزيادة فى الرأى والتمكن وسترى بعد هذا أنه لا يقدر على الوثوب حيث كان يثب فلما كان من الغد اجتمع الجرذان التى كانت معى فقالت قد أصابنا الجوع وأنت رجاؤنا فانطلقت ومعى الجرذان الى المكان الذى كنت أثب منه الى السلة فحاولت ذلك مرارا فلم أقدر عليه فاستبان للجرذان نقص حالى فسمعتهن يقلن انصرفن عنه ولا تطمعن فيما عنده فانا نرى له حالا لا نحسبه الا قد احتاج معها الى من يعوله فتركننى ولحقن بأعدائى وجفوننى وأخذن فى غيبتى عند من يعادينى ويحسدنى فقلت فى نفسى ما الاخوان ولا الاعوان ولا الاصدقاء الا بالمال ووجدت من لا مال له اذا أراد أمرا قعد به العدم عما يريده كالماء الذى يبقى فى الاودية

---

(١) أفسده

من مطر الشتاء لا يعز الى نهر ولا يجرى الى مكان فتشربه أرضه ووجدت من لا اخوان له لا أهل له ومن لا ولد له لا ذكر له ومن لا مال له لا عقل له ولا دنيا ولا آخرة له لأن الرجل اذا افتقر قطعه أقاربه واخوانه فان الشجرة النابتة فى السباخ المأكولة من كل جانب كحال الفقير المحتاج الى ما فى أيدى الناس و وجدت الفقر رأس كل بلاء وجالبا الى صاحبه كل مقت ومعدن النميمة ووجدت الرجل اذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمنا وأساء به الظن من كان يظن فيه حسنا فان أذنب غيره كان هو للتهمة موضعا وليس من خلة هى للغنى مدح الا وهى للفقير ذم فان كان شجاعا قيل أهوج وان كان جوادا سمى مبذرا وان كان حليما سمى ضعيفا وان كان وقورا سمى بليدا فالموت أهون من الحاجة التى تحوج صاحبها الى المسألة ولا سيما مسألة الاشحاء واللئام فان الكريم لو كلف أن يدخل يده فى فم الأفعى فيخرج منه سما فيبتلعه كان ذلك أهون عليه وأحب اليه من مسألة البخيل اللئيم وقد كنت رأيت الضيف حين أخذ الدنانير فقاسمها الناسك فجعل الناسك نصيبه فى خريطة عند رأسه لما جن الليل فطمعت أن أصيب منها شيأ فأرده الى جحرى ورجوت أن يزيد ذلك فى قوتى ويراجعنى بسببه بعض أصدقائى فانطلقت الى الناسك وهو نائم حتى انتهيت عند رأسه ووجدت الضيف يقظان و بيده قضيب فضربنى على رأسى ضربة موجعة فسعيت الى جحرى فلما سكن عنى الألم هيجنى الحرص والشره فخرجت طمعا كطمعى الاول واذا الضيف يرصدنى فضربنى ضربة أسالت منى الدم فتقلبت ظهرا لبطن الى جحرى فخررت مغشيا على فأصابنى من الوجع ما بغض الى المال حتى لا أسمع بذكره الا تداخلنى من ذكر المال رعدة وهيبة ثم تذكرت فوجدت البلاء فى الدنيا انما يسوقه الحرص والشره ولا يزال صاحب الدنيا

فى بلية وتعب ونصب ووجدت تجشم (١) الأسفار البعيدة فى طلب الدنيا أهون على من بسط اليد الى السخى بالمال ولم أر كالرضا شيأ فصار أمرى الى أن رضيت وقنعت وانتقلت من بيت الناسك الى البرية وكان لى صديق من الحمام فسبقت الى بصداقته صداقة الغراب ثم ذكر لى الغراب ما بينك و بينه من المودة وأخبرنى أنه يريد اتيانك فأحببت أن آتيك معه فكرهت الوحدة فانه لا شئ من سرور الدنيا يعدل صحبة الاخوان ولا غم فيها يعدل البعد عنهم و جربت فعلمت أنه لا ينبغى للعاقل أن يلتمس من الدنيا غير الكفاف الذى يدفع به الاذى عن نفسه وهو اليسير من المطعم والمشرب اذا اشتمل على صحة البدن ورفاهة البال ولو أن رجلا وهبت له الدنيا بما فيها لم يك ينتفع من ذلك الا بالقليل الذى يدفع به عن نفسه الحاجة فأقبلت مع الغراب اليك على هذا الرأى وأنا لك أخ فلتكن منزلتى عندك كذلك

فلما فرغ الجرذ من كلامه أجابته السلحفاة بكلام رقيق عذب وقالت قد سمعت كلامك وما أحسن ما تحدثت به الا أنى رأيتك تذكر بقايا أمور هى فى نفسك واعلم أن حسن الكلام لا يتم الا بحسن العمل وأن المريض الذى قد علم دواء مرضه ان لم يتداو به لم يغن علمه به شيأ ولم يجد لدائه راحة ولا خفة فاستعمل رأيك ولا تحزن لقلة المال فان الرجل ذا المروءة قد يكرم على غير مال كالأسد الذى يهاب وان كان رابضا والغنى الذى لا مروءة له يهان وان كان كثير المال كالكلب لا يحفل به وان طوق وخلخل بالذهب فلا تكبرن عليك غربتك فان العاقل لا غربة له كالاسد الذى لا ينقلب الا معه قوته فلتحسن تعاهدك لنفسك فانك اذا فعلت ذلك جاءك الخير يطلبك كما يطلب الماء انحداره وانما جعل الفضل للحازم البصير بالأمور وأما الكسلان المتردد

---

(١) تكلف الامر على مشقة

فان الفضل لا يحجبه وقد قيل فى أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء ظل الغمامة فى الصيف وخلة الاشرار والبناء على غير أساس والمال الكثير فالعاقل لا يحزن لقلته وانما مال العاقل عقله وما قدم من صالح عمله فهو واثق بأنه لا يسلب ما عمل ولا يؤاخذ بشئ لم يعمله وهو خليق أن لا يغفل عن أمر آخرته فان الموت لا يأتى الا بغتة ليس له وقت معين وأنت عن موعظتى غنىّ بما عندك من العلم ولكن رأيت أن أقضى ما لك من حق قبلنا لأنك أخونا وما عندنا من النصح مبذول لك

فلما سمع الغراب كلام السلحفاة للجرذ وردّها عليه وملاطفتها اياه فرح بذلك وقال لقد سررتنى وأنعمت علىّ وأنت جديرة أن تسرى نفسك بمثل ما سررتنى به وان أولى أهل الدنيا بشدة السرور من لا يزال ربعه من اخوانه وأصدقائه من الصالحين معمورا ولا يزال عنده منهم جماعة يسرّهم ويسرونه ويكون من وراء أمورهم وحاجاتهم بالمرصاد فان الكريم اذا عثر لا يأخذ بيده الا الكرام كالفيل اذا وحل لا تخرجه الا الفيلة

فبينما الغراب فى كلامه اذ أقبل نحوهم ظبى يسعى فذعرت منه السلحفاة فغاصت فى الماء وخرج الجرذ الى جحره وطار الغراب فوقع على شجرة ثم ان الغراب حلّق فى السماء لينظر هل للظبى طالب فنظر فلم ير شيأ فنادى الجرذ والسلحفاة وخرجا فقالت السلحفاة للظبى حين رأته ينظر الى الماء اشرب ان كان بك عطش ولا تخف فانه لا خوف عليك فدنا الظبى فرحبت به السلحفاة وحيته وقالت له من أين أقبلت قال كنت أسنح (١) بهذه الصحارى فلم تزل الاساورة (٢) تطردنى من مكان الى مكان حتى رأيت اليوم شبحا فخفت

(١) السانح من الصيد ما مر من المياسر الى الميامن والبارح ضده (٢) جمع أسوار وهو الرامى بالسهام

أن يكون قانصا قالت لا تخف فانا لم نرههنا قانصا قط ونحن نبذل لك ودنا ومكاننا والماء والمرعى كثيران عندنا فارغب في صحبتنا فأقام الظبي معهم وكان لهم عريش(١) يجتمعون فيه ويتذاكرون الاحاديث والاخبار فبينما الغراب والجرذ والسلحفاة ذات يوم في العريش غاب الظبي فتوقعوه ساعة فلم يأت فلما أبطأ أشفقوا(٢) أن يكون قد أصابه عنت(٣) فقال الجرذ والسلحفاة للغراب أنظر هل ترى مما يلينا شيأ فحلق الغراب في السماء فنظر فاذا الظبي في الحبائل مقتنصا فانقض مسرعا فأخبرهما بذلك فقالت السلحفاة والغراب للجرذ هذا أمر لا يرجى فيه غيرك فأغث أخاك فسعى الجرذ مسرعا فأتى الظبي فقال له كيف وقعت في هذه الورطة وأنت من(٤) الأكياس قال الظبي هل يغني الكيس مع المقادير شيأ فبينما هما في الحديث اذ وافتهما السلحفاة فقال لها الظبي ما أصبت بمجيئك الينا فان القانص لو انتهى الينا وقد قطع الجرذ الحبائل استبقته عدوا وللجرذ أجحار كثيرة والغراب يطير وأنت ثقيلة لا سعي لك ولا حركة وأخاف عليك القانص قالت لا عيش مع فراق الأحبة واذا فارق الاليف أليفه فقد سلب فؤاده وحرم سروره وغشي بصره. فلم ينته كلامها حتى وافى القانص ووافق ذلك فراغ الجرذ من قطع الشرك فنجا الظبي بنفسه وطار الغراب محلقا ودخل الجرذ بعض الاجحار ولم يبق غير السلحفاة ودنا الصياد فوجد حبالته مقطعة فنظر يمينا وشمالا فلم يجد غير السلحفاة تدب فأخذها وربطها فلم يلبث الغراب والجرذ والظبي أن اجتمعوا فنظروا القانص قد ربط السلحفاة فاشتد حزنهم وقال الجرذ ما أرانا نجاوز عقبة من البلاء الا صرنا في أشد منها ولقد صدق الذي قال

---

(١) مكان يستظل به (٢) خافوا (٣) وقوع في أمر شاق (٤) جمع كيس وهو الفطن الظريف

لايزال الانسان مستمرا فى اقباله مالم يعثر فاذا عثر لج [١] به العثار وان مشى فى جدد [٢] الارض . وحذرى على السلحفاة خير الاصدقاء التى خلتها ليست للمجازاة ولا لالتماس مكافأة ولكنها خلة الكرم والشرف خلة هى أفضل من خلة الوالد لولده خلة لا يزيلها الا الموت ويح لهذا الجسد الموكل به البلاء الذى لايزال فى تصرف وتقلب ولا يدوم له شئ ولا يلبث معه أمر كما لا يدوم للطالع من النجوم طلوع ولا للآفل منها أفول لكن لا يزال الطالع منها آفلا والآفل طالعا وكما تكون آلام الكلوم [٣] وانتقاض الجراحات كذلك من قرحت كلومه بفقد اخوانه بعد اجتماعه بهم فقال الظبى والغراب للجرذ إن حذرنا وحذرك وكلامك وان كان بليغا كل منها لا يغنى عن السلحفاة شيأ وانه كما يقال انما يختبر الناس عند البلاء وذو الامانة عند الاخذ والعطاء والاهل والولد عند الفاقة كذلك تختبر الاخوان عند النوائب قال الجرذ أرى من الحيلة أن تذهب أيها الظبى فتقع بمنظر من القانص كأنك جريح ويقع الغراب عليك كأنه يأكل منك وأسعى أنا فأكون قريبا من القانص مراقباله لعله أن يرمى مامعه من الآلة ويضع السلحفاة ويقصدك طامعا فيك راجيا تحصيلك فاذا دنا منك ففر عنه رويدا بحيث لا ينقطع طمعه منك ومكنه من أخذك مرة بعد مرة حتى يبعد عنا وانح منه هذا النحو مااستطعت فانى أرجو أن لا ينصرف الا وقد قطعت الحبائل عن السلحفاة وأنجو بها ففعل الغراب والظبى ماأمرهما به الجرذ وتبعهما القانص فاستجره الظبى حتى أبعده عن الجرذ والسلحفاة والجرذ مقبل على قطع الحبائل حتى قطعها ونجا بالسلحفاة وعاد القانص مجهودا لاغبا [٤] فوجد حبالته مقطعة ففكر فى أمره مع الظبى المتظالع فظن أنه خولط فى عقله وفكر فى أمر الظبى والغراب الذى

---

(١) تمادى (٢) الارض الغليظة المستوية (٣) جمع كلم وهو الجرح (٤) تعبا

كأنه يأكل منه وقرض حبالته فاستوحش من الارض وقال هذه أرض جن أو سحرة فرجع موليا لا يلتمس شيأ ولا يلتفت اليه واجتمع الغراب والظبي والجرذ والسلحفاة الى عريشهم سالمين آمنين كأحسن ما كانوا عليه

فاذا كان هذا الخلق مع صغره وضعفه قد قدر على التخلص من مرابط الهلكة مرة بعد أخرى بمودته وخلوصها وثبات قلبه عليها واستمتاعه مع أصحابه بعضهم ببعض فالانسان الذي قد أعطى العقل والفهم وألهم الخير والشر ومنح التمييز والمعرفة أولى وأحرى بالتواصل والتعاضد فهذا مثل اخوان الصفاء وائتلافهم في الصحبة . (انقضى باب الحمامة المطوقة)

باب البوم والغربان

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت مثل اخوان الصفاء وتعاونهم فاضرب لي مثل العدو الذي لا ينبغي أن يغتر به وان أظهر تضرعا وملقا قال الفيلسوف من اغتر بالعدو الذي لم يزل عدوا أصابه ما أصاب البوم من الغربان قال الملك وكيف كان ذلك

قال بيدبا زعموا أنه كان في جبل من الجبال شجرة من شجر الدوح[1] فيها وكر ألف غراب وعليهن وال من أنفسهن وكان عند هذه الشجرة كهف فيه ألف بومة وعليهن وال منهن فخرج ملك البوم لبعض غدواته وروحاته وفي نفسه العداوة لملك الغربان وفي نفس الغربان وملكها مثل ذلك للبوم فأغار ملك البوم في أصحابه على الغربان في أوكارها فقتل وسبى منها خلقا كثيرا وكانت الغارة ليلا فلما أصبحت الغربان اجتمعت الى ملكها فقلن له قد علمت ما لقينا الليلة من ملك البوم وما منا الا من أصبح قتيلا أو جريحا

---

(١) جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة

أومكسور الجناح أومنتوف الريش أومقطوف الذنب وأشد مما أصابنا ضررا علينا جراءتهن علينا وعلمهن بمكاننا وهن عائدات الينا غير منقطعات عنا لعلمهن بمكاننا فانما نحن لك ولك الرأى أيها الملك فانظر لنا ولنفسك وكان فى الغربان خمسة معترف لهن بحسن الرأى يسند اليهن فى الامور ويلقى عليهن أزمة الاحوال وكان الملك كثيرا مايشاورهن فى الامور ويأخذ آراءهن فى الحوادث والنوازل

فقال الملك للاول من الخمسة ما رأيك فى هذا الامر قال رأى قد سبقتنا اليه العلماء وذلك أنهم قالوا ليس للعدو الحنق[1] الا الهرب منه . قال الملك للثانى ما رأيك أنت فى هذا الأمر قال رأيى ما رأى هذا من الهرب قال الملك لا أرى لكما ذلك رأيا أن نرحل عن أوطاننا ونخليها العدونا من أول نكبة أصابتنا منه ولا ينبغى لنا ذلك ولكن نجمع أمرنا ونستعد لعدونا ونذكى[2] نار الحرب فيما بيننا وبين عدونا ونحترس من الغرة[3] اذا أقبل الينا فنلقاه مستعدين ونقاتله قتالا غير مراجعين فيه ولا مقصرين عنه وتلقى أطرافنا أطراف العدو ونتحرز بحصوننا وندافع عدونا بالأناة مرة وبالجلاد[4] أخرى حيث نصيب فرصتنا وبغيتنا وقد ثنينا عدونا عنا

ثم قال الملك للثالث ما رأيك أنت قال ما أرى ما قالا رأيا ولكن نبث العيون ونبعث الجواسيس ونرسل الطلائع بيننا وبين عدونا فنعلم أيريد صلحنا أم يريد حربنا أم يريد الفدية فان رأينا أمره أمر طامع فى مال لم نكره الصلح على خراج نؤديه اليه فى كل سنة ندفع به عن أنفسنا ونطمئن فى أوطاننا فان من آراء الملوك اذا اشتدت شوكة عدوهم فخافوه على أنفسهم وبلادهم أن يجعلوا الاموال جنة البلاد والملك والرعية

---

(١) المغتاظ (٢) نوقد (٣) الغفلة (٤) المضاربة بالسيوف

قال الملك للرابع فما رأيك فى هذا الصلح قال لا أراه رأيا بل أن نفارق أوطاننا ونصبر على الغربة وشدة المعيشة خير من أن نضيع أحسابنا ونخضع للعدو الذى نحن أشرف منه مع أن البوم لو عرضنا ذلك عليهن لما رضين منا الا بالشطط [١] ويقال فى الامثال قارب عدوك بعض المقاربة لتنال حاجتك ولا تقاربه كل المقاربة فيجترئ عليك ويضعف جندك وتذل نفسك ومثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة فى الشمس اذا أملتها قليلا زاد ظلها واذا جاوزت بها الحد فى امالتها نقص الظل وليس عدونا راضيا منا بالدون فى المقاربة فالرأى لنا ولك المحاربة

قال الملك للخامس ما تقول أنت وماذا ترى القتال أم الصلح أم الجلاء عن الوطن قال أما القتال فلا سبيل للمرء الى قتال من لا يقوى عليه وقد يقال انه من لا يعرف نفسه وعدوه وقاتل من لا يقوى عليه حمل نفسه على حتفها مع أن العاقل لا يستصغر عدوا فان من استصغر عدوه اغتر به ومن اغتر بعدوه لم يسلم منه وأنا للبوم شديد الهيبة وان أضربن عن قتالنا وقد كنت أهابها قبل ذلك فان الحازم لا يأمن عدوه على كل حال فان كان بعيدا لم يأمن سطوته وان كان مكثبا [٢] لم يأمن وثبته وان كان وحيدا لم يأمن مكره وأحزم الاقوام وأكيسهم من كره القتال لأجل النفقة فيه فان ما دون القتال النفقة فيه من الأموال والقول والعمل والقتال النفقة فيه من الأنفس والابدان فلا يكونن القتال للبوم من رأيك أيها الملك فان من قاتل من لا يقوى عليه فقد غرر [٣] بنفسه فاذا كان الملك محصنا للاسرار متخيرا للوزراء مهيبا فى أعين الناس بعيدا من أن يقدر عليه كان خليقا أن لا يسلب صحيح ما أوتى من الخير وأنت أيها الملك كذلك وقد استشرتنى

---

(١) مجاوزة الحد (٢) قريبا (٣) عرضها للهلكة

فى أمر جوابك منى عنه فى بعضه علانية وفى بعضه سر و للاسرار منازل منها مايدخل فيه الرهط (١) ومنها مايستعان فيه بالقوم ومنها مايدخل فيه الرجلان ولست أرى لهذا السر على قدر منزلته أن يشارك فيه الا أربع آذان ولسانان فنهض الملك من ساعته وخلا به فاستشاره فكان أول ماسأله عنه الملك أنه قال هل تعلم ابتداء عداوة ما بيننا و بين البوم قال نعم كلمة تكلم بها غراب قال الملك وكيف كان ذلك

قال الغراب زعموا أن جماعة من الكرا كى لم يكن لها ملك فأجمعت أمرها على أن علكن عليهن ملك البوم فبينما هى فى مجمعها اذ وقع لها غراب فقالت لو جاءنا هذا الغراب لاستشرناه فى أمرنا فلم يلبثن دون أن جاءهن الغراب فاستشرنه فقال لو أن الطير بادت من الأقاليم وفقد الطاوس والبط والنعام والحمام من العالم لما اضطررتن الى أن تملكن عليكن البوم التى هى أقبح الطير منظرا وأسوؤها خلقا وأقلها عقلا وأشدها غضبا وأبعدها من كل رحمة مع عماها وما بها من العشا (٢) بالنهار وأشد من ذلك وأقبح أمورها سفهها وسوء أخلاقها الا أن ترين أن تملكنها وتكن أنتن تدبرن الامور دونها برأيكن وعقولكن كما فعلت الارنب التى زعمت أن القمر ملكها ثم عملت برأيها قال الطير وكيف كان ذلك

قال الغراب زعموا أن أرضا من أراضى الفيلة تتابعت عليها السنون وأجدبت وقل ماؤها وغارت عيونها وذوى نبتها ويبس شجرها فأصاب الفيلة عطش شديد فشكون ذلك الى ملكهن فأرسل الملك رسله ورواده فى طلب الماء فى كل ناحية فرجع اليه بعض الرسل فأخبره أنى قد وجدت بمكان كذا عينا يقال لها عين القمر كثيرة الماء فتوجه ملك الفيلة بأصحابه الى

---

(١) قوم الرجل وقبيلته (٢) سوء البصر

تلك العين ليشرب منها هو وفيلته وكانت العين فى أرض للارانب فوطئن الأرانب فى أجحارهن فأهلكن منهن كثيرا فاجتمعت الأرانب الى ملكها فقلن له قد علمت ما أصابنا من الفيلة فقال ليحضر منكن كل ذى رأى رأيه فتقدمت أرنب من الأرانب يقال لها فيروز وكان الملك يعرفها بحسن الرأى والأدب فقالت ان رأى الملك أن يبعثنى الى الفيلة و يرسل معى أمينا ليرى و يسمع ما أقول ويرفعه الى الملك فقال لها الملك أنت أمينة ونرضى بقولك فانطلقى الى الفيلة وبلغى عنى ما تريدين واعلمى أن الرسول برأيه وعقله ولينه وفضله يخبر عن عقل المرسل فعليك باللين والرفق والحلم والتأنى فان الرسول هو الذى يلين الصدور اذا رفق ويخشن الصدور اذا خرق (١) ثم ان الأرنب انطلقت فى ليلة قمراء حتى انتهت الى الفيلة وكرهت أن تدنو منهن مخافة أن يطأنها بأرجلهن فيقتلنها وان كن غير متعمدات ثم أشرفت على الجبل ونادت ملك الفيلة وقالت له ان القمر أرسلنى اليك والرسول غير ملوم فيما يبلغ وان اغلظ فى القول قال ملك الفيلة فما الرسالة قالت يقول لك انه من عرف فضل قوته على الضعفاء فاغتر بذلك فى شأن الاقوياء قياسا لهم على الضعفاء كانت قوته و بالا عليه وأنت قد عرفت فضل قوتك على الدواب فغرك ذلك فعمدت الى العين التى تسمى باسمى فشربت منها وكدرتها فأرسلنى اليك فأنذرك ألّا تعود الى مثل ذلك وانك ان فعلت أغشى بصرك وأتلف نفسك وان كنت فى شك من رسالتى فهلم الى العين من ساعتك فانى موافيك بها فعجب ملك الفيلة من قول الأرنب فانطلق الى العين مع فيروز الرسول فلما نظر اليها رأى ضوء القمر فيها فقالت له فيروز الرسول خذ بخرطومك من الماء فاغسل به وجهك واسجد للقمر فأدخل الفيل خرطومه فى الماء

(١) حمق

فتحرك خيل للفيل أن القمر ارتعد فقال ما شأن القمر ارتعد أتراه غضب من ادخالى الخرطوم فى الماء قالت فيروز الأرنب نعم فسجد الفيل للقمر مرة أخرى وتاب اليه مما صنع وشرط ألا يعود الى مثل ذلك هو ولا أحد من فيلته قال الغراب ومع ماذكرت من أمر البومان فيها الخب والمكر والخديعة وشر الملوك المخادع ومن ابتلى بسلطان مخادع وخدمه أصابه ما أصاب الأرنب والصفرد (١) حين احتكما الى السنور قالت الكراكى وكيف كان ذلك

قال الغراب كان لى جار من الصفاردة فى أصل شجرة قريبة من وكرى وكان يكثر مواصلتى ثم فقدته فلم أعلم أين غاب وطالت غيبته عنى فجاءت أرنب الى مكان الصفرد فسكنته فكرهت أن أخاصم الأرنب فلبثت فيه زمانا ثم ان الصفرد عاد بعد زمان فأتى منزله فوجد فيه الأرنب فقال لها هذا المكان لى فانتقلى عنه قالت الأرنب المسكن لى وتحت يدى وأنت مدع له فان كان لك حق فاستعد باثباته على قال الصفرد القاضى منا قريب فهلمى بنا اليه قالت الارنب ومن القاضى قال الصفرد إن بساحل البحر سنورا متعبدا يصوم النهار ويقوم الليل كله ولا يؤذى دابة ولا يهريق دما عيشه من الحشيش ومما يقذفه اليه البحر فان أحببت تحاكمنا اليه ورضينا به قالت الأرنب ما أرضانى به اذا كان كما وصفت فانطلقا اليه فتبعتهما لأنظر الى حكومة الصوام القوام ثم انهما ذهبا اليه فلما بصر السنور بالأرنب والصفرد مقبلين نحوه انتصب قائما يصلى وأظهر الخشوع والتنسك فعجبا لما رأيا من حاله ودنوا منه هائبين له وسلما عليه وسألاه أن يقضى بينهما فأمرهما أن يقصا عليه القصة ففعلا فقال لهما قد بلغنى الكبر وثقلت أذناى فادنوا منى

---

(١) طائر جبان كنيته أبو المليح

فأسمعانى ماتقولان فدنوا منه وأعادا عليه القصة وسألاه الحكم فقال قد فهمت ماقلتما وأنا مبتدئكما بالنصيحة قبل الحكومة بينكما فأنا آمركما بتقوى الله وألا تطلبا الا الحق فان طالب الحق هو الذى يفلح وان قضى عليه وطالب الباطل مخصوم وان قضى له وليس لصاحب الدنيا من دنياه شئ لامال ولا صديق سوى العمل الصالح يقدمه فذو العقل حقيق أن يكون سعيه فى طلب ما يبقى ويعود نفعه عليه غدا وأن يمقت بسعيه فيما سوى ذلك من أمور الدنيا فان منزلة المال عند العاقل بمنزلة المَدَر(١) ومنزلة الناس عنده فيما يحب لهم من الخير ويكره من الشر بمنزلة نفسه ثم ان السنور لم يزل يقص عليهما من جنس هذا وأشباهه حتى أنسا اليه وأقبلا عليه ودنوا منه ثم وثب عليهما فقتلهما قال الغراب ثم ان البوم تجمع مع ماوصفت لكن من الشؤم سائر العيوب فلا يكونن تمليك البوم من رأيكن فلما سمع الكراكى ذلك من كلام الغراب أضربن عن تمليك البوم وكان هنالك بوم حاضر قد سمع ماقالوا فقال للغراب لقد وترتنى(٢) أعظم الترة(٣) ولا أعلم أنه سلف منى اليك سوء أوجب هذا وبعد فاعلم أن الفأس يقطع به الشجرة فيعود ينبت والسيف يقطع اللحم ثم يعود فيندمل واللسان لا يندمل جرحه ولا تؤسى(٤) مقاطعه والنصل من السهم يغيب فى اللحم ثم ينزع فيخرج وأشباه النصل من الكلام اذا وصلت الى القلب لم تنزع ولم تستخرج ولكل حريق مطفئ فللنار الماء وللسم الدواء وللحزن الصبر ونار الحقد لا تخبو أبدا وقد غرستم معاشر الغربان بيننا وبينكم شجر الحقد والعداوة والبغضاء .

فلما قضى البوم مقالته ولى مغضبا فأخبر ملك البوم بما جرى وبكل ما كان من قول الغراب ثم ان الغراب ندم على ما فرط منه وقال والله لقد خرقت

(١) واحدته مَدَرَة وهو قطع الطين اليابس والحجارة (٢) نقصتنى (٣) مصدر وتر (٤) تداوى

فى قولى الذى جلبت به العداوة والبغضاء على نفسى وقومى ولبتنى لم أخبر الكراكى بهذه الحال ولا أعلمتها بهذا الأمر ولعل أكثر الطير قد رأى أكثر مما رأيت وعلم أضعاف ما علمت فنعها من الكلام بمثل ما تكلمت اتقاء مالم أتق والنظر فيما لم أنظر فيه من حذار العواقب لاسيما اذا كان الكلام أفظع كلام يلقى منه سامعه وقائله المكروه مما يورث الحقد والضغينة فلا ينبغى لأشباه هذا الكلام أن يسمى كلاما ولكن سهاما والعاقل وان كان واثقا بقوته وفضله لا ينبغى أن يحمله ذلك على أن يجلب العداوة على نفسه اتكالا على ما عنده من الرأى والقوة كما أنه وان كان عنده الترياق (١) لا ينبغى له أن يشرب السم اتكالا على ما عنده وصاحب حسن العمل وان قصر به القول فى مستقبل الامر كان فضله بينا واضحا فى العاقبة والاختبار وصاحب حسن القول وان أعجب الناس منه حسن صفته للامور لم تحمد عاقبة أمره وأنا صاحب القول الذى لا عاقبة له محمودة أليس من سفهى اجترائى على التكلم فى الامر الجسيم لا أستشير فيه أحدا ولم أعمل فيه رأيا ومن لم يستشر النصحاء الأولياء وعمل برأيه من غير تكرار النظر والروية لم يغتبط بمواقع رأيه فما كان أغنانى عما كسبت يومى هذا وما وقعت فيه من الهم وعاتب الغراب نفسه بهذا الكلام وأشباهه وذهب فهذا ما سألتنى عنه من ابتداء العداوة بيننا وبين البوم

وأما القتال فقد علمت رأيى فيه وكراهتى له ولكن عندى من الرأى والحيلة غير القتال ما يكون فيه الفرج ان شاء الله تعالى فانه رب قوم قد احتالوا بآرائهم حتى ظفروا بما أرادوا ومن ذلك حديث الجماعة الذين ظفروا بالناسك وأخذوا عريضه (٢) قال الملك وكيف كان ذلك

---

(١) دواء السموم (٢) العريض من المعز ما أتى عليه سنة

قال الغراب زعموا أن ناسكا اشترى عريضا ضخما ليجعله قربانا فانطلق به يقوده فبصر به قوم من المكرة فائتمروا بينهم أن يأخذوه من الناسك فعرض له أحدهم فقال له أيها الناسك ما هذا الكلب الذى معك ثم عرض له الآخر فقال لصاحبه ما هذا ناسك لأن الناسك لا يقود كلبا فلم يزالوا مع الناسك على هذا ومثله حتى لم يشك أن الذى يقوده كلب وأن الذى باعه اياه سحر عينه فأطلقه من يده فأخذه الجماعة المحتالون ومضوا به * وانما ضربت لك هذا المثل لما أرجو أن نصيب من حاجتنا بالرفق والحيلة وانى أريد من الملك أن ينقرنى على رؤس الاشهاد وينتف ريشى وذنبى ثم يطرحنى فى أصل هذه الشجرة ويرتحل الملك هو وجنوده الى مكان كذا فأرجو أنى أصبر وأطلع على أحوالهم ومواضع تحصينهم وأبوابهم فأخادعهم وآتى اليكم لنهجم عليهم وننال منهم غرضنا ان شاء الله تعالى

قال الملك أتطيب نفسك لذلك قال نعم وكيف لا تطيب نفسى لذلك وفيه أعظم الراحات للملك وجنوده ففعل الملك بالغراب ما ذكر ثم ارتحل عنه فجعل الغراب يئن ويهمس(١) حتى سمعته البوم ورأينه يئن فأخبرن ملكهن بذلك فقصد نحوه ليسأله عن الغربان فلما دنا منه أمر بوما أن يسأله فقال له من أنت وأين الغربان فقال أما اسمى ففلان وأما ما سألتنى عنه فانى أحسبك ترى أن حالى حال من لا يعلم الاسرار فقيل لملك البوم هذا وزير ملك الغربان وصاحب رأيه فنسأله بأى ذنب صنع به ما صنع فسئل الغراب عن أمره فقال ان ملكنا استشار جماعتنا فيكن وكنت يومئذ بمحضر من الامر فقال أيها الغربان ما ترون فى ذلك فقلت أيها الملك لا طاقة لنا بقتال البوم لأنهن أشد بطشا وأحد قلبا منا ولكن أرى أن نلتمس الصلح ثم نبذل الفدية فى ذلك فان

---

(١) الهمس الصوت الخفى

قبلت البوم ذلك منا والاهر بنا فى البلاد واذا كان القتال بيننا وبين البوم كان خيرا لهن وشرا لنا فالصلح أفضل من الخصومة وأمرتهن بالرجوع عن الحرب وضربت لهن الأمثال فى ذلك وقلت لهن ان العدو الشديد لا يرد بأسه وغضبه مثل الخضوع له ألا ترين الى الحشيش كيف يسلم من عاصف الريح للينه وميله معها حيث مالت فعصينني فى ذلك وزعمن أنهن يردن القتال واتهمنني فيما قلت وقلن انك قد مالأت(١) البوم علينا ورددن قولى ونصيحتى وعذبنني بهذا العذاب وتركني الملك وجنوده وارتحل ولا علم لى بهن بعد ذلك

فلما سمع ملك البوم مقالة الغراب قال لبعض وزرائه ماتقول فى الغراب وماترى فيه قال ما أرى الا المعاجلة له بالقتل فان هذا أفضل عُدد الغربان وفى قتله لنا راحة من مكره وفقده على الغربان شديد ويقال من ظفر بالساعة التى فيها ينجح العمل ثم لا يعاجله بالذى ينبغى له فليس بحكيم ومن طلب الامر الجسيم فأمكنه ذلك فأغفله فاته الامر وهو خليق ألا تعود الفرصة ثانية ومن وجد عدوه ضعيفا ولم يجز قتله ندم اذا استقوى ولم يقدر عليه

قال الملك لوزير آخر ماترى أنت فى هذا الغراب قال أرى ألا تقتله فان العدو الذليل الذى لا ناصر له أهل لأن يستبقى ويرحم ويصفح عنه لاسيما المستجير الخائف فانه أهل لأن يؤمن

قال ملك البوم لوزير آخر من وزرائه ماتقول فى الغراب قال أرى أن تستبقيه وتحسن اليه فانه خليق أن ينصحك والعاقل يرى معاداة بعض أعدائه بعضا ظفرا حسنا ويرى اشتغال بعض الاعداء ببعض خلاصا لنفسه منهم ونجاة كنجاة الناسك من اللص والشيطان حين اختلفا عليه قال الملك وكيف كان ذلك

---

(١) ساعدت

قال الوزير زعموا أن ناسكا أصاب من رجل بقرة حلوبا فانطلق بها يقودها الى منزله فعرض له لص أراد سرقتها وتبعه شيطان يريد اختطافه فقال الشيطان للص من أنت قال أنا اللص أريد أن أسرق هذه البقرة من الناسك اذا نام فمن أنت قال أنا الشيطان أريد اختطافه اذا نام وأذهب به فانتهيا على هذا الى المنزل فدخل الناسك منزله ودخلا خلفه وأدخل البقرة فربطها فى زاوية المنزل وتعشى ونام فأقبل اللص والشيطان يأتمران فيه واختلفا على من يبدأ بشغله أولا فقال الشيطان للص ان أنت بدأت بأخذ البقرة فربما استيقظ وصاح واجتمع الناس فلا أقدر على أخذه فأنظرنى ريثما آخذه وشأنك وما تريد فأشفق اللص ان بدأ الشيطان باختطافه فربما استيقظ فلا يقدر على أخذ البقرة فقال لا بل أنظرنى أنت حتى آخذ البقرة وشأنك وما تريد فلم يزالا فى المجادلة هكذا حتى نادى اللص أيها الناسك انتبه فهذا الشيطان يريد اختطافك ونادى الشيطان أيها الناسك انتبه فهذا اللص يريد أن يسرق بقرتك فانتبه الناسك وجيرانه بأصواتهما وهرب الخبيثان قال الوزير الاول الذى أشار بقتل الغراب أظن أن الغراب قد خدعكن ووقع كلامه فى نفس الغبى منكن موقعه فتردن أن تضعن الرأى فى غير موضعه فمهلا مهلا أيها الملك عن هذا الرأى فلم يلتفت الملك الى قوله وأمر بالغراب أن يحمل الى منازل البوم ويكرم ويستوصى به خيرا

ثم ان الغراب قال للملك يوما وعنده جماعة من البوم وفيهن الوزير الذى أشار بقتله أيها الملك قد علمت ما جرى علىّ من الغربان وانه لا يستريح قلبى دون أخذى بثارى منهن وانى قد نظرت فى ذلك فاذا بى لا أقدر على ما رمت لأنى غراب وقد روى عن العلماء أنهم قالوا من طابت نفسه بأن يحرقها فقد قرب لله أعظم القربان لا يدعو عند ذلك بدعوة الا استجيب له فان رأى

الملك أن يامرنى فأحرق نفسى وأدعو ربى أن يحولنى بوماً فأكون أشد عداوة وأقوى بأساً على الغربان لعلى أنتقم منهن قال الوزير الذى أشار بقتله ما أشبهك فى خير ما تظهر وشر ما تخفى الا بالخمرة الطيبة الطعم والريح المنقع فيها السم أرأيت لو أحرقنا جسمك بالنار كان جوهرك وطباعك متغيرة أليست أخلاقك تدور معك حيثما درت وتصير بعد ذلك الى أصلك وطويتك كالفأرة التى خيرت فى الازواج بين الشمس والريح والسحاب والجبل فلم يقع اختيارها الا على الجرذ قيل له وكيف كان ذلك

قال زعموا أنه كان ناسك مستجاب الدعوة فبينما هو ذات يوم جالس على ساحل البحر اذ مرت به حدأة فى رجلها درص (١) فأرة فوقعت منها عند الناسك وأدركته لها رحمة فأخذها ولفها فى ورقة وذهب بها الى منزله ثم خاف أن تشق على أهله تربيتها فدعا ربه أن يحولها جارية فتحولت جارية حسناء فانطلق بها الى امرأته فقال لها هذه ابنتى فاصنعى معها صنيعك بولدى فلما كبرت قال لها الناسك يا بنية اختارى من أحببت حتى أزوجك به فقالت أما اذا خيرتنى فانى أختار زوجا يكون أقوى الأشياء فقال الناسك لعلك تريدين الشمس ثم انطلق الى الشمس فقال أيها الخلق العظيم لى جارية وقد طلبت زوجا يكون أقوى الاشياء فهل أنت متزوجها فقالت الشمس أنا أدلك على من هو أقوى منى السحاب الذى يغطينى ويرد حر شعاعى ويكسف أشعة أنوارى فذهب الناسك الى السحاب فقال له ما قال للشمس فقال السحاب وأنا أدلك على من هو أقوى منى فاذهب الى الريح التى تقبل بى وتدبر وتذهب بى شرقا وغربا فجاء الناسك الى الريح فقال لها كقوله للسحاب فقالت وأنا أدلك على من هو أقوى منى وهو الجبل الذى لا أقدر

---

(١) ولد الفأرة

على تحريكه فضى الى الجبل فقال له القول المذكور فأجابه الجبل وقال له أنا أدلك على من هو أقوى منى الجرذ الذى لا أستطيع الامتناع منه اذا ثقبنى واتخذنى مسكنا فانطلق الناسك الى الجرذ فقال له هل أنت متزوج هذه الجارية فقال وكيف أتزوجها وجحرى ضيق . وانما يتزوج الجرذ الفأرة فدعا الناسك ربه أن يحولها فأرة كما كانت وذلك برضا الجارية فأعادها الله الى عنصرها الاول فانطلقت مع الجرذ فهذا مثلك أيها المخادع فلم يلتفت ملك البوم الى ذلك القول ورفق بالغراب ولم يزدد له الا اكراما حتى اذا طاب عيشه ونبت ريشه واطلع على ما أراد أن يطلع عليه راغ روغة فأتى أصحابه بما رأى وسمع فقال للملك انى قد فرغت مما كنت أريد ولم يبق الا أن تسمع وتطيع قال له أنا والجند تحت أمرك فاحتكم كيف شئت

قال الغراب ان البوم بمكان كذا فى جبل كثير الحطب وفى ذلك الموضع قطيع من الغنم مع رجل راع ونحن مصيبون هناك نارا ونلقيها فى أثقاب (١) البوم ونقذف عليها من يابس الحطب ونتراوح عليها ضربا بأجنحتنا حتى تضطرم النار فى الحطب فمن خرج منهن احترق ومن لم يخرج مات بالدخان موضعه ففعل الغربان ذلك فأهلكن البوم قاطبة ورجعن الى منازلهن سالمات آمنات

ثم ان ملك الغربان قال لذلك الغراب كيف صبرت على صحبة البوم ولا صبر للاخيار على صحبة الاشرار فقال الغراب ان ما قلته أيها الملك لكذلك ولكن العاقل اذا أتاه الامر الفظيع العظيم الذى يخاف من عدم تحمله الجائحة (٢) على نفسه وقومه لم يجزع من شدة الصبر عليه لما يرجو من أن يعقبه صبره حسن العاقبة وكثير الخير فلم يجد لذلك ألما ولم تكره نفسه الخضوع

---

(١) المساكن (٢) الشدة المهلكة

لمن هودونه حتى يبلغ حاجته فيغتبط بخاتمة أمره وعاقبة صبره فقال الملك أخبرني عن عقول البوم قال الغراب لم أجد فيهن عاقلا الا الذى كان يحثهن على قتلى وكان حرضهن على ذلك مرارا فكن أضعف شيء رأيا فلم ينظرن فى أمرى و يذكرن أنى قد كنت ذا منزلة فى الغربان وأنى أعد من ذوى الرأى ولم يتخوفن مكرى وحيلتى ولا قبلن من الناصح الشفيق ولا أخفين دونى أسرارهن وقد قال العلماء ينبغى للملك أن يحصن أموره من أهل النميمة ولا يطلع أحدا منهم على مواضع سره فقال الملك ما أهلك البوم فى نفسى الا البغى وضعف رأى الملك وموافقته وزراء السوء فقال الغراب صدقت أيها الملك انه قلما ظفر أحد بغنى ولم يطغ وقل من أكثر من الطعام الا مرض وقل من وثق بوزراء السوء وسلم من أن يقع فى المهالك وكان يقال لا يطمعن ذو الكبر فى حسن الثناء ولا الخب فى كثرة الصديق ولا السيء الادب فى الشرف ولا الشحيح فى البر ولا الحريص فى قلة الذنوب ولا الملك المحتال المتهاون بالامور الضعيف الوزراء فى ثبات ملكه وصلاح رعيته قال الملك لقد احتملت مشقة شديدة فى تصنعك للبوم وتضرعك لهن قال الغراب انه من احتمل مشقة يرجو نفعها ونحى عن نفسه الأنفة والحمية ووطنها على الصبر حمد غب[1] رأيه كما صبر الأسود على حمل ملك الضفادع على ظهره وشبع بذلك وعاش قال الملك وكيف كان ذلك

قال الغراب زعموا أن أسود من الحيات كبر وضعف بصره وذهبت قوته فلم يستطع صيدا ولم يقدر على طعام وأنه انساب يلتمس شيأ يعيش به حتى انتهى الى عين كثيرة الضفادع قد كان يأتيها قبل ذلك فيصيب من ضفادعها

---

(١) عاقبة

رزقه فرمى نفسه قريبا منهن مظهر الكآبة والحزن فقال له ضفدع (١)
مالى أراك أيها الأسود كئيبا حزينا قال ومن أحرى بطول الحزن منى وانما
كان أكثر معيشتى مما كنت أصيب من الضفادع فابتليت ببلاء وحرمت
على الضفادع من أجله حتى انى اذا التقيت ببعضها لا أقدر على امساكه
فانطلق الضفدع الى ملك الضفادع فبشره بما سمع من الأسود فأتى ملك
الضفادع الى الاسود فقال له كيف كان أمرك قال سعيت منذ أيام فى طلب
ضفدع وذلك عند المساء فاضطررته الى بيت ناسك ودخلت فى أثره فى الظلمة
وفى البيت ابن للناسك فأصبت اصبعه فظننت أنها الضفدع فلدغته فمات
فخرجت هاربا فتبعنى الناسك فى أثرى ودعا على ولعننى وقال كما قتلت ابنى
البرىء ظلما وتعديا أدعو عليك أن تذل وتصير مركبا لملك الضفادع فلا
تستطيع أخذها ولا أكل شىء منها الا ما يتصدق به عليك ملكها فأتيت
اليك لتركبنى مقرا بذلك راضيا به فرغب ملك الضفادع فى ركوب الاسود
وظن أن ذلك فخر له وشرف ورفعة فركبه واستطاب له ذلك فقال له الاسود
قد علمت أيها الملك أنى محروم فاجعل لى رزقا أعيش به قال ملك الضفادع
لعمرى لابد لك من رزق يقوم بك اذ كنت مركبى فأمر له بضفدعين يؤخذان
فى كل يوم ويدفعان اليه فعاش بذلك ولم يضره خضوعه للعدو الذليل بل
انتفع بذلك وصار له رزقا ومعيشة وكذلك كان صبرى على ما صبرت عليه
التماسا لهذا النفع العظيم الذى اجتمع لنا فيه الأمن والظفر وهلاك العدو
والراحة منه ووجدت صرعة اللين والرفق أسرع وأشد استئصالا للعدو
من صرعة المكابرة فان النار لا تزيد بحدتها وحرها اذا أصابت الشجرة على

---

(١) بكسر أوله وثالثه أو فتحهما أو ضم الاول وفتح الثالث الواحدة بهاء والجمع ضفادع

أن تحرق مافوق الارض منها والماء ببرده ولينه يستأصل ماتحت الأرض منها ويقال أربعة أشياء لا يستقل قليلها النار والمرض والعدو والدين قال الغراب وكل ذلك كان من رأى الملك وأدبه وسعادة جده وأنه كان يقال اذا طلب اثنان أمرا ظفر به منهما أفضلهما مروءة فان اعتدلا فى المروءة فأشدهما عزما فان استويا فى العزم فأسعدهما جدا وكان يقال من حارب الملك الحازم الأريب المتضرع الذى لا تبطره السراء ولا تدهشه الضراء كان هو داعى الحتف الى نفسه ولا سيما اذا كان مثلك أيها الملك العالم بفروض الاعمال ومواضع الشدة واللين والغضب والرضا والمعاجلة والأناة الناظر فى أمر يومه وغده وعواقب أعماله قال الملك للغراب بل برأيك وعقلك ونصيحتك ويمن طالعك كان ذلك فان رأى الرجل الواحد العاقل الحازم أبلغ فى هلاك العدو من الجنود الكثيرة من ذوى البأس والنجدة والعدد والعدة وان من عجيب أمرك عندى طول لبثك بين ظهرانى البوم تسمع الكلام الغليظ ثم لم تسقط بينهن بكلمة قال الغراب لم أزل متمسكا بأدبك أيها الملك أصحب البعيد والقريب بالرفق واللين والمبالغة والمؤاتاة قال الملك أصبحت وقد وجدتك صاحب العمل ووجدت غيرك من الوزراء أصحاب أقاويل ليس لها عاقبة حميدة فقد من الله علينا بك منة عظيمة لم تكن قبلها نجد لذة الطعام ولا الشراب ولا النوم ولا القرار وكان يقال لا يجد المريض لذة الطعام والنوم حتى يبرأ ولا الرجل الشره الذى قد أطمعه سلطانه فى مال وعمل فى يده حتى ينجزه له ولا الرجل الذى قد ألح عليه عدوه وهو يخافه صباحا ومساء حتى يستريح منه قلبه ومن وضع الحمل الثقيل عن يديه أراح نفسه ومن آمن عدوه ثلج (١) صدره

---

(١) اطمأن

قال الغراب أسأل الله الذى أهلك عدوك أن يمتعك بسلطانك وأن يجعل فى ذلك صلاح رعيتك ويشركهم فى قرة العين علمكك فان الملك اذا لم يكن فى ملكه قرة عيون رعيته فمثله مثل زَنَمَة (١) العَنْز التى يَمَصُّها وهو يحسبها حلمة الضَّرْع فلا يصادف فيها خيرا قال الملك أيها الوزير الصالح كيف كانت سيرة البوم وملكها فى حروبها وفيما كانت فيه من أمورها قال الغراب كانت سيرته سيرة بطر وأشر وخيلاء وعجز وفخر مع ما فيه من الصفات الذميمة وكل أصحابه ووزرائه شبيه به الا الوزير الذى كان يشير عليه بقتلى فانه كان حكيما أريبا فيلسوفا حازما عالما قلما يرى مثله فى علو الهمة وكمال العقل وجودة الرأى قال الملك وأى خصلة رأيت منه كانت أدل على عقله قال خلتان احداهما رأيه فى قتلى والأخرى أنه لم يكن يكتم صاحبه نصيحته وان استقلها ولم يكن كلامه كلام عنف وقسوة ولكنه كلام رفق ولين حتى انه ربما أخبره ببعض عيوبه ولا يصرح بحقيقة الحال بل يضرب له الامثال ويحدثه بعيب غيره فيعرف عيبه فلا يجد ملكه الى الغضب عليه سبيلا وكان مما سمعته يقول لملكه انه لا ينبغى للملك أن يغفل عن أمره فانه أمر جسيم لا يظفر به من الناس الاقليل ولا يدرك الا بالحزم فان الملك عزيز فمن ظفر به فليحسن حفظه وتحصينه فانه قد قيل انه فى قلة بقائه بمنزلة قلة بقاء الظل عن ورق النيلوفر وهو فى خفة زواله وسرعة اقباله وادباره كالريح وفى قلة ثباته كاللبيب مع اللئام وفى سرعة اضمحلاله كحباب الماء من وقع المطر فهذا مثل أهل العداوة الذين لا ينبغى أن يغتر بهم وان هم أظهروا توددا وتضرعا .

(انقضى باب البوم والغربان)

---

(١) قطعة لحم تتدلى من عنقه

باب القرد والغَيْلَم (١)

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثل الرجل الذى يطلب الحاجة فاذا ظفر بها أضاعها قال الفيلسوف ان طلب الحاجة أهون من الاحتفاظ بها ومن ظفر بحاجة ثم لم يحسن القيام بها أصابه ما أصاب الغيلم قال الملك وكيف كان ذلك

قال بيدبا زعموا أن قردا كان ملك القردة يقال له ماهر وكان قد كبر وهرم فوثب عليه قرد شاب من بيت المملكة فتغلب عليه وأخذ مكانه فخرج هاربا على وجهه حتى انتهى الى الساحل فوجد شجرة من شجر التين فارتقى اليها وجعلها مقامه فبينما هو ذات يوم يأكل من ذلك التين انسقطت من يده تينة فى الماء فسمع لها صوتا وايقاعا فجعل يأكل ويرمى فى الماء فأطربه ذلك فأكثر من طرح التين فى الماء وثم غيلم كلما وقعت تينة أكلها فلما كثر ذلك ظن أن القرد انما يفعل ذلك لأجله فرغب فى مصادقته وأنس اليه وكلمه وألف كل واحد منهما صاحبه وطالت غيبة الغيلم عن زوجته فجزعت عليه وشكت ذلك الى جارة لها وقالت قد خفت أن يكون قد عرض له عارض سوء فاغتاله فقالت لها ان زوجك بالساحل قد ألف قردا وألفه القرد فهو مؤاكله ومشاربه وهو الذى قطعه عنك ولا يقدر أن يقيم عندك حتى تحتالى لهلاك القرد قالت وكيف أصنع قالت جارتها اذا وصل اليك فتمارضى فاذا سألك عن حالك فقولى ان الحكماء وصفوا لى قلب قرد ثم ان الغيلم انطلق بعد مدة الى منزله فوجد زوجته سيئة الحال مهمومة فقال لها الغيلم مالى أراك هكذا فأجابته جارتها وقالت ان زوجتك مريضة مسكينة وقد وصف لها

---

(١) السُّلَحْفَاة الذكر

الأطباء قلب قرد وليس لها دواء سواه قال الغيلم هذا أمر عسير من أين لنا قلب قرد ونحن في الماء لكن سأحتال لصديقي ثم انطلق الى ساحل البحر فقال له القرد يا أخي ما حبسك عني قال له الغيلم ما حبسني عنك الا حيائي فلم أعرف كيف أجازيك على احسانك الى وأريد أن تتم احسانك الى بزيارتك لى في منزلي فاني ساكن في جزيرة طيبة الفاكهة فاركب ظهري لأسبح بك فرغب القرد في ذلك ونزل فركب ظهر الغيلم فسبح به حتى اذا سبح به عرض له قبح ما أضمر في نفسه من الغدر فنكس رأسه فقال له القرد مالى أراك مهتما قال الغيلم اغتماهمي لأنى ذكرت أن زوجتي شديدة المرض وذلك يمنعني من كثير مما أريد أن أبلغه من كرامتك وملاطفتك قال القرد ان الذي أعرف من حرصك على كرامتي يكفيك مؤونة التكلف قال الغيلم أجل ومضى بالقرد ساعة ثم توقف به ثانية فساء ظن القرد وقال في نفسه ما احتباس الغيلم وابطاؤه الا لأمر ولست آمنا أن يكون قلبه قد تغير لى وحال عن مودتى فأراد بى سوءا فانه لاشئ أخف وأسرع تقلبا من القلب وقد يقال ينبغي للعاقل ألا يغفل عن التماس ما في نفس أهله وولده واخوانه وصديقه عند كل أمر وفي كل لحظة وكلمة وعند القيام والقعود وعلى كل حال فان ذلك كله يشهد على ما في القلوب وقد قالت العلماء اذا دخل قلب الصديق من صديقه ريبة فليأخذ بالحزم في التحفظ منه وليتفقد ذلك في لحظاته وحالاته فان كان ما يظن حقا ظفر بالسلامة وان كان باطلا ظفر بالحزم ولم يضره ذلك ثم قال للغيلم ما الذي يحبسك ومالى أراك مهتما كأنك تحدث نفسك مرة أخرى قال يهمني أنك تأتي منزلي فلا تجد أمرى كما أحب لأن زوجتي مريضة قال القرد لا تهتم فان الهم لا يغني عنك شيأ ولكن التمس ما يصلح زوجتك من الأدوية والأغذية فانه يقال ليبذل ذو المال ماله في أربعة مواضع في الصدقة

وفى وقت الحاجة وعلى البنين وعلى الازواج قال الغيلم صدقت وقد قالت الاطباء انه لا دواء لها الا قلب قرد فقال القرد فى نفسه وا أسفاه لقد أدركنى الحرص والشره على كبر سنى حتى وقعت فى شر ورطة ولقد صدق الذى قال يعيش القانع الراضى مستريحا مطمئنا وذو الحرص والشره يعيش ما عاش فى تعب ونصب وانى قد احتجت الآن الى عقلى فى التماس المخرج مما وقعت فيه ثم قال للغيلم وما منعك أن تعلمنى عند منزلى حتى كنت أحمل قلبى معى فهذه سنة فينا معاشر القردة اذا خرج أحدنا لزيارة صديق خلف قلبه عند أهله أو فى موضعه لننظر اذا نظرنا الى حُرَم المزور وليس قلوبنا معنا قال الغيلم وأين قلبك الآن قال خلفته فى الشجرة فان شئت فارجع بى الى الشجرة حتى آتيك به ففرح الغيلم بذلك وقال لقد وافقنى صاحبى بدون أن أغْدُر به ثم رجع بالقرد الى مكانه فلما قارب الساحل وثب عن ظهره فارتقى الشجرة فلما أبطأ على الغيلم ناداه يا خليلى احمل قلبك وانزل فقد حبستنى فقال القرد هيهات أتظن أنى كالحمار الذى زعم ابن آوى أنه لم يكن له قلب ولا أذنان قال الغيلم وكيف كان ذلك

قال القرد زعموا أنه كان أسد فى أجمة وكان معه ابن آوى يأكل من فواضل طعامه فأصاب الأسد جرب وضعف شديد وجهد فلم يستطع الصيد فقال له ابن آوى ما بالك يا سيد السباع قد تغيرت أحوالك قال هذا الجرب الذى قد أجهدنى وليس له دواء الا قلب حمار وأذناه قال ابن آوى ما أيسر هذا وقد عرفت بمكان كذا حمارا مع قَصّار (١) يحمل عليه ثيابه وأنا آتيك به ثم دلف (٢) الى الحمار فأتاه وسلم عليه فقال له مالى أراك مهزولا قال ما يطعمنى صاحبى شيأ فقال له وكيف ترضى المقام معه على هذا قال فمالى حيلة فى الهرب منه

---

(١) مُحَوِّر الثياب (٢) معناه هنا تقدم .

فلست أتوجه الى جهة الا أضرّ بى انسان فكذبنى وأجاعنى قال ابن آوى فأنا أدلك على مكان معزول عن الناس لا يمرّ به انسان خصيب[1] المرعى فيه قطيع من الحُمُر لم ترعين مثلها حسنا وسمنا قال الحمار وما يحبسنا عنها فانطلق بنا اليها فانطلق به ابن آوى نحو الاسد وتقدم ابن آوى ودخل الغابة على الأسد فأخبره بمكان الحمار فخرج اليه وأراد أن يثب عليه فلم يستطع لضعفه وتخلص الحمار منه فأفلت هلعا[2] على وجهه فلما رأى ابن آوى أن الاسد لم يقدر على الحمار قال له أعجزت يا سيد السباع الى هذه الغاية فقال له ان جئتنى به مرة أخرى فلن ينجو منى أبدا فمضى ابن آوى الى الحمار فقال له ما الذى جرى عليك ان أحد الحمر رآك غريبا فخرج يتلقاك مرحبا بك ولو ثبت له لآنسك ومضى بك الى أصحابه فلما سمع الحمار كلام ابن آوى ولم يكن رأى أسدا قط صدّقه وأخذ طريقه الى الاسد فسبقه ابن آوى الى الاسد وأعلمه بمكانه وقال له استعدّ له فقد خدعته لك فلا يدركنك الضعف فى هذه النوبة فانه ان أفلت فلن يعود معى أبدا فجاش[3] جاش الاسد لتحريض ابن آوى له وخرج الى موضع الحمار فلما بصر به عاجله بوثبة افترسه بها ثم قال قد ذكرت الاطباء أنه لا يؤكل الا بعد الغسل والطهور فاحتفظ به حتى أعود فآكل قلبه وأذنيه وأترك ما سوى ذلك قوتا لك فلما ذهب الاسد ليغتسل عمد ابن آوى الى الحمار فأكل قلبه وأذنيه رجاء أن يتطير الاسد منه فلا يأكل منه شيأ ثم ان الاسد رجع الى مكانه فقال لابن آوى أين قلب الحمار وأذناه قال ابن آوى ألم تعلم أنه لو كان له قلب يفقه به وأذنان يسمع بهما لم يرجع اليك بعد ما أفلت ونجا من الهلكة

---

(١) كثير (٢) الهَلَع أفحش الجزع (٣) غلى وجاش وقد لا يهمز من معانيه النفس

وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنى لست كذلك الحمار الذى زعم ابن آوى أنه لم يكن له قلب وأذنان ولكنك احتلت علىّ وخدعتنى فخدعتك بمثل خديعتك واستدركت فارط أمرى وقد قيل ان الذى يفسده الحلم لا يصلحه الا العلم قال الغيلم صدقت الا أن الرجل الصالح يعترف بزلته واذا أذنب ذنبا لم يستحى أن يؤدب لصدقه فى قوله وفعله وان وقع فى ورطة أمكنه التخلص منها بحيلته وعقله كالرجل الذى يعثر على الارض ثم ينهض عليها معتمد فهذا مثل الرجل الذى يطلب الحاجة فاذا ظفر بها أضاعها .

(انقضى باب القرد والغيلم)

باب الناسك وابن عرس

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثل الرجل العجلان فى أمره من غير روية ولا نظر فى العواقب قال الفيلسوف انه من لم يكن فى أمره متثبتا لم يزل نادما و يصير أمره الى ما صار اليه الناسك من قتل ابن عرس وقد كان له ودودا قال الملك وكيف كان ذلك

قال الفيلسوف زعموا أن ناسكا من النساك كان بأرض جُرْجان[1] وكانت له امرأة جميلة فكثا زمانا لم يرزقا ولدا ثم حملت منه بعد الاياس فسرّت المرأة وسرّ الناسك بذلك فحمد الله تعالى وسأله أن يكون الحمل ذكرا وقال لزوجته أبشرى فانى أرجو أن يكون غلاما لنا فيه منافع وقرة عين أختار له أحسن الاسماء وأحضر له سائر الادباء فقالت المرأة ما يحملك أيها الرجل على أن تتكلم بما لا تدرى أيكون أم لا ومن فعل ذلك أصابه ما أصاب الناسك الذى أراق على رأسه السمن والعسل قال لها وكيف كان ذلك

---

(١) بلد بفارس

قالت زعموا أن ناسكا كان يجرى عليه من بيت رجل تاجر فى كل يوم رزق من السمن والعسل وكان يأكل منه قوته وحاجته ويرفع الباقى ويجعله فى جرة فيعلقها فى وتد فى ناحية البيت حتى امتلأت فبينما الناسك ذات يوم مستلق على ظهره والعكازة فى يده والجرة معلقة على رأسه تفكر فى غلاء السمن والعسل فقال سأبيع ما فى هذه الجرة بدينار وأشترى به عشرة أعنز فيحبلن ويلدن فى كل خمسة أشهر بطنا ولا تلبث الا قليلا حتى تصير غنما كثيرة اذا ولدت اولادها ثم حرر على هذا النحو بسنين فوجد ذلك أكثر من أربعمائة عنز فقال أنا أشترى بها مائة من البقر بكل أربعة أعنز ثورا أو بقرة وأشترى أرضا وبذرا وأستأجر أكرة[1] وأزرع على الثيران وأنتفع بألبان الاناث ونتاجها فلا يأتى على خمس سنين الا وقد أصبت من الزرع مالا كثيرا فأبنى بيتا فاخرا وأشترى اماء وعبيدا وأتزوج امرأة جميلة ذات حسن ثم تأتى بغلام سرى نجيب فأختار له أحسن الاسماء فاذا ترعرع أدبته وأحسنت تأديبه وأشدد عليه فى ذلك فان يقبل منى والا ضربته بهذه العكازة وأشار بيده الى الجرة فكسرها فسال ما كان فيها على وجهه وانما ضربت لك هذا المثل لكى لا تعجل بذكر ما لا ينبغى ذكره وما لا تدرى أيصح أم لا يصح فاتعظ الناسك بما حكت زوجته ثم ان المرأة ولدت غلاما جميلا ففرح به أبوه وبعد أيام حان لها أن تتطهر فقالت المرأة للناسك اقعد عند ابنك حتى أذهب الى الحمام فأغتسل وأعود ثم انها انطلقت الى الحمام وخلفت زوجها والغلام فلم يلبث أن جاءه رسول الملك يستدعيه ولم يجد من يخلفه عند ابنه غير ابن عرس داجن[2] عنده كان قد رباه صغيرا فهو عنده عديل ولده فتركه الناسك عند الصبى وأغلق عليهما البيت وذهب مع الرسول فخرج من بعض أجحار

---

(١) جمع اكار وهو الحراث (٢) آلف

البيت حية سوداء فدنت من الغلام فضربها ابن عرس ثم وثب عليها فقتلها ثم قطعها وامتلأ فمه من دمها ثم جاء الناسك وفتح الباب فالتقاه ابن عرس كالمبشر له بما صنع من قتل الحية فلما رآه ملوثا بالدم وهو مذعور طار عقله وظن أنه قد خنق ولده ولم يتثبت فى أمره ولم يتروّ فيه حتى يعلم حقيقة الحال ويعمل بغير ما ظن من ذلك ولكن عجل على ابن عرس وضربه بعكازة كانت فى يده على أم رأسه فمات ودخل الناسك فرأى الغلام سليما حيا وعنده أسود مقطع فلما عرف القصة وتبين له سوء فعله فى العجلة لطم على رأسه وقال ليتنى لم أرزق هذا الولد ولم أغدر هذا الغدر ودخلت امرأته فوجدته على تلك الحال فقالت له ما شأنك فأخبرها بالخبر من حسن فعل ابن عرس وسوء مكافأته له فقالت هذه ثمرة العجلة فهذا مثل من لا يتثبت فى أمره بل يفعل أغراضه بالسرعة والعجلة . (انقضى باب الناسك وابن عرس)

باب الجرذ والسنور

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثل رجل كثر أعداؤه وأحدقوا به من كل جانب فأشرف معهم على الهلاك فالتمس النجاة والمخرج بموالاة بعض أعدائه ومصالحته فسلم من الخوف وأمن ثم وفى لمن صالحه منهم قال الفيلسوف ان المودة والعداوة لا تثبتان على حالة واحدة أبدا وربما حالت المودة الى العداوة وصارت العداوة ولاية وصداقة ولهذا حوادث وعلل وتجارب وذو الرأى يحدث لكل ما يحدث من ذلك رأيا جديدا أما من قبل العدو فبالبأس وأما من قبل الصديق فبالاستئناس ولا تمنع ذا العقل عداوة كانت فى نفسه لعدوه من مقاربته والاستنجاد به على دفع مخوف أو جر مرغوب ومن عمل فى ذلك بالحزم ظفر بحاجته ومثل ذلك مثل

الجرذ والسنور حين وقعا في الورطة فنجوا باصطلاحهما جميعا من الورطة والشدة قال الملك وكيف كان ذلك

قال بيدبا زعموا أن شجرة عظيمة كان في أصلها جحر سنور يقال له رومى وكان قريبا منه جحر جرذ يقال له فريدون وكان الصيادون كثيرا يتداولون ذلك المكان يصيدون فيه الوحش والطير فنزل ذات يوم صياد فنصب حبالته قريبا من موضع رومى فلم يلبث أن وقع فيها فخرج الجرذ يدب ويطلب ما يأكل وهو حذر من رومى فبينما هو يسعى اذ بصر به في الشرك فسر واستبشر ثم التفت فرأى خلفه ابن عرس يريد أخذه وفي الشجرة بوما يريد اختطافه فتحير في أمره وخاف ان رجع وراءه أخذه ابن عرس وان ذهب يمينا أو شمالا اختطفه البوم وان تقدم أمامه افترسه السنور فقال في نفسه هذا بلاء قد اكتنفني وشرور تظاهرت علي ومحن قد أحاطت بي وبعد ذلك فمعي عقلي فلا يفزعني أمري ولا يهولني شأني ولا يلحقني الدهش ولا يذهب قلبي شعاعا فالعاقل لا يفرق(١) عند سداد رأيه ولا يعزب عنه ذهنه على حال وانما العقل شبيه بالبحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ البلاء من ذي الرأي مجهوده فيهلكه وتحقق الرجاء لا ينبغي أن يبلغ منه مبلغا يبطره ويسكره فيعمى عليه أمره ولست أرى لي من هذا البلاء مخلصا الا مصالحة السنور فانه قد نزل به من البلاء مثل ما قد نزل بي أو بعضه ولعله ان سمع كلامي الذي أكلمه به ووعى عني فصيح خطابي ومحض صدقي الذي لا خلاف فيه ولا خداع معه ففهمه وطمع في معونتي اياه نخلص جميعا

ثم ان الجرذ دنا من السنور فقال له كيف حالك قال له السنور كما تحب في ضنك وضيق قال وأنا اليوم شريكك في البلاء ولست أرجو لنفسي

---

(١) يخاف

خلاصا الا بالذى أرجوك فيه الخلاص وكلامى هذا ليس فيه كذب ولا خديعة وابن عرس هاهو كامن لى والبوم يرصدنى وكلاهما لى ولك عدو فان جعلت لى الامان قطعت حبائلك وخلصتك من هذه الورطة فاذا كان ذلك تخلص كل واحد منا بسبب صاحبه كالسفينة والركاب فى البحر فبالسفينة ينجون وبهم تنجو السفينة فلما سمع السنور كلام الجرذ وعرف أنه صادق قال له ان قولك هذا لشبيه بالحق وأنا أيضا راغب فيما أرجوك ولنفسى به الخلاص ثم انك ان فعلت ذلك فسأشكرك ما بقيت قال الجرذ فانى سأدنو منك فأقطع الحبائل كلها الا حبلا واحدا أبقيه لأستوثق لنفسى منك ثم أخذ فى قرض حبائله ثم ان البوم وابن عرس لما رأيا دنو الجرذ من السنور أيسا منه وانصرفا ثم ان الجرذ أبطأ على رومى فى قطع الحبائل فقال له مالى لا أراك مجدا فى قطع حبائلى فان كنت قد ظفرت بحاجتك فتغيرت عما كنت عليه وتوانيت فى حاجتى فما ذلك من فعل الصالحين فان الكريم لا يتوانى فى حق صاحبه وقد كان لك فى سابق مودتى من الفائدة والنفع ما قد رأيت وأنت حقيق أن تكافئنى بذلك ولا تذكر العداوة التى بينى وبينك فالذى حدث بينى وبينك من الصلح حقيق أن ينسيك ذلك مع ما فى الوفاء من الفضل والاجر وما فى الغدر من سوء العاقبة فان الكريم لا يكون الا شكورا غير حقود تنسيه الخلة الواحدة من الاحسان الخلال الكثيرة من الاساءة وقد يقال ان أعجل العقوبة عقوبة الغدر ومن اذا تضرع اليه وسئل العفو فلم يرحم ولم يعف فقد غدر قال الجرذ إن الصديق صديقان طائع ومضطر وكلاهما يلتمسان المنفعة ويحترسان من المضرة فأما الطائع فَيُسْتَرسَل اليه ويُؤْمَنُ فى جميع الاحوال وأما المضطر ففى بعض الاحوال يسترسل اليه وفى بعضها يتحذر منه ولا يزال العاقل يرتهن منه

بعض حاجاته لبعض ما يتقي و يخاف وليس عاقبة التواصل من المتواصل الا طلب عاجل النفع و بلوغ مأموله وأنا واف لك بما جعلت لك ومحترس منك مع ذلك من حيث أخافك تخوفا أن يصيبني منك ما ألجأني خوفه الى مصالحتك وألجأك الى قبول ذلك مني فان لكل عمل حينا فما لم يكن منه في حينه فلا حسن لعاقبته وأنا قاطع حبائلك كلها غير أني تارك عقدة واحدة أرتهنك بها ولا أقطعها الا في الساعة التي أعلم أنك فيها عني مشغول وذلك عند معاينتي الصياد ثم ان الجرذ أخذ في قطع حبائل السنور فبينما هو كذلك اذ وافى الصياد فقال له السنور الآن جاء الجد في قطع حبائلي فأجهد الجرذ نفسه في القرض حتى اذا فرغ وثب السنور الى الشجرة على دهش من الصياد ودخل الجرذ بعض الاجحار وجاء الصياد فأخذ حبائله مقطعة ثم انصرف خائبا

ثم ان الجرذ خرج بعد ذلك وكره أن يدنو من السنور فناداه السنور أيها الصديق الناصح ذو البلاء الحسن عندي ما منعك من الدنو الي لأجازيك بأحسن ما أسديت الي هلم الي ولا تقطع اخائي فانه من اتخذ صديقا وقطع اخاءه وأضاع صداقته حرم ثمرة اخائه وأيس مع نفعه الاخوان والاصدقاء وان يدك عندي لا تنسى وأنت حقيق أن تلتمس مكافأة ذلك مني ومن اخواني وأصدقائي ولا تخافن مني شيأ واعلم أن ما قبلي لك مبذول ثم حلف واجتهد على صدقه فيما قال فناداه الجرذ رب صداقة ظاهرة باطنها عداوة كامنة وهي أشد من العداوة الظاهرة ومن لم يحترس منها وقع موقع الرجل الذي يركب ناب الفيل المغتلم ثم يغلبه النعاس فيستيقظ تحت فراسن (١) الفيل فيدوسه و يقتله وانما سمي الصديق صديقا لما يرجى من

---

(١) جمع فرسن وهو بمنزلة الحافر

نفعه وسمى العـدوّعدوا لما يخـاف من ضرره والعاقل اذا رجا نفع العدو أظهرله الصداقة واذا خاف ضر الصديق أظهرله العداوة ألا ترى تتبع البهائم أمهاتها رجاء ألبانها فاذا انقطع ذلك انصرفت عنها وربما قطع الصديق عن صديقه بعض ما كان يصله فلم يخف شره لان أصل أمره لم يكن عداوة فأما من كان أصل أمره عداوة جوهرية ثم أحدث صداقة لحاجة حملته على ذلك فانه اذا زالت الحاجة التي حملتـه على ذلك زالت صداقتـه فتحولت عداوة وصار الى أصل أمره كالماء الذي يسخن بالنـار فاذا رفع عنها عاد باردا وليس من أعدائى عدو أضر لى منـك وقد اضطرنى واياك حاجة الى ما أحـدثنا من المصـالحة وقد ذهب الامر الذى احتجت الى واحتجت اليك فيـه وأخاف أن يكون مع ذهـابه عود العـداوة ولا خير للضعيف فى قرب العـدو القوى ولا للذليل فى قرب العـدو العزيز ولا أعلم لك قبلى حاجة الا أن تكون تريد أكلى ولا أعلم لى قبلك حاجة وليس عندى بك ثقة فانى قد علمت أن الضعيف المحترس من العدو القوى أقرب الى السـلامة من القوى اذا اغتر بالضـعيف واسترسل اليه والعاقل يصالح عدوه اذا اضطر اليه ويصانعه ويظهر له وده ويريه من نفسـه الاسترسال اليه اذا لم يجد من ذلك بدا ثم يعجل الانصراف عنـه حين يجد الى ذلك سـبيلا واعلم أن سريع الاسـترسال لا تقال عثرته والعاقل يفى لمن صالحه من أعدائه بما جعل له من نفسه ولا يثق به كل الثقة ولا يأمنه على نفسه مع القرب منه وينبغى أن يبعد عنه ما استطاع وأنا أودك من بعيد وأحب لك من البقاء والسلامة ما لم أكن أحبه لك من قبل ولا عليك أن تجازينى على صنيعى الا بمثل ذلك اذ لا سبيل الى اجتماعنا والسلام .

(انقضى باب الجرذ والسنور)

باب ابن الملك والطائر فنزة

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثل أهل الترات(١) الذين لا بد لبعضهم من اتقاء بعض قال بيدبا زعموا أن ملكا من ملوك الهند كان يقال له بَرِيدُون وكان له طائر يقال له فنزة وكان له فرخ وكان هذا الطائر وفرخه ينطقان بأحسن منطق وكان الملك بهما معجبا فأمر بهما أن يجعلا عند امرأته وأمرها بالمحافظة عليهما واتفق أن امرأة الملك ولدت غلاما فألف الفرخ الغلام وكلاهما طفلان يلعبان جميعا وكان فنزة يذهب الى الجبل كل يوم فيأتى بفاكهة لا تعرف فيطعم ابن الملك شطرها ويطعم فرخه شطرها فأسرع ذلك فى نشأتهما وزاد فى شبابهما وبان عليهما أثره عند الملك فازداد لفنزة اكراما وتعظيما ومحبة حتى اذا كان يوم من الايام وفنزة غائب فى اجتناء الثمرة وفرخه فى حجر الغلام ذرق فى حجره فغضب الغلام وأخذ الفرخ فضرب به الارض فمات ثم ان فنزة أقبل فوجد فرخه مقتولا فصاح وحزن وقال قبحا للملوك الذين لا عهد لهم ولا وفاء ويل لمن ابتلى بصحبة الملوك الذين لا حمية لهم ولا حرمة ولا يحبون أحدا ولا يكرم عليهم الا اذا طمعوا فيما عنده من غناء واحتاجوا الى ما عنده من علم فيكرمونه لذلك فاذا ظفروا بحاجتهم منه فلا ود ولا اخاء ولا احسان ولا غفران ذنب ولا معرفة حق هم الذين أمرهم مبنى على الرياء والفجور وهم يستصغرون ما يرتكبونه من عظيم الذنوب ويستعظمون اليسير اذا خولفت فيه أهواؤهم ومنهم هذا الكفور الذى لا رحمة له الغادر بأليفه وأخيه ثم وثب فى شدة حنقه على وجه الغلام ففقأ عينه وطار فوقع على شرفة المنزل ثم انه بلغ الملك ذلك

---

(١) جمع ترة وهى الثأر وجمعه أثآر وآثار

بجزع أشد الجزع ثم طمع أن يحتال له فوقف قريبا منه وناداه وقال له انك آمن فانزل يا فنزة فقال له أيها الملك ان الغادر مأخوذ بغدره وانه ان أخطأه عاجل العقوبة لم يخطئه الآجل حتى انه يدرك الأعقاب وأعقاب الأعقاب وان ابنك غدر بابني فعجلت له العقوبة قال الملك لعمري قد غدر بابنك فانتقمت منا فليس لك قبلنا ولا لنا قبلك وتر مطلوب فارجع الينا آمنا قال فنزة لست براجع اليك أبدا فان ذوى الرأى قد نهوا عن قرب الموتور(١) فانه لا يزيدك لطف الحقود ولينه وتكرمته اياك الا وحشة منه وسوء ظن به فانك لا تجد للحقود الموتور أمانا هو أوثق لك من الذعر منه ولا أجود من البعد عنه والاحتراس منه أولى وقد كان يقال ان العاقل يعد أبويه أصدقاء والاخوة رفقاء والازواج ألفاء والبنين ذكرا والبنات خصماء والاقارب غرماء ويعد نفسه فريدا وأنا الفريد الوحيد الغريب الطريد قد تزودت من عندكم من الحزن عبأ ثقيلا لا يحمله معي أحد وأنا ذاهب فعليك مني السلام

قال له الملك انك لو لم تكن اجتزيت منا فيما صنعناه بك بل كان صنيعك بنا من غير ابتداء منا بالغدر كان الامر كما ذكرت وأما اذ كنا نحن بدأناك فما ذنبك وما الذى يمنعك من الثقة بنا هلم فارجع فانك آمن قال فنزة اعلم ان الأحقاد لها فى القلوب مواقع ممكنة موجعة فالالسن لا تصدق فى خبرها عن القلوب والقلب أعدل شهادة من اللسان على القلب وقد علمت أن قلبى لا يشهد للسانك ولا قلبك للسانى قال الملك ألم تعلم أن الضغائن والأحقاد تكون بين كثير من الناس فمن كان ذا عقل كان على إماتة الحقد أحرص منه على تربيته قال فنزة ان ذلك لكما ذكرت ولكن ليس ينبغى لذى الرأى مع ذلك أن يظن أن الموتور الحقود ناس ما وتر به ولا مصروف عنه فكره فيه وذو الرأى يتخوف

---

(١) من قتل له قتيل فلم يدرك بدمه

المكر والخديعة والحيل ويعلم أن كثيرا من العدو لا يستطاع بالشدة
والمكابرة حتى يصاد بالرفق والملاينة كما يصاد الفيل الوحشي بالفيل الداجن
قال الملك ان العاقل الكريم لا يترك إلفه ولا يقطع اخوانه ولا يضيع الحفاظ
وان هو خاف على نفسه حتى ان هذا الخلق يكون في أوضع الدواب منزلة فقد
علمت أن اللعابين يلعبون بالكلاب ثم يذبحونها ويأكلونها ويرى الكلب
الذي قد ألفهم ذلك فلا يدعوه الى مفارقتهم ولا يمنعه من ألفته اياهم قال فنزة
ان الاحقاد مخوفة حيثما كانت فأخوفها وأشدها ما كان في أنفس الملوك
فان الملوك يدينون بالانتقام ويرون الدَّرَكَ والطلب بالوتر مَكْرُمَةً وفخرا وان
العاقل لا يغتر بسكون الحقد اذا سكن فانما مثل الحقد في القلب اذا لم يجد
محركا مثل الجمر المكنون ما لم يجد حطبا فليس ينفك الحقد متطلعا الى العلل
كما تبتغي النار الحطب فاذا وجد علة استعر استعار النار فلا يطفئه حسن
كلام ولا لين ولا رفق ولا خضوع ولا تضرع ولا مصانعة ولا شيء دون تلف
الانفس مع أنه رب واتر يطمع في مراجعة الموتور بما يرجو أن يقدر عليه
من النفع له والدفع عنه ولكني أنا أضعف عن أن أقدر على شيء يذهب به
ما في نفسك ولو كانت نفسك منطوية لي على ما تقول ما كان ذلك عني مغنيا
ولا أزال في خوف وَوَحشة وسوء ظن ما اصطحبنا فليس الرأي بيني وبينك
الا الفراق وأنا أقرأ عليك السلام

قال الملك لقد علمت أنه لا يستطيع أحد لأحد ضرا ولا نفعا وانه لا شيء
من الاشياء صغيرا ولا كبيرا يصيب أحدا الا بقضاء وقدر معلوم وكما أن
خلق ما يخلق وولادة ما يولد وبقاء ما يبقى ليس الى الخلائق منه شيء كذلك
فناء ما يفنى وهلاك ما يهلك وليس لك في الذي صنعت بابني ذنب ولا لابني
فيما صنع بابنك ذنب إنما كان ذلك كله قدرا مقدورا وكلانا له علة فلا نؤاخذ

بما أتانا به القدر قال فنزة ان القدر لكما ذكرت لكن لا يمنع ذلك الحازم من توقى المخاوف والاحتراس من المكاره ولكنه يجمع تصديقا بالقدر وأخذا بالحزم والقوة وأنا أعلم أنك تكلمني بغير ما في نفسك والامر بيني وبينك غير صغير لان ابنك قتل ابني وأنا فقأت عين ابنك وأنت تريد أن تشتفي بقتلي وتختلني عن نفسي والنفس تأبى الموت وقد كان يقال الفاقة بلاء والحزن بلاء وقرب العدو بلاء وفراق الاحبة بلاء والسقم بلاء والهرم بلاء ورأس البلايا كلها الموت وليس أحد بأعلم بما في نفس الموجع الحزين ممن ذاق مثل ما به فأنا بما في نفسي عالم بما في نفسك للمثل الذى عندى من ذلك ولا خير لى في صحبتك فانك لن تتذكر صنيعي بابنك ولن أتذكر صنيع ابنك بابنى الا أحدث ذلك لقلوبنا تغييرا

قال الملك لا خير فيمن لا يستطيع الاعراض عما في نفسه وينساه ويهمله حتى لا يذكر منه شيأ ولا يكون له في نفسه موقع قال فنزة ان الرجل الذى في باطن قدمه قرحة ان هو حرص على المشى فلا بد أنه لا يزال يشتكى قرحته والرجل الأرمد العين اذا استقبل بها الريح تعرض لأن تزداد رمدا وكذلك الواتر اذا دنا من الموتور فقد عرض نفسه للهلاك ولا ينبغى لصاحب الدنيا الا توقى المهالك والمتالف وتقدير الامور وقلة الاتكال على الحول والقوة وقلة الاغترار بمن لا يأمن فانه من اتكل على قوته فحمله ذلك على أن يسلك الطريق المخوف فقد سعى في حتف نفسه ومن لا يقدر لطاقته طعامه وشرابه وحمل نفسه ما لا تطيق ولا تحمل فقد قتل نفسه ومن لا يقدر لقمته وعظمها فوق ما يسع فوه فربما غص بها فمات ومن اغتر بكلام عدوه وانخدع له وضيع الحزم فهو أعدى لنفسه من عدوه وليس لاحد النظر في القدر الذى لا يدرى ما يأتيه منه ولا ما يصرف عنه

ولكن عليه العمل بالحزم والاخذ بالقوة ومحاسبة نفسه فى ذلك والعاقل لا يثق باحد ما استطاع ولا يقيم على خوف وهو يجد عنه مذهبا وانا كثير المذاهب وأرجو أن لا أذهب وجها الا اصبت فيه ما يغنينى فان خلالا خمسا من تزودهن كفينه فى كل وجه وآنسنه فى كل غربة وقربن له البعيد وأكسبنه المعاش والاخوان أولهن كف الاذى والثانية حسن الادب والثالثة مجانبة الريب والرابعة كرم الخلق والخامسة النبل فى العمل واذا خاف الانسان على نفسه شيأ طابت نفسه عن المال والاهل والولد والوطن فانه يرجو الخلف من ذلك كله ولا يرجو عن النفس خلفا وشر المال ما لا انفاق منه وشر الازواج التى لا تواتى بعلها وشر الولد العاصى العاق لوالديه وشر الاخوان الخاذل لأخيه عند النكبات والشدائد وشر الملوك الذى يخافه البرىء ولا يواظب على حفظ أهل مملكته وشر البلاد بلاد لا خصب فيها ولا أمن وانه لا أمن لى عندك أيها الملك ولا طمأنينة لى فى جوارك ثم ودع الملك وطار فهذا مثل ذوى الاوتار الذين لا ينبغى لبعضهم أن يثق ببعض.

(انقضى باب ابن الملك والطائر)

باب الاسد وابن آوى

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثل الملك الذى يراجع [١] من اصابته منه عقوبة من غير جرم أو جفوة من غير ذنب قال الفيلسوف ان الملك لو لم يراجع من اصابته منه جفوة عن ذنب أو عن غير ذنب ظلم أو لم يظلم لأضر ذلك بالامور ولكن الملك حقيق أن ينظر فى حال من ابتلى بذلك ويخبر ما عنده من المنافع فان كان ممن يوثق به فى رأيه

---

(١) يعاود

وأمانتــه فان الملك حقيق بالحرص على مراجعته فان الملك لا يستطاع ضبطه الا مع ذوى الرأى وهم الوزراء والاعوان ولا ينتفع بالوزراء والاعوان الا بالمودة والنصيحة ولا مودة ولا نصيحة الا لذوى الرأى والعفاف وأعمال السلطان كثيرة والذين يحتاج اليهم من العمال والاعوان كثيرون ومن يجمع منهم ماذكرت من النصيحة والعفاف قليل والمثل فى ذلك مثل الاسد وابن آوى قال الملك وكيف كان ذلك

قال الفيلسوف زعموا أن ابن آوى كان يسكن فى بعض الدحال[1] وكان متزهدا متعففا مع بنات آوى وذئاب وثعالب ولم يكن يصنع ما يصنعن ولا يغير كما يغرن ولا يهرق دما ولا يأكل لحما فخاصمه تلك السباع وقلن لا نرضى بسيرتك ولا رأيك الذى أنت عليه من تزهدك مع أن تزهدك لا يغنى عنك شيأ وأنت لا تستطيع أن تكون الا كأحدنا تسعى معنا وتفعل فعلنا فما الذى كفك عن الدماء وعن أكل اللحم قال ابن آوى ان صحبتى اياكن لا تؤثمنى اذا لم أوثم نفسى لان الآثام ليست من قبل الاماكن والاصحاب ولكنها من قبل القلوب والاعمال ولو كان صاحب المكان الصالح يكون عمله فيه صالحا وصاحب المكان السيئ يكون عمله فيه سيئا كان حينئذ من قتل الناسك فى محرابه لم يأثم ومن استحياه فى معركة القتال أثم وانى انما صحبتكن بنفسى ولم أصحبكن بقلبى وأعمالى لأنى أعرف ثمرة الاعمال فلزمت حالى وثبت ابن آوى على حاله تلك واشتهر بالنسك والتزهد حتى بلغ ذلك أسدا كان ملك تلك الناحية فرغب فيه لما بلغه عنه من العفاف والنزاهة والزهد والامانة فارسل اليه يستدعيه فلما حضر كلمه وآنسه فوجده فى جميع الامور وفق غرضه ثم دعاه بعد أيام الى صحبته وقال له تعلم أن عمالى كثير وأعوانى

---

(١) نقب ضيق فمه متسع أسفله

جم غفير وأنا مع ذلك الى الاعوان محتاج وقد بلغني عنك عفاف وأدب وعقل ودين فازددت فيك رغبة وأنا موليك من عملي جسيما ورافعك الى منزلة شريفة وجاعلك من خاصتي قال ابن آوى ان الملوك أحقاء باختيار الاعوان فيما يهتمون به من أعمالهم وأمورهم وهم أحرى أن لا يكرهوا على ذلك أحدا فان المكره لا يستطيع المبالغة في العمل واني لعمل السلطان كاره وليس لي به تجربة ولا بالسلطان رفق وأنت ملك السباع وعندك من أجناس الوحوش عدد كثير فيهم أهل نُبل وقوة ولهم على العمل حرص وعندهم به وبالسلطان رفق فان استعملتهم أغنوا عنك واغتبطوا لانفسهم بما أصابهم من ذلك قال الاسد دع عنك هذا فاني غير معفيك من العمل قال ابن آوى انما يستطيع خدمة السلطان رجلان لست بواحد منهما إما فاجر مصانع ينال حاجته بفجوره ويسلم بمصانعته وإما مغفل لا يحسده أحد فمن أراد أن يخدم السلطان بالصدق والعفاف فلا يخلط ذلك بمصانعته وحينئذ قل أن يسلم على ذلك لانه يجتمع عليه عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد أما الصديق فينافسه في منزلته ويبغي عليه فيها ويعاديه لاجلها وأما عدو السلطان فيضطغن عليه لنصيحته لسلطانه واغنائه عنه فاذا اجتمع عليه هذان الصنفان فقد تعرض للهلاك قال الاسد لا يكونن بغي أصحابي عليك وحسدهم اياك مما يعرض في نفسك فأنت معي وأنا أكفيك ذلك وأبلغ بك من درجات الكرامة والاحسان على اقدر همتك قال ابن آوى ان كان الملك يريد الاحسان الي فليدعني في هذه البرية أعيش آمنا قليل الهم راضيا بعيشي من الماء والعشب فاني قد علمت أن صاحب السلطان يصل اليه من الاذى والخوف في ساعة واحدة ما لا يصل الى غيره في طول عمره وان قليلا من العيش في أمن وطمأنينة خير من كثير من العيش في خوف ونصب. قال الاسد قد سمعت مقالتك فلا تخف شيأ مما أراك

تخاف منــه واست أجد بدّا من الاستعانة بك فى أمرى قال ابن آوى أما اذا أبى الملك الاذلك فليجعل لى عهدا ان بغى على أحد من أصحابه عنــده ممن هو فوقى مخافة على منزلته أوممن هو دونى لينازعنى فى منزلتى فذكر عند الملك منهم ذاكر بلسانه أو على لسان غيره ما يريد به تحميل الملك على أن لا يعجل فى أمرى وان يتثبت فيما يرفع اليــه ويذكر عنــده من ذلك ويفحص عنه ثم ليصنع ما بداله فاذا وثقت منــه بذلك أعنته بنفسى فيما يحب وعملت له فيما أولانى بنصيحة واجتهاد وحرصت على أن لا أجعل له على نفسى سبيلا قال الاسد لك ذلك علىّ وزيادة ثم ولاه خزائنه واختص به دون أصحابه وزاد فى كرامته

فلما رأى أصحاب الاســد ذلك غاظهم وساءهم فأجمعوا كيدهم واتفقوا كلهم على أن يحملوا عليه الاسد وكان الاسد قد استطاب لحما فعزل منه مقدارا وأمره بالاحتفاظ به وأن يرفعه فى أحصن موضع طعامه وأحرزه ليعاد عليه فأخذوه من موضعه وحملوه الى بيت ابن آوى فَخَبَّؤُهُ فيه ولا علم له به ثم حضروا يكذبونه ان جرت فى ذلك حال فلما كان من الغد ودعا الاسد بغدائه فقد ذلك اللحم فالتمسه ولم يجده وابن آوى لم يشعر بما صنع فى حقه من المكيدة فحضر الذين عملوا المكيدة وقعدوا فى المجلس ثم ان الملك سأل عن اللحم وشدّد فيــه وفى المسألة عنه فنظر بعضهم الى بعض فقال أحــدهم قول المخبر الناصح انه لا بد لنا من أن نخبر الملك بما يضره و ينفعه وان شق ذلك على من يشق عليه وانه بلغنى أن ابن آوى هو الذى ذهب باللحم الى منزله قال الآخر لا أراه يفعل هــذا ولكن انظروا وافحصوا فان معرفة الخلائق شــديدة فقال الآخر لعمــرى ما تكاد السرائر أن تعرف وأظنكم ان فحصتم عن هــذا وجدتم اللحم ببيت ابن آوى وكل شئ يذكر من عيوبه وخيانته نحن أحق أن نصدقه قال الآخر لئن وجدناه هــذا حقا فليست بالخيانة فقط ولكن مع الخيانة كفر النعمة والجراءة

على الملك قال الآخر أنتم أهل العدل والفضل لا أستطيع أن أكذبكم ولكن سيبين هذا لو أرسل الملك الى بيته من يفتشه . قال آخر ان كان الملك مفتشا منزله فليعجل فان عيونه وجواسيسه مبثوثة بكل مكان ولم يزالوا فى هذا الكلام وأشباهه حتى وقع فى نفس الاسد ذلك فأمر بابن آوى فحضر فقال له أين اللحم الذى أمرتك بالاحتفاظ به قال دفعته الى صاحب الطعام ليقربه الى الملك فدعا الاسد بصاحب الطعام وكان ممن شايع وبايع مع القوم على ابن آوى فقال ما دفع الى شيأ فارسل الاسد أمينا الى بيت ابن آوى ليفتشه فوجد فيه ذلك اللحم فأتى به الاسد فدنا من الاسد ذئب لم يكن تكلم فى شئ من ذلك وكان يظهر أنه من العدول الذين لا يتكلمون فيما لا يعلمون حتى يتبين لهم الحق فقال بعد أن اطلع الملك على خيانة ابن آوى فلا يعفون عنه فانه ان عفا عنه لم يطلع الملك بعدها على خيانة خائن ولا ذنب مذنب فأمر الاسد بابن آوى أن يخرج ويحتفظ به فقال بعض جلساء الملك انى لأعجب من رأى الملك ومعرفته بالامور كيف يخفى عليه أمر هذا ولم يعرف خبه ومخادعته وأعجب من هذا أنى أراه سيصفح عنه بعد الذى ظهر منه فارسل الاسد بعضهم رسولا الى ابن آوى يلتمس منه العذر فرجع اليه الرسول برسالة كاذبة اخترعها فغضب الاسد من ذلك وأمر بابن آوى أن يقتل فعلمت أم الاسد أنه قد عجل فى أمره فارسلت الى الذين أمروا بقتله أن يؤخروه ودخلت على ابنها فقالت يا بنى بأى ذنب أمرت بقتل ابن آوى فأخبرها بالامر فقالت يا بنى عجلت وانما يسلم العاقل من الندامة بترك العجلة وبالتثبت والعجلة لا يزال صاحبها يجتنى ثمرة الندامة بسبب ضعف الرأى وليس أحد أحوج الى التؤدة والتثبت من الملوك فان المرأة بزوجها والولد بوالديه والمتعلم بالمعلم والجند بالقائد والناسك بالدين والعامة بالملوك والملوك بالتقوى والتقوى بالعقل والعقل

بالتثبت والأناة ورأس الكل الحزم ورأس الحزم للملك معرفة أصحابه وانزالهم منازلهم على طبقاتهم واتهامه بعضهم على بعض فانه لو وجد بعضهم الى هلاك بعض سبيلا لفعل وقد جربت ابن آوى وبلوت رأيه وأمانته ومروءته ثم لم تزل ماد حاله راضيا عنه وليس ينبغي للملك أن يستخونه بعد ارتضائه اياه وائتمانه له ومنذ مجيئه الى الآن لم يطلع له على خيانة الا على العفة والنصيحة وما كان من رأى الملك أن يعجل عليه لاجل طابق لحم وأنت أيها الملك حقيق أن تنظر فى حال ابن آوى لتعلم انه لم يكن ليتعرض للحم استودعته اياه ولعل الملك ان فحص عن ذلك ظهر له أن ابن آوى له خصماء هم الذين ائتمروا بهذا الامر وهم الذين ذهبوا باللحم الى بيته فوضعوه فيه فان الحدأة اذا كان فى رجلها قطعة لحم اجتمع عليها سائر الطير والكلب اذا كان معه عظم اجتمعت عليه الكلاب وابن آوى منذ كان الى اليوم نافع وكان محتملا لكل ضرر فى جنب منفعة تصل اليك ولكل عناء يكون لك فيه راحة ولم يكن يطوى دونك سرا

فبينما أم الاسد تقص عليه هذه المقالة اذ دخل على الاسد بعض ثقاته فأخبره ببراءة ابن آوى فقالت أم الاسد بعد أن اطلع الملك على براءة ابن آوى ان الملك حقيق أن لا يرخص لمن سعى به لئلا يتجرؤا على ما هو أعظم من ذلك بل يعاقبهم عليه لكيلا يعودوا الى مثله فانه لا ينبغى للعاقل أن يراجع فى أمر الكفور للحسنى الجرىء على الغدر الزاهد فى الخير الذى لا يوقن بالآخرة و ينبغى أن يجزى بعمله وقد عرفت سرعة الغضب وفرط الهفوة ومن سخط باليسير لم يبلغ رضاه بالكثير والاولى لك أن تراجع ابن آوى وتعطف عليه ولا تؤيسك من مناصحته ما فرط منك اليه من الاساءة فان من الناس من لا ينبغى تركه على حال من الاحوال وهو من عرف بالصلاح والكرم وحسن العهد

والشكر والوفاء والمحبة للناس والسلامة من الحسد والبعد من الاذى والاحتمال للاخوان والاصحاب وان ثقلت عليه منهم المؤنة وأما من ينبغي تركه فهو من عرف بالشراسة ولؤم العهد وقلة الشكر والوفاء والبعد من الرحمة والورع واتصف بالجحود لثواب الآخرة وعقابها وقد عرفت ابن آوى وجربته وأنت حقيق بمواصلته

فدعا الاسد بابن آوى واعتذر اليه مما كان منه ووعده خيرا وقال انى معتذر اليك وراد لك الى منزلتك فقال ابن آوى ان شر الأخلاء من التمس منفعة نفسه بضر أخيه ومن كان غير ناظر له كنظره لنفسه أو كان يريد أن يرضيه بغير الحق لاجل اتباع هواه وكثيرا ما يقع ذلك بين الأخلاء وقد كان من الملك الى ما علم فلا يغلظن على نفسه ما أخبره به أني به غير واثق وانه لا ينبغي لى أن أصحبه فان الملوك لا ينبغي أن يصحبوا من عاقبوه أشد العقاب ولا ينبغي لهم أن يرفضوه أصلا فان ذا السلطان اذا عزل كان مستحقا الكرامة في حالة ابعاده والاقصاء له فلم يلتفت الاسد الى كلامه ثم قال له انى قد بلوت طباعك وأخلاقك وجربت أماناتك ووفاءك وصدقك وعرفت كذب من تحمل الحيل لتحميلى عليك وانى منزلك من نفسى منزلة الاخيار الكرماء والكريم تنسيه الخلة الواحدة من الاحسان الخلال الكثيرة من الاساءة وقد عدنا الى الثقة بك فعد الى الثقة بنا فانه لنا ولك بذلك غبطة وسرور فعاد ابن آوى الى ولاية ما كان يلى وضاعف له الملك الكرامة ولم تزده الايام الا تقربا من السلطان . (انقضى باب الاسد وابن آوى)

باب ايلاذ و بلاذ وايراخت

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثلا في الاشياء التي يجب على الملك أن يلزم بها نفسه و يحفظ ملكه و يثبت سلطانه و يكون ذلك رأس أمره وملاكه أبالحلم أم بالمروءة أم بالشجاعة أم بالجود قال بيدبا ان أحق ما يحفظ به الملك ملكه الحلم وبه تثبت السلطنة والحلم رأس الامور وملاكها وأجود ما كان في الملوك كالذي زعموا من أنه كان ملك يدعى بلاذ وكان له وزير يدعى ايلاذ وكان متعبدا ناسكا فنام الملك ذات ليلة فرأى في منامه ثمانية أحلام أفزعته واستيقظ مرعوبا فدعا البراهمة وهم النساك ليعبروا رؤياه فلما حضروا بين يديه قص عليهم ما رأى فقالوا بأجمعهم لقد رأى الملك عجبا فان أمهلنا سبعة أيام جئناه بتأويله قال الملك قد أمهلتكم فخرجوا من عنده ثم اجتمعوا في منزل أحدهم وائتمروا بينهم قالوا قد وجدتم علما واسعا تدركون به ثأركم وتنتقمون به من عدوكم وقد علمتم أنه قتل منا بالامس اثنى عشر ألفا وها هو قد أطلعنا على سره وسألنا تفسير رؤياه فهلموا نغلظ له القول ونخوفه حتى يحمله الفرق والجزع على أن يفعل الذي نريد ونأمره فنقول ادفع الينا أحباءك ومن يكرم عليك حتى نقتلهم فانا قد نظرنا في كتبنا فلم نر أن يدفع عنك ما رأيت لنفسك وما وقعت فيه من هذا الشر الا بقتل من نسمي لك فان قال الملك ومن تريدون أن تقتلوا سموهم لي قلنا نريد الملكة ايراخت أم جوير المحمودة أكرم نسائك عليك ونريد جوير أحب بنيك اليك وأفضلهم عندك ونريد ابن أخيك الكريم وايلاذ خليلك وصاحب أمرك ونريد كالا الكاتب صاحب سرك وسيفك الذي لا يوجد مثله والفيل الأبيض الذي لا تلحقه الخيل والفرس الذي هو مركبك في القتال ونريد الفيلين الآخرين العظيمين اللذين يكونان مع الفيل الذكر ونريد البختي

السريع القوى ونريد كباريونَ الحكيم الفاضل العالم بالامور لننتقم منه بما فعل بنا ثم نقول انما ينبغى لك أيها الملك أن تقتل هؤلاء الذين سميناهم لك ثم تجعل دماءهم فى حوض تملؤه ثم تقعد فيه فاذا خرجت من الحوض اجتمعنا نحن معاشر البراهمة من الآفاق الاربعة نحول حولك فنرقيك ونتفل عليك ونمسح عنك الدم ونغسلك بالماء والدهن الطيب ثم تقوم الى منزلك البهى فيدفع الله بذلك البلاء الذى نتخوفه عليك فان صبرت أيها الملك وطابت نفسك عن أحبائك الذين ذكرناك وجعلتهم فداءك تخلصت من البلاء واستقام لك ملكك وسلطانك واستخلفت من بعدهم من أحببت وان أنت لم تفعل تخوفنا عليك أن يغصب ملكك أو تهلك فان هو أطاعنا فيما نأمره قتلناه أى قتلة شئنا

فلما أجمعوا أمرهم على ما ائتمروا به رجعوا اليه فى اليوم السابع وقالوا له أيها الملك انا نظرنا فى كتبنا فى تفسير ما رأيت وفحصنا عن الرأى فيما بيننا فليكن لك أيها الملك الطاهر الصالح الكرامة . ولسنا نقدر أن نعلمك بما رأينا الآن تخلو بنا فأخرج الملك من كان عنده وخلا بهم فحدثوا بالذى ائتمروا به فقال لهم الموت خير لى من الحياة ان أنا قتلت هؤلاء الذين هم عديل نفسى وأنا ميت لا محالة والحياة قصيرة ولست كل الدهر ملكا وان الموت عندى وفراق الاحباء سواء قال له البَرْهَمِيُّونَ ان أنت لم تغضب أخبرناك فأذن لهم فقالوا أيها الملك انك لم تقل صوابا حين تجعل نفس غيرك أعز عندك من نفسك فاحتفظ بنفسك وملكك واعمل هذا الذى لك فيه الرجاء العظيم على ثقة ويقين وقرّ عينا بملكك فى وجوه أهل مملكتك الذين شرفت وكرمت بهم ولا تدع الامر العظيم وتأخذ بالضعيف فتهلك نفسك ايثارا لمن تحب واعلم أيها الملك أن الانسان انما يحب الحياة محبة لنفسه وانه لا يحب

من أحب من الاحباب الاليتمتع بهم في حياته واعما قوام نفسك بعد الله تعالى بملكك وانك لم تنل ملكك الا بالمشقة والعناء الكثير في الشهور والسنين وليس ينبغي أن ترفضه ويهون عليك فاستمع كلامنا فانظر لنفسك منا ها ودع ما سواها فانه لاخطر له فلما رأى الملك أن البرهميين قد أغلظوا له في القول واجترؤا عليه في الكلام اشتد غمه وحزنه وقام من بين ظهرانيهم ودخل الى حجرته فخر على وجهه يبكي ويتقلب كما تتقلب السمكة اذا خرجت من الماء وجعل يقول في نفسه ما أدرى أى الامرين أعظم في نفسي الهلكة أم قتل أحبائي ولن أنال الفرح ما عشت وليس ملكي بباق على الى الأبد ولست بالمصيب سؤلي في ملكي واني لزاهد في الحياة اذا لم أر ايراخت وكيف أقدر على القيام بملكي اذا هلك وزيري ايلاذ وكيف أضبط أمرى اذا هلك فيلي الابيض وفرسي الجواد وكيف أدعى ملكا وقد قتلت من أشار البراهمة بقتله وما أصنع بالدنيا بعدهم ثم ان الحديث فشا في الارض بحزن الملك وهمه فلما رأى ايلاذ ما نال الملك من الهم والحزن فكر بحكمته ونظر وقال ما ينبغي لي أن أستقبل الملك فاسأله عن هذا الامر الذى قد ناله من غير أن يدعوني ثم انطلق الى ايراخت فقال اني منذ خدمت الملك الى الآن لم يعمل عملا الا بمشورتي ورأيي وأراه يكتم عني أمرا لا أعلم ما هو ولا أراه يظهر منه شيأ واني رأيته خاليا مع جماعة البرهميين منذ ليال وقد احتجب عنا فيها وأنا خائف أن يكون قد أطلعهم على شئ من أسراره فلست آمنهم أن يشيروا عليه بما يضره ويدخل عليه منه السوء فقومي وادخلي عليه فاسأليه عن أمره وشأنه وأخبريني بما هو عليه وأعلميني فاني لست أقدر على الدخول عليه فلعل البرهميين قد زينوا له أمرا وحملوه على خطة قبيحة وقد علمت أن من خلق الملك انه اذا غضب لا يسأل أحدا وسواء عنده صغير الامور وكبيرها

فقالت ايراخت انه كان بيني و بين الملك بعض العتاب فلست بداخلة عليه في هذه الحال فقال لها ايلاذ لا تحملي عليه الحقد في مثل هذا ولا يخطرن ذلك على بالك فليس يقدر على الدخول عليه أحد سواك وقد سمعته كثيرا يقول ما اشتد غمي ودخلت علي ايراخت الاسرى ذلك عني فقومي اليه واصفحي عنه وكلميه بما تعلمين أنه تطيب به نفسه ويذهب الذي يجده وأعلميني بما يكون جوابه فانه لنا ولاهل المملكة أعظم الراحة فانطلقت ايراخت فدخلت على الملك فجلست عند رأسه فقالت ما الذي بك أيها الملك المحمود وما الذي سمعت من البراهمة فانى أراك محزونا فأعلمني ما بك فقد ينبغي لنا أن نحزن معك ونواسيك بأنفسنا فقال الملك أيتها السيدة لا تسأليني عن أمري فتزيديني غما وحزنا فانه أمر لا ينبغي أن تسأليني عنه قالت أوقد نزلت عندك منزلة من يستحق هذا انما أحد الناس عقلا من اذا نزلت به النازلة كان لنفسه أشد ضبطا وأكثرهم استماعا من أهل النصح حتى ينجو من تلك النازلة بالحيلة والعقل والبحث والمشاورة فعظيم الذنب لا يقنط من الرحمة ولا تدخلن عليك شيأ من الهم والحزن فانهما لا يردان شيأ مقضيا الا أنهما ينحلان الجسم ويشفيان العدو قال لها الملك لا تسأليني عن شيء فقد شققت(١) علي والذي تسأليني عنه لا خير فيه لان عاقبته هلاكي وهلاكك وهلاك كثير من أهل مملكتي ومن هو عديل نفسي وذلك أن البراهمة زعموا أنه لا بد من قتلك وقتل كثير من أهل مودتي ولا خير في العيش بعدكم وهل أحد يسمع بهذا الا اعتراه الحزن

فلما سمعت ذلك ايراخت جزعت ومنعها عقلها أن تظهر للملك جزعا فقالت أيها الملك لا تجزع فنحن لك الفداء ولك في سواي ومثلي من الجواري

---

(١) أوقعتني في المشقة

ماتقربه عينك ولكني أطلب منك أيها الملك حاجة يحملني على طلبتها حبي لك وايثاري اياك وهي نصيحتي لك قال الملك وماهي قالت أطلب منك أن لاتثق بعدها بأحد من البراهمة ولاتشاورهم في أمر حتى تتثبت في أمرك ثم تشاور فيه ثقاتك مرارا فان القتل أمر عظيم ولست تقدر على أن تحيي من قتلت وقد قيل في الحديث اذا لقيت جوهر الاخير فيه فلا تلقه من يدك حتى تريه من يعرفه وأنت أيها الملك لاتعرف أعداءك واعلم أن البراهمة لايحبونك وقد قتلت منهم بالامس اثني عشر ألفا ولاتظن أن هؤلاء ليسوا من أولئك ولعمري ما كنت جديرا أن تخبرهم برؤياك ولا أن تطلعهم عليها وانما قالوا لك ماقالوا لاجل الحقد الذي بينك وبينهم لعلهم يهلكونك ويهلكون أحباءك ووزيرك فيبلغون قصدهم منك فأظنك لوقبلت منهم فقتلت من أشار وابقتله ظفر وابك وغلبوك على ملكك فيعود الملك اليهم كما كان فانطلق الى كباريون الحكيم فهو عالم فطن فاخبره عما رأيت في رؤياك واسأله عن وجهها وتأويلها

فلما سمع الملك ذلك سري عنه ما كان يجده من الغم فأمر بفرسه فأسرج فركبه ثم انطلق الى كباريون الحكيم فلما انتهى اليه نزل عن فرسه وسجد له وقام مطأطئا الرأس بين يديه فقال له الحكيم مابالك أيها الملك ومالي أراك متغير اللون فقال له الملك اني رأيت في المنام ثمانية أحلام فقصصتها على البراهمة وأنا خائف أن يصيبني من ذلك عظيم أمر مما سمعت من تعبيرهم لرؤياي وأخشى أن يغصب مني ملكي أو أن أغلب عليه فقال له الحكيم ان شئت فاقصص رؤياك علي فلما قص عليه الملك رؤياه قال لايحزنك أيها الملك هذا الامر ولاتخف منه أما السمكتان الحمراوان اللتان رأيتهما قائمتين على أذنابهما وانه يأتيك رسول من ملك نهاوند بعلبة فيها عقدان

من الدر والياقوت الاحمر قيمتها أربعة آلاف رطل من ذهب فيقوم بين يديك وأما الوزتان اللتان رأيتهما طارتا من وراء ظهرك فوقعتا بين يديك فانه يأتيك من ملك بلخ فرسان ليس على الارض مثلهما فيقومان بين يديك وأما الحية التى رأيتها تدب على رجلك اليسرى فانه يأتيك من ملك صنجين من يقوم بين يديك بسيف خالص الحديد لا يوجد مثله وأما الدم الذى رأيت كأنه خضب به جسدك فانه يأتيك من ملك كازرون من يقوم بين يديك بلباس معجب يسمى حلة أُرْجُوان يضىء فى الظلمة وأما ما رأيت من غسلك جسمك بالماء فانه يأتيك من ملك رهزين من يقوم بين يديك بثياب كتان من لباس الملوك وأما ما رأيت من انك على جبل أبيض فانه يأتيك من ملك كيدور من يقوم بين يديك بفيل أبيض لا تلحقه الخيل وأما ما رأيت على رأسك شبيها بالنار فانه يأتيك من ملك أرزن من يقوم بين يديك با كليل من ذهب مكلل بالدر والياقوت وأما الطير الذى رأيته ضرب رأسك بمنقاره فلست مفسرا ذلك اليوم وليس بضارك فلا توجلن منه ولكن فيه بعض السخط والاعراض عمن تحبه فهذا تفسير رؤياك أيها الملك وأما هذه الرسل والبرد فانهم يأتونك بعد سبعة أيام جميعا فيقومون بين يديك فلما سمع الملك ذلك سجد لكباريون ورجع الى منزله .

فلما كان بعد سبعة أيام جاءت البشائر بقدوم الرسل فخرج الملك فجلس على التخت وأذن للاشراف وجاءته الهدايا كما أخبره كباريون الحكيم فلما رأى الملك ذلك اشتد عجبه وفرحه من علم كباريون وقال ما وفقت حين قصصت رؤياى على البراهمة فأمرونى بما أمرونى به ولولا أن الله تعالى تداركنى برحمته لكنت قد هلكت وأهلكت وكذلك لا ينبغى لكل أحد ان يسمع الا من الاخلاء ذوى العقول . وان ايراخت أشارت بالخير فقبلته ورأيت به

النحاح فضعوا الهدية بين يديها لتأخذ منها ما اختارت ثم قال لايلاذ خذ الاكليل والثياب واحملها واتبعني بها الى مجلس النساء ثم ان الملك دعا ابراخت وحورقناه أكرم نسائه بين يديه فقال لايلاذ ضع الكسوة والاكليل بين يدي ابراخت لتأخذ أيهما شاءت فوضعت الهدايا بين يدي ابراخت فأخذت منها الاكليل وأخذت حورقناه كسوة من أفخر الثياب وأحسنها وكان من عادة الملك أن يكون ليلة عند ابراخت وليلة عند حورقناه وكان من سنة الملك أن تهيء له المرأة التي يكون عندها في ليلتها أرزا محلاة فتطعمه اياه فأتى الملك ابراخت في نوبتها وقد صنعت له ارزا فدخلت عليه بالصحفة والاكليل على رأسها فعلمت حورقناه بذلك فغارت من ابراخت فلبست تلك الكسوة ومرت بين يدي الملك وتلك الثياب تضيء عليها مع نور وجهها كما تضيء الشمس فلما رآها الملك أعجبته ثم التفت الى ابراخت فقال انك جاهلة حين أخذت الاكليل وتركت الكسوة التي ليس في خزائننا مثلها فلما سمعت ابراخت مدح الملك لحورقناه وثناءه عليها وتجهيلها هي وذم رأيها أخذها من ذلك الغيرة والغيظ فضربت بالصحفة رأس الملك فسال الأرز على وجهه فقام الملك من مكانه ودعا بايلاذ فقال له ألا ترى وأنا ملك العالم كيف حقرتني هذه الجاهلة وفعلت بي ما ترى فانطلق بها فاقتلها ولا ترحمها فخرج ايلاذ من عند الملك وقال لا أقتلها حتى يسكت عنه الغضب فالمرأة عاقلة سديدة الرأي من الملكات التي ليس لها عديل في النساء وليس الملك بصابر عنها وقد خلصته من الموت وعملت أعمالا صالحة ورجاؤنا بها عظيم ولست آمنه أن يقول لم لم تؤخر قتلها حتى تراجعني فلست قاتلها حتى أنظر رأي الملك فيها ثانية فان رأيته نادما حزينا على ما صنع جئت بها حية وكنت قد عملت عملا عظيما وأنجيت ابراخت من القتل وحفظت قلب الملك واتخذت عند عامة الناس

بذلك بدا وان رأيته فرحا مسترجحا مصوبا رأيه فى الذى فعله وأمر به فقتلها لا يفوت

ثم انطلق بها الى منزله ووكل بها خادما من أمنائه وأمره بخدمتها وحراستها حتى ينظر ما يكون من أمرها وأمر الملك ثم خضب سيفه بالدم ودخل على الملك كالكئيب الحزين فقال أيها الملك انى قد أمضيت أمرك فى ايراخت فلم يلبث الملك أن سكت عنه الغضب وذكر جمال ايراخت وحسنها واشتد أسفه عليها وجعل يعزى نفسه عنها ويتجلد وهو مع ذلك يستحى أن يسأل ايلاذ أحقا أمضى أمره فيها أم لا ورجا لما عرف من عقل ايلاذ أن لا يكون قد فعل ذلك ونظر اليه ايلاذ بفضل عقله فعلم الذى به فقال له لا تهتم ولا تحزن أيها الملك فانه ليس فى الهم والحزن منفعة ولكنهما ينحلان الجسم ويفسدانه فاصبر أيها الملك على ما لست بقادر عليه أبدا وان أحب الملك حدثته بحديث يسليه قال حدثنى

قال ايلاذ زعموا أن حمامتين ذكرا وأنثى ملأا عشهما من الحنطة والشعير فقال الذكر للانثى انا اذا وجدنا فى الصحارى ما نعيش به فلسنا نأكل مما ههنا شيأ فاذا جاء الشتاء ولم يكن فى الصحارى شئ رجعنا الى ما فى عشنا فأكلناه فرضيت الانثى بذلك وقالت له نعم ما رأيت وكان ذلك الحب نديا حين وضعاه فى عشهما فانطلق الذكر فغاب فلما جاء الصيف يبس الحب وانضمر فلما رجع الذكر رأى الحب ناقصا فقال لها أليس كنا أجمعنا رأينا على أن لا نأكل منه شيأ فلم أكلته فجعلت تحلف أنها ما أكلت منه شيأ وجعلت تعتذر اليه فلم يصدقها وجعل ينقرها حتى ماتت فلما جاءت الامطار ودخل الشتاء تندى الحب وامتلأ العش كما كان فلما رأى الذكر ذلك ندم ثم اضطجع الى جانب حمامته وقال ما ينفعنى الحب والعيش بعدك اذا طلبتك فلم أجدك ولم أقدر

عليك واذا فكرت فى أمرك وعلمت أنى قد ظلمتك ولا أقدر على تداركك ما فات ثم استمر على حزنه فلم يطعم طعاما ولا شرابا حتى مات الى جانبها والعاقل لا يعجل فى العذاب والعقوبة ولا سيما من يخاف الندامة كما ندم الحمام الذكر وقد سمعت أيضا أن رجلا دخل الجبل وعلى رأسه كارة (١) من العدس فوضع الكارة عن ظهره ليستريح فنزل قرد من شجرة فأخذ ملء كفه من العدس وصعد الى الشجرة فسقطت من يده حبة فنزل فى طلبها فلم يجدها وانتثر ما كان فى يده من العدس أجمع وأنت أيضا أيها الملك عندك ستة عشر ألف امرأة تدع أن تلهو بهن وتطلب التى لا تجد فلما سمع الملك ذلك خشى أن تكون ايراخت قد هلكت فقال لايلاذ لم لا تأنيت وتثبت بل أسرعت عند سماع كلمة واحدة فتعلقت بها وفعلت ما أمرتك به من ساعتك قال ايلاذ ان الذى قوله واحد لا يختلف هو الله الذى لا تبديل لكلماته ولا اختلاف لقوله قال الملك لقد أفسدت أمرى وشددت حزنى بقتل ايراخت قال ايلاذ اثنان ينبغى لهما أن يحزنا الذى يعمل الاثم فى كل يوم والذى لا يعمل خيرا قط لان فرحهما فى الدنيا ونعيمها قليل وندامتهما اذا يعاينان الجزاء طويلة لا يستطاع احصاؤها قال الملك لئن رأيت ايراخت حية لا أحزن على شئ أبدا قال ايلاذ اثنان لا ينبغى لهما أن يحزنا المجتهد فى البر كل يوم والذى لم يأثم قط قال الملك ما أنا بناظر الى ايراخت أكثر مما نظرت قال ايلاذ اثنان لا ينظران الاعمى والذى لا عقل له وكما أن الاعمى لا ينظر السماء ونجومها وأرضها ولا ينظر القرب والبعد كذلك الذى لا عقل له لا يعرف الحسن من القبح ولا المحسن من المسىء قال الملك لو رأيت ايراخت لاشتد فرحى قال ايلاذ اثنان هما الفرحان البصير والعالم فكما أن البصير يبصر أمور العالم وما فيه من الزيادة

---

(١) مقدار

والنقصان والقريب والبعيد فكذلك العالم يبصر البر والاثم و يعرف عمل الآخرة و يتبين له نجاته و يهتدى الى صراط مستقيم قال الملك ينبغى لنا أن نتباعد منك يا ايلاذ ونأخذ الحذر ونلزم الاتقاء قال ايلاذ اثنان ينبغى أن يتباعد منهما الذى يقول لا برّ ولا اثم ولا عقاب ولا ثواب ولا شئ على مما أنا فيه والذى لا يكاد يصرف بصره عما ليس له بمحرم ولا اذنه عن استماع السوء ولا قلبه عما تهم به نفسه من الاثم والحرص قال الملك صارت يدى من ايراخت صفرا قال ايلاذ ثلاثة أشياء أصفار النهر الذى ليس فيه ماء والارض التى ليس فيها ملك والمرأة التى ليس لها بعل قال الملك انك يا ايلاذ لتلقى بالجواب قال ايلاذ ثلاثة يلقون بالجواب الملك الذى يعطى و يقسم فى خزائنه والمرأة المهداة الى من تهوى من ذوى الحسب والرجل العالم الموفق للخير

ثم ان ايلاذ لما رأى الملك اشتد به الامر قال أيها الملك ان ايراخت بالحياة فلما سمع الملك ذلك اشتد فرحه وقال يا ايلاذ انما منعنى من الغضب ما أعرف من نصيحتك وصدق حديثك وكنت أرجو لمعرفتى بعلمك أن لا تكون قد قتلت ايراخت فانها وان كانت أتت عظيما وأغلظت فى القول فلم تأته عداوة ولا طلب مضرة ولكنها فعلت ذلك للغيرة وقد كان ينبغى لى أن أعرض عن ذلك وأحتمله ولكنك يا ايلاذ أردت أن تختبرنى وتتركنى فى شك من أمرها وقد تخذت عندى أفضل الايدى وأنا لك شاكر فانطلق فأتنى بها فخرج من عند الملك فأتى ايراخت وأمرها أن تتزين ففعلت ذلك وانطلق بها الى الملك فلما دخلت سجدت له ثم قامت بين يديه وقالت أحمد الله تعالى ثم أحمد الملك الذى أحسن الىّ قد أذنبت الذنب العظيم الذى لم أكن للبقاء أهلا بعده فوسعه حلمه وكرم طبعه و رأفته ثم أحمد ايلاذ الذى أخر امرى وأنجانى من الهلكة لعلمه برافة الملك وسعة حلمه وجوده وكرم جوهره ووفاء عهده وقال الملك

لا يلاذ ما أعظم يدك عندى وعند ايراخت وعند العامة اذ قد أحييتها بعد ما أمرت بقتلها فأنت الذى وهبها الى اليوم فانى لم أزل واثقا بنصيحتك وتدبيرك وقد ازددت اليوم عندى كرامة وتعظيما وأنت محكم فى ملكى تعمل فيه بما ترى وتحكم عليه بما تريد فقد جعلت ذلك اليك ووثقت بك قال ايلاذ أدام الله لك أيها الملك الملك والسرور فلست بمحمود على ذلك فانما أنا عبدك لكن حاجتى أن لا يعجل الملك فى الامر الجسيم الذى يندم على فعله وتكون عاقبته الغم والحزن ولاسيما فى مثل هذه الملكة الناصحة المشفقة التى لا يوجد فى الارض مثلها فقال الملك بحق قلت يا ايلاذ وقد قبلت قولك ولست عاملا بعدها عملا صغيرا ولا كبيرا فضلا عن مثل هذا الامر العظيم الذى ماسلمت منه الا بعد المؤامرة والنظر والتردد الى ذوى العقول ومشاورة أهل المودة والرأى ثم أحسن الملك جائزة ايلاذ ومكنه من أولئك البراهمة الذين أشاروا بقتل أحبابه فأطلق فيهم السيف وقرت عين الملك وعيون عظماء أهل مملكته وحمدوا الله وأثنوا على كباريون لسعة علمه وفضل حكمته لأن بعلمه خلص الملك ووزيره الصالح وامرأته الصالحة .

(انقضى باب ايلاذ وبلاذ وايراخت)

باب اللبوة[1] والاسوار[2] والشعهر

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثلا فى شأن من يدع ضر غيره اذا قدر عليه لما يصيبه من الضر ويكون له فيما ينزل به واعظ وزاجر عن ارتكاب الظلم والعداوة لغيره قال الفيلسوف انه لا يقدم على طلب ما يضر بالناس وما يسوءهم الا أهل الجهالة والسفه وسوء النظر

---

(١) الاسدة (٢) قائد الفرس

فى العواقب من أمور الدنيا والآخرة وقلة العلم بما يدخل عليهم فى ذلك من حلول النقمة وبما يلزمهم من تبعة ما اكتسبوا مما لا تحيط به العقول وان سلم بعضهم من ضرر بعض بنعمة عرضت له قبل أن ينزل به وبال ماصنع فان من لم يفكر فى العواقب لم يأمن المصائب وحقيق أن لا يسلم من المعاطب وربما اتعظ الجاهل واعتبر بما يصيبه من المضرة من الغير فارتدع عن أن يغشى أحدا بمثل ذلك من الظلم والعدوان وحصل له نفع ما كف عنه من ضرره لغيره فى العاقبة فنظير ذلك حديث اللبوة والاسوار والشعهر قال الملك وكيف كان ذلك

قال الفيلسوف زعموا أن لبوة كانت فى غيضة[١] ولها شبلان وأنها خرجت فى طلب الصيد وخلفتهما فى كهفهما فمر بهما أسوار فحمل عليهما ورماهما فقتلهما وسلخ جلديهما فاحتقبهما[٢] وانصرف بهما الى منزله ثم انها رجعت فلما رأت ما حل بهما من الامر الفظيع اضطربت ظهرا لبطن وصاحت وضجت وكان الى جنبها شعهر فلما سمع ذلك من صياحها قال لها ماهذا الذى تصنعين ومانزل بك فأخبريني به قالت اللبوة شبلاى مر بهما أسوار فقتلهما وسلخ جلديهما فاحتقبهما ونبذهما بالعراء[٣] قال لها الشعهر لا تضجى وأنصفى من نفسك واعلمى ان هذا الاسوار لم يأت اليك شيأ الا وقد كنت تفعلين بغيرك مثله وتأتين الى غير واحد مثل ذلك ممن كان يجد بحميمه ومن يعز عليه مثل ماتجدين بشبليك فاصبرى على فعل غيرك كما صبر غيرك على فعلك فانه قد قيل كما تدين تدان ولكل عمل ثمرة من الثواب والعقاب وهما على قدره فى الكثرة والقلة كالزرع اذا حضر الحصاد أعطى على حسب بذره قالت اللبوة بين لى ماتقول وأفصح لى عن اشارته

(١) أجمة (٢) ربطهما فى مؤخر الرحل أو القتب (٣) الفضاء لا يستر فيه شئ

قال الشعهر كم أتى لك من العمر قالت اللبوة مائة سنة قال الشعهر ما كان قوتك قالت اللبوة لحم الوحش قال الشعهر من كان يطعمك اياه قالت اللبوة كنت أصيد الوحش وآكله قال الشعهر أرأيت الوحوش التى كنت تأكلين أما كان لها آباء وأمهات قالت بلى قال الشعهر فما بالى لا أرى ولا أسمع لتلك الآباء والامهات من الجزع والضجيج ما أرى وأسمع لك أما انه لم ينزل بك ما نزل الا لسوء نظرك فى العواقب وقلة تفكرك فيها وجهالتك بما يرجع عليك من ضرها فلما سمعت اللبوة ذلك من كلام الشعهر عرفت أن ذلك مما جنت على نفسها وأن عملها كان جورا وظلما فتركت الصيد وانصرفت عن أكل اللحم الى أكل الثمار والنسك والعبادة فلما رأى ذلك ورشان (كان صاحب تلك الغيضة وكان عيشه من الثمار) قال لها قد كنت أظن أن الشجر عامنا هذا لم تحمل لقلة الماء فلما أبصرتك تأكلينها وأنت آكلة اللحم فتركت رزقك وطعامك وما قسم الله لك وتحولت الى رزق غيرك فانتقصته ودخلت عليه فيه علمت أن الشجر العام أثمرت كما كانت تثمر قبل اليوم وانما أتت قلة الثمر من جهتك فويل للشجر وويل للثمار وويل لمن عيشه منها ما أسرع هلاكهم اذا دخل عليهم فى أرزاقهم وغلبهم عليها من ليس له فيها حظ ولم يكن معتادا لأكلها فلما سمعت اللبوة ذلك من كلام الورشان تركت أكل الثمار وأقبلت على أكل الحشيش والعبادة وانما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الجاهل ربما انصرف بضر يصيبه عن ضر الناس كاللبوة التى انصرفت لما لقيت فى شبليها عن أكل اللحم ثم عن أكل الثمار بقول الورشان وأقبلت على النسك والعبادة والناس أحق بحسن النظر فى ذلك فانه قد قيل ما لا ترضاه لنفسك لا تصنعه لغيرك فان فى ذلك العدل وفى العدل رضا الله تعالى ورضا الناس . (انقضى باب اللبوة والاسوار والشعهر)

باب الناسك والضيف

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل الذي يدع صنعه الذي يليق به ويشا كله ويطلب غيره فلا يدركه فيبقى حيران مترددا قال الفيلسوف زعموا انه كان بأرض الكرخ ناسك عابد مجتهد فنزل به ضيف ذات يوم فدعا الناسك لضيفه بتمر ليطرفه به فأ كلا منه جميعا ثم قال الضيف ما أحلى هذا التمر وأطيبه فليس هو في بلادي التي أسكنها وليته كان فيها ثم قال أرى أن تساعدني على أن آخذ منه ما أغرسه في أرضنا فاني لست عارفا بثمار أرضكم هذه ولا بمواضعها فقال له الناسك ليس لك في ذلك راحة فان ذلك يثقل عليك ولعل ذلك لا يوافق أرضكم مع أن بلادكم كثيرة الاثمار فما حاجة مع كثرة ثمارها الى التمر مع وخامته وقلة موافقته للجسد ثم قال له الناسك انه لا يعد حليما من طلب ما لا يجد وانك سعيد الجد اذا قنعت بالذي تجد وتزهد فيما لا تجد وكان هذا الناسك يتكلم بالعبرانية فاستحسن الضيف كلامه وأعجبه فتكلف أن يتعلمه وعالج في ذلك نفسه أياما فقال الناسك لضيفه ما أخلقك أن تقع مما تركت من كلامك وتكلفت من كلام العبرانية في مثل ما وقع فيه الغراب قال الضيف وكيف كان ذلك

قال الناسك زعموا أن غرابا رأى حجلة تدرج وتمشي فأعجبته مشيتها وطمع أن يتعلمها فراض على ذلك نفسه فلم يقدر على احكامها وأيس منها وأراد أن يعود الى مشيته التي كان عليها فاذا هو قد اختلط وتخلع في مشيته وصار أقبح الطير مشيا وانما ضربت لك هذا المثل لما رأيت من أنك تركت لسانك الذي طبعت عليه وأقبلت على لسان العبرانية وهو لا يشا كلك وأخاف أن لا تدركه وتنسى لسانك وترجع الى أهلك وأنت شرهم لسانا فانه قد قيل انه يعد جاهلا من تكلف من الامور ما لا يشا كله وليس من عمله ولم يؤدبه عليه آباؤه وأجداده من قبل . (انقضى باب الناسك والضيف)

باب السائح والصائغ

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثلا فى شأن الذى يضع المعروف فى غير موضعه ويرجو الشكر عليه قال الفيلسوف أيها الملك ان طبائع الخلق مختلفة وليس مما خلقه الله فى الدنيا مما يمشى على أربع أو على رجلين أو يطير بجناحين شئ هو أفضل من الانسان ولكن من الناس البر والفاجر وقد يكون فى بعض البهائم والسباع والطير ما هو أوفى منه ذمة وأشد محاماة على حرمه وأشكر للمعروف وأقوم به وحينئذ يجب على ذوى العقل من الملوك وغيرهم أن يضعوا معروفهم مواضعه ولا يضعوه عند من لا يحتمله ولا يقوم بشكره ولا يصطنعوا أحدا الا بعد الخبرة بطرائقه والمعرفة بوفائه ومودته وشكره ولا ينبغى أن يختصوا بذلك قريبا لقرابته اذا كان غير محتمل للصنيعة ولا أن يمنعوا معروفهم ورفدهم للبعيد اذا كان يقيهم بنفسه وما يقدر عليه لانه يكون حينئذ عارفا بحق ما اصطنع اليه مؤديا الشكر ما أنعم عليه محمودا بالنصح معروفا بالخير صدوقا عارفا مؤثرا لجميد الفعال والقول وكذلك كل من عرف بالخصال المحمودة ووثق منه بها كان للمعروف موضعا ولتقريبه واصطناعه أهلا فان الطبيب الرفيق العاقل لا يقدر على مداواة المريض الا بعد النظر اليه والجس لعروقه ومعرفة طبيعته وسبب علته فاذا عرف ذلك كله حق معرفته أقدم على مداواته فكذلك العاقل لا ينبغى له أن يصطفى أحدا ولا يستخلصه الا بعد الخبرة فان من أقدم على مشهور العدالة من غير اختبار كان مخاطرا فى ذلك ومشرفا منه على هلاك وفساد ومع ذلك ربما صنع الانسان المعروف مع الضعيف الذى لم يجرب شكره ولم يعرف حاله فى طبائعه فيقوم بشكر ذلك ويكافئ عليه أحسن المكافأة وربما تحذر العاقل من الناس ولم يأمن على

نفسه أحدا منهم وقد يأخذ ابن عرس فيدخله فى كمه ويخرجه من الآخر كالذى يحمل الطائر على يده فاذا صاد شيأ انتفع به وأطعمه منه وقد قيل لا ينبغى لذى العقل أن يحتقر صغيرا ولا كبيرا من الناس ولا من البهائم ولكنه جدير بأن يبلوهم ويكون ما يصنع اليهم على قدر ما يرى منهم وقد مضى فى ذلك مثل ضربه بعض الحكماء قال الملك وكيف كان ذلك

قال الفيلسوف زعموا أن جماعة احتفروا ركية(١) فوقع فيها رجل صائغ وحية وقرد وببر(٢) ومر بهم رجل سائح فأشرف على الركية فبصر بالرجل والحية والببر والقرد ففكر فى نفسه وقال لست أعمل لآخرتى عملا أفضل من أن أخلص هذا الرجل من بين هؤلاء الأعداء فأخذ حبلا وأدلاه الى البئر فتعلق به القرد لخفته فخرج ثم أدلاه ثانية فالتفت به الحية فخرجت ثم أدلاه الثالثة فتعلق به الببر فأخرجه فشكرن له صنيعه وقلن له لا تخرج هذا الرجل من الركية فانه ليس شئ أقل شكرا من الانسان ثم هذا الرجل خاصة ثم قال له القرد ان منزلى فى جبل قريب من مدينة يقال لها نوادرخت فقال له الببر أنا أيضا فى أجمة الى جانب تلك المدينة قالت الحية أنا أيضا فى سور تلك المدينة فان أنت مررت بنا يوما من الدهر واحتجت الينا فصوت علينا حتى نأتيك فنجزيك بما أسديت الينا من المعروف فلم يلتفت السائح الى ما ذكروا له من قلة شكر الانسان وأدلى الحبل فأخرج الصائغ فسجد له وقال له لقد أوليتنى معروفا فان أتيت يوما من الدهر مدينة نوادرخت فاسأل عن منزلى فأنا رجل صائغ لعلى أكافئك بما صنعت الى من المعروف فانطلق الصائغ الى مدينته وانطلق السائح الى جانبه فعرض بعد ذلك أن السائح اتفقت له حاجة الى تلك المدينة فانطلق فاستقبله القرد فسجد له وقبل رجليه

---

(١) بئرا (٢) سبع

واعتذر اليه وقال ان القرود لا تملكون شيأ ولكن اقعد حتى آتيك وانطلق القرد وأتاه بفاكهة طيبة فوضعها بين يديه فأكل منها حاجته ثم ان السائح انطلق حتى دنا من باب المدينة فاستقبله الببر فخر له ساجدا وقال له انك قد أوليتني معروفا فاطمئن ساعة حتى آتيك فانطلق الببر فدخل في بعض الحيطان(١) الى بنت الملك فقتلها وأخذ حليها فأتاه به من غير أن يعلم السائح من أين هو فقال في نفسه هذه البهائم قد أولتني هذا الجزاء فكيف لو قد أتيت الى الصائغ فانه ان كان معسرا لا يملك شيأ فسيبيع هذا الحلي فيستوفي ثمنه فيعطيني بعضه ويأخذ بعضه وهو أعرف بثمنه فانطلق السائح فأتى الى الصائغ فلما رآه رحب به وأدخله الى بيته فلما ابصر بالحلي معه عرفه وكان هو الذي صاغه لابنة الملك فقال للسائح اطمئن حتى آتيك بطعام فلست أرضى لك ما في البيت ثم خرج وهو يقول قد أصبت فرصتي أريد أن أنطلق الى الملك وأدله على ذلك فتحسن منزلتي عنده فانطلق الى باب الملك فأرسل اليه ان الذي قتل ابنتك وأخذ حليها عندي فأرسل الملك وأتي بالسائح فلما نظر الحلي معه لم يمهله وأمر به أن يعذب ويطاف به في المدينة ويصلب فلما فعلوا به ذلك جعل السائح يبكي ويقول بأعلى صوته لو أني أطعت القرد والحية والببر فيما أمرتني به وأخبرتني من قلة شكر الانسان لم يصر أمري الى هذا البلاء وجعل يكرر هذا القول فسمعت مقالته تلك الحية فخرجت من جحرها فعرفته فاشتد عليها أمره فجعلت تحتال في خلاصه فانطلقت حتى لدغت ابن الملك فدعا الملك أهل العلم فرقوه ليشفوه فلم يغنوا عنه شيأ ثم مضت الحية الى أخت لها من الجن فأخبرتها بما صنع السائح اليها من المعروف وما وقع فيه فرقت له وانطلقت الى ابن الملك وتخايلت له وقالت له انك لا تبرأ حتى يرقيك هذا الرجل الذي

---

(١) البساتين

قد عاقبتموه وانطلقت الحية الى السائح فدخلت عليه السجن وقالت له هذا الذى كنت نهيتك عنه من اصطناع المعروف الى هذا الانسان ولم تطعنى وأتته بورق ينفع من سمها وقالت له اذا جاؤا بك لترقى ابن الملك فاسقه من ماء هذا الورق فانه يبرأ واذا سألك الملك عن حالك فاصدقه فانك تنجو ان شاء الله تعالى وان ابن الملك أخبر الملك انه سمع قائلا يقول انك لن تبرأ حتى يرقيك هذا السائح الذى حبس ظلما فدعا الملك بالسائح وأمره أن يرقى ولده فقال لا أحسن الرقى ولكن أسقيه من ماء هذه الشجرة فيبرأ باذن الله تعالى فسقاه فبرئ الغلام ففرح الملك بذلك وسأله عن قصته فأخبره فشكره الملك وأعطاه عطية حسنة وأمر بالصائغ أن يصلب فصلبوه لكذبه وانحرافه عن الشكر ومجازاته الفعل الجميل بالقبيح ثم قال الفيلسوف للملك فنى صنيع الصائغ بالسائح وكفره له بعد استنقاذه اياه وشكر البهائم له وتخليص بعضها اياه عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر وأدب فى وضع المعروف والاحسان عند أهل الوفاء والكرم قربوا أو بعدوا لما فى ذلك من صواب الرأى وجلب الخير وصرف المكروه . (انقضى باب السائح والصائغ)

باب ابن الملك وأصحابه

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعت هذا المثل فان كان الرجل لا يصيب الخير الا بعقله ورأيه وتثبته فى الأمور كما يزعمون فما بال الرجل الجاهل يصيب الرفعة والخير والرجل الحكيم العاقل قد يصيب البلاء والضر قال بيدبا كما أن الانسان لا يبصر الا بعينيه ولا يسمع الا باذنيه كذلك العمل انما هو بالحلم والعقل والتثبت غير أن القضاء والقدر يغلبان على ذلك ومثل ذلك مثل ابن الملك وأصحابه قال الملك وكيف كان ذلك

قال الفيلسوف زعموا أن أربعة نفر اصطحبوا في طريق واحدة أحدهم ابن ملك والثاني ابن تاجر والثالث ابن شريف ذو جمال والرابع ابن أكار وكانوا جميعا محتاجين وقد أصابهم ضر وجهد شديد في موضع غربة لا يملكون الا ما عليهم من الثياب فبينما هم يمشون اذ فكروا في أمرهم وكان كل انسان منهم راجعا الى طباعه وما كان يأتيه منه الخير قال ابن الملك ان أمر الدنيا كله بالقضاء والقدر والذي قدر على الانسان يأتيه على كل حال والصبر للقضاء والقدر وانتظارهما أفضل الأمور وقال ابن التاجر العقل أفضل من كل شئ وقال ابن الشريف الجمال أفضل مما ذكرتم ثم قال ابن الأكار ليس في الدنيا أفضل من الاجتهاد في العمل فلما قربوا من مدينة يقال لها مطرون جلسوا في ناحية منها يتشاورون فقالوا لابن الأكار انطلق فاكتسب لنا باجتهادك طعاما ليومنا هذا فانطلق ابن الأكار وسأل عن عمل اذا عمله الانسان يكتسب فيه طعام أربعة نفر فعرفوه أنه ليس في تلك المدينة شئ أعز من الحطب وكان الحطب منها على فرسخ فانطلق ابن الأكار فاحتطب طنا(١) من الحطب وأتى به المدينة فباعه بدرهم واشترى به طعاما وكتب على باب المدينة عمل يوم واحد اذا أجهد فيه الرجل بدنه قيمته درهم ثم انطلق الى أصحابه بالطعام فأكلوا فلما كان من الغد قالوا ينبغي للذي قال انه ليس شئ أعز من الجمال أن تكون نوبته فانطلق ابن الشريف ليأتي المدينة ففكر في نفسه وقال أنا لست أحسن عملا فما يدخلني المدينة ثم استحيا أن يرجع الى أصحابه بغير طعام وهم بمفارقتهم فانطلق حتى أسند ظهره الى شجرة عظيمة فغلبه النوم فنام فمر به رجل من عظماء المدينة فراقه جماله وتوسم فيه شرف النجار(٢) فرق له ومنحه خمسمائة درهم فكتب على باب المدينة

---

(١) حزمة (٢) الاصل

جمال يوم واحد يساوى خمسمائة درهم وأتى بالدراهم الى أصحابه فلما أصبحوا
فى اليوم الثالث قالوا لابن التاجر انطلق أنت فاطلب لنا بعقلك وتجارتك
ليومنا هذا شيأ فانطلق ابن التاجر فلم يزل حتى بصر بسفينة من سفن البحر
كثيرة المتاع قد قدمت الى الساحل فخرج اليها جماعة من التجار يريدون
أن يبتاعوا مما فيها من المتاع فجلسوا يتشاورون فى ناحية من المركب وقال
بعضهم لبعض ارجعوا يومنا هذا لا نشترى منهم شيأ حتى يكسد المتاع عليهم
فيرخصوه علينا مع أننا محتاجون اليه وسيرخص فخالف الطريق وجاء الى
أصحاب المركب فابتاع منهم ما فيه بمائة ألف دينار نسيئة(١) وأظهر أنه يريد
أن ينقل متاعه الى مدينة أخرى فلما سمع التجار ذلك خافوا أن يذهب ذلك
المتاع من أيديهم فأربحوه على ما اشتراه مائة ألف درهم وأحال عليهم أصحاب
المركب بالباقى وحمل ربحه الى أصحابه وكتب على باب المدينة عقل يوم واحد
ثمنه مائة ألف درهم فلما كان اليوم الرابع قالوا لابن الملك انطلق أنت واكتسب
لنا بقضائك وقدرك فانطلق ابن الملك حتى أتى الى باب المدينة فجلس على
متكأ فى باب المدينة واتفق ان ملك تلك الناحية مات ولم يخلف ولدا ولا أحدا
ذا قرابة فمروا عليه بجنازة الملك ولم يحزنه وكلهم يحزنون فأنكروا حاله وشتمه
البواب وقال له من أنت يا هذا وما يجلسك على باب المدينة ولا نراك تحزن
لموت الملك وطرده البواب عن الباب فلما ذهبوا عاد الغلام فجلس مكانه فلما
دفنوا الملك ورجعوا بصر به البواب فغضب وقال له ألم أنهك عن الجلوس
فى هذا الموضع وأخذه فحبسه فلما كان الغد اجتمع أهل تلك المدينة يتشاورون
فيمن يملكونه عليهم وكل منهم يتطاول ينظر صاحبه ويختلفون بينهم فقال لهم
البواب انى رأيت أمس غلاما جالسا على الباب ولم أره يحزن لحزننا فكلمته

---

(١) الى أجل

فلم يجبنى فطردته عن الباب فلما عدت رأيته جالسا فأدخلته السجن مخافة أن يكون عينا فبعثت أشراف أهل المدينة الى الغلام فأتوه وسألوه عن حاله وما أقدمه الى مدينتهم فقال أنا ابن ملك فوران وانه لما مات والدى غلبنى أخى على الملك فهربت من يده حذرا على نفسى حتى انتهيت الى هذه الغاية فلما ذكر الغلام ما ذكر من أمره عرفه من كان يغشى أرض أبيه منهم وأثنوا على أبيه خيرا ثم ان الاشراف اختاروا الغلام أن يملكوه عليهم ورضوا به وكان لأهل تلك المدينة سنة اذا ملكوا عليهم ملكا حملوه على فيل أبيض وطافوا به حوالى المدينة فلما فعلوا به ذلك مر بباب المدينة فرأى الكتابة على الباب فأمر أن يكتب ان الاجتهاد والجمال والعقل وما أصاب الرجل فى الدنيا من خير أو شر انما هو بقضاء وقدر من الله عز وجل وقد ازددت فى ذلك اعتبارا بما ساق الله الى من الكرامة والخير

ثم انطلق الى مجلسه فجلس على سرير ملكه وأرسل الى أصحابه الذين كان معهم فأحضرهم فأشرك صاحب العقل مع الوزراء وضم صاحب الاجتهاد الى أصحاب الزرع وأمر له ساحب الجمال بمال كثير ثم نفاه كى لا يفتتن به ثم جمع علماء أرضه وذوى الرأى منهم وقال لهم أما أصحابى فقد تيقنوا أن الذى رزقهم الله سبحانه وتعالى من الخير انما هو بقضاء الله وقدره وانما أحب أن تعلموا ذلك وتستيقنوه فان الذى منحنى الله وهيأه لى انما كان بقدر ولم يكن بجمال ولا عقل ولا اجتهاد وما كنت أرجو إذ طردنى أخى أن يصيبنى ما يعيشنى من القوت فضلا عن أن أصيب هذه المنزلة وما كنت أؤمل ان أكون بها لأنى قد رأيت فى هذه الارض من هو أفضل منى حسنا وجمالا وأشد اجتهادا وأسد رأيا فساقنى القضاء الى أن اعتززت بقدر من الله . وكان فى ذلك الجمع شيخ فنهض حتى استوى قائما وقال انك قد تكلمت

بكلام كامل عقل وحكمة وان الذى بلغ بك ذلك وفور عقلك وحسن ظنك
وقد حققت ظننا فيك ورجاءنا لك وقد عرفنا ما ذكرت وصدقناك فيما وصفت
والذى ساق الله اليك من الملك والكرامة كنت أهلا له لما قسم الله تعالى لك
من العقل والرأى وان أسعد الناس فى الدنيا والآخرة من رزقه الله رأيا
وعقلا وقد أحسن الله الينا اذ وفقك لنا عند موت ملكنا وكرم نابك ثم قام
شيخ آخر سائح فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وقال انى كنت أخدم وأنا غلام
قبل أن أكون سائحا رجلا من أشراف الناس فلما بدا لى رفض الدنيا فارقت
ذلك الرجل وقد كان أعطانى من أجرتى دينارين فأردت أن أتصدق
بأحدهما وأستبق الآخر فأتيت السوق فوجدت مع رجل من الصيادين
زوج هدهد فساومته فيهما فأبى الصياد أن يبيعهما الا بدينارين فاجتهدت
أن يبيعنيهما بدينار واحد فأبى فقلت فى نفسى أشترى أحدهما وأترك الآخر
ثم فكرت وقلت لعلهما يكونان زوجين ذكرا وأنثى فأفرق بينهما فأدركنى
لهما رحمة فتوكلت على الله وابتعتهما بدينارين وأشفقت ان أرسلتهما فى
أرض عامرة أن يصادا ولا يستطيعا أن يطيرا مما لقيا من الجوع والهزال ولم
آمن عليهما الآفات فانطلقت بهما الى مكان كثير المرعى والاشجار بعيد عن
الناس والعمران فأرسلتهما فطارا ووقعا على شجرة مثمرة فلما صارا فى أعلاها
شكرا لى وسمعت أحدهما يقول للآخر لقد خلصنا هذا السائح من البلاء
الذى كنا فيه واستنقذنا ونجانا من الهلكة وانا لخليقان أن نكافئه بفعله وان
فى أصل هذه الشجرة جرة مملوءة دنانير أفلا ندله عليها فأخذها فقلت لهما
كيف تدلانى على كنز لم تره العيون وأنتما لم تبصرا الشبكة فقالا ان القضاء
اذا نزل صرف العيون عن موضع الشئ وغشى البصر وانما صرف القضاء
أعيننا عن الشرك ولم يصرفها عن هذا الكنز فاحتفرت واستخرجت

البَرْنيّة (١) وهي مملوءة دنانير فدعوت لهما بالعافية وقلت لهما الحمد لله الذى علمكما مالم تعلما وأنتما تطيران فى السماء وأخبرتما بما تحت الارض فقالا لى أيها العاقل أما تعلم أن القدر غالب على كل شئ لا يستطيع أحد أن يتجاوزه وأنا أخبر الملك بذلك الذى رأيته فان أمر الملك أتيته بالمال فأودعته فى خزائنه فقال الملك ذلك لك وموفر عليك . (انتهى باب ابن الملك وأصحابه)

باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين

وهو باب من يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه . قال الملك للفيلسوف قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثلا فى شأن الرجل الذى يرى الرأى لغيره ولا يراه لنفسه قال الفيلسوف ان مثل ذلك مثل الحمامة والثعلب ومالك الحزين قال الملك وما مثلهن

قال الفيلسوف زعموا أن حمامة كانت تفرخ فى رأس نخلة طويلة ذاهبة فى السماء فكانت الحمامة تشرع فى نقل العش الى رأس تلك النخلة فلا يمكن ان تنقل ما تنقل من العش وتجعله تحت البيض الا بعد شدة وتعب ومشقة لطول النخلة وسحقها فاذا فرغت من النقل باضت ثم حضنت بيضها فاذا فقست وأدرك فراخها جاءها ثعلب قد تعاهد ذلك منها الوقت قدر عليه بقدر ما ينهض فراخها فيقف بأصل النخلة فيصيح بها ويتوعدها أن يرقى اليها فتلقى اليه فراخها فبينما هى ذات يوم قد أدرك لها فرخان اذ أقبل مالك الحزين فوقع على النخلة فلما رأى الحمامة كئيبة حزينة شديدة الهم قال لها مالك الحزين يا حمامة مالى أراك كاسفة اللون سيئة الحال فقالت له يا مالك الحزين ان ثعلبا دهيت به كلما كان لى فرخان جاءنى يهددنى ويصيح

---

(١) اناء من خزف

فى أصل النخلة فأفرق منـه فأطرح اليـه فرخى قال لها مالك الحزين اذا أتاك لفعل ما تقولين فقولى له لا ألقى اليك فرخى فارق الى وغرر بنفسك فاذا فعلت ذلك وأكلت فرخى طرت عنك ونجوت بنفسى فلما علمها مالك الحزين هذه الحيلة طار فوقع على شاطئ نهر فاقبل الثعلب فى الوقت الذى عرف فوقف تحتها ثم صاح كما كان يفعل فأجابتـه الحمامة بما علمها مالك الحزين فقال لها الثعلب أخبرينى من علمك هذا قالت علمنى مالك الحزين فتوجه الثعلب حتى أتى مالكا الحزين على شاطئ النهر فوجده واقفا فقال له الثعلب يا مالك الحزين اذا أتتك الريح عن يمينك فأين تجعل رأسك قال عن شمالى قال فاذا أتتك عن شمالك فأين تجعل رأسك قال أجعله عن يمينى أو خلفى قال فاذا أتتك الريح من كل مكان وكل ناحية فأين تجعله قال أجعله تحت جناحى قال وكيف تستطيع أن تجعله تحت جناحك ما أراه يتهيأ لك قال بلى قال فأرنى كيف تصنع فلعمرى يا معشر الطير لقد فضلكم الله علينا انكن تدرين فى ساعة واحدة مثل ما ندرى فى سنة وتبلغن ما لا نبلغ وتدخلن رؤسكن تحت أجنحتكن من البرد والريح فهنيأ لكن فأرنى كيف تصنع فأدخل الطائر رأسه تحت جناحه فوثب عليه الثعلب مكانه فأخذه فهمزه همزة دقت عنقه ثم قال يا عدو نفسه ترى الرأى للحمامة وتعلمها الحيلة لنفسها وتعجز عن ذلك لنفسك حتى يستمكن منك عدوك ثم أجهز عليه وأكله .

فلما انتهى المنطق بالملك والفيلسوف الى هذا المكان سكت الملك فقال له الفيلسوف أيها الملك عشت ألف سنة وملكت الاقاليم السبعة وأعطيت من كل شئ سببا مع وفور سرورك وقرة عين رعيتك بك ومساعدة القضاء والقدر لك فانه قد كمل فيك الحلم والعلم وزكا منك العقل والقول والنية فلا يوجد فى رأيك نقص ولا فى قولك سقط ولا عيب وقد جمعت النجدة واللين

فلا توجد حياتنا عند اللقاء ولا ضيق الصدر عندما ينوبك من الاشياء وقد جمعت لك في هذا الكتاب شمل بيان الأمور وشرحت لك جواب ما سألتني عنه منها فأبلغتك في ذلك غاية نصحي واجتهدت فيه برأيي ونظري ومبلغ فطنتي التماس القضاء حقك وحسن النية منك باعمال الفكرة والعقل بخاء كما وصفت لك من النصيحة والموعظة مع أنه ليس الآمر بالخير بأسعد من المطيع له فيه ولا الناصح بأولى بالنصيحة من المنصوح ولا المعلم للخير بأسعد من متعلمه منه فافهم ذلك أيها الملك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

انتهى

تنبيه — البختكان المذكور في صفحة ٤٢ هو بالباء الموحدة التحتية لا بالياء

فهرس

كتاب كليلة ودمنه

فهرس كتاب كليلة ودمنة

صحيفة

(تم)


Bibliotheca Alexandrina
03380716